السبت 20 آيار 2023
العدد 4918 السنة السابعة عشرة
Samedi 20 Mai 2023 no 4918 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

لينا مرواني
فلسطين
في أشلاء

«مفوضيّة اللاجئين»: «داتا» النازحين مقابل إقامات؟ [6]

لبنان في جدة: تكريس الحياد العربي [7]

عودة رجل شجاع

[5 ـ 2]

(أ ف ب)

البلاد

عن باسك المقوسي وبقية الحياة في غزة [12]

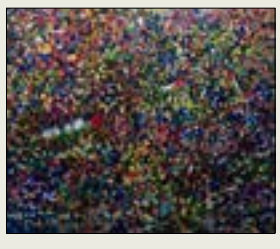

مراسل حربيّ [13]

صاروخ «رحوفوت»: فانون إن حكى [14]

على الغلاف

قد يكون «الأمل الممكن» الوحيد في قمّة جدة وما سبقها من تحوّلات في العلاقات العربية والإقليمية، أنه سيرسي نوعاً من الاستقرار في المنطقة، بعد عقد كامل من الحروب التي أنهكت الدول والشعوب، وتسبّبت بدمار وموجات نزوح وتراجع غير مسبوق في مستويات المعيشة وتنامٍ للتطرّف. وإذا كان الاستقرار هو الضلع الأول من مثلّث النظام الإقليمي الآخذ في التشكّل حالياً، فإنّ الضلعَين الآخرَين يتمثّلان في مشكلات أخرى، ليس أقلّها مشروع التنمية الإلزامي بموازاة استقرار الأنظمة القمعية، وهو ما تجلّى بوضوح في الكلمات التي ألقيت في القمّة أمس، والتي بدت أشبه بورقة نعي رسمية ونهائية لـ«الربيع العربي». على أيّ حال، يمكن القول إن لحظة سوريا/ الدولة قد حانت بالفعل... سوريا التي واجهت أزمة داخلية متوقّعة، لكن خصومها السياسيين أرادوها مدخلاً لتغيير قسري لتصدير سرديّتها المقلوبة في شأنه، معيدةً الحديث عن السلام فيه إلى المربّع الأول، وأيضاً السودان الذي لا تزال تعصف به حرب لا تُعلَم مآلاتها بينما تقتصر جهود جلحتها على التمنّيات. ومع ذلك، فإن حسنة أخرى تُسجَّل للقمّة، وهي أنها ظهّرت مغادرة عدد لا يستهان به من الدول العربية، ولا سيما الخليجية منها، وبتحديد أكثر السعودية، موقع «البصم» على الإرادة الأميركية، كما كان يحصل سابقاً، من دون أن يعني ما تقدّم أن «الكلاش» السعودي - الأميركي سيتطوّر إلى مستويات أكثر دراماتيكية مما هو حاصل اليوم

جدّة تنعى «الربيع العربي» قمّة الاستقرار الشائك

حسين إبراهيم

عادةً ما تعكس القمم العربية حال العرب في لحظة انعقادها. وقمّة جدة ليست استثناءً، وإن كانت حوّت الكثير من المفارقات التي تجعلها قمّة غير عادية بكلّ المقاييس. والأكثر إثارة فيها هو أن عدداً لا يستهان به من الدول العربية، ولا سيما الخليجية منها، وبتحديد أكثر السعودية، غادرت موقع «البصم» على الإرادة الأميركية، كما كان يحصل سابقاً. وبالتالي أغضبت الأميركيين، قبل أن تمنحهم جائزة ترضية تمثّلت في دعوة مدلّلهم في عالم اليوم، الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، كنوع من التوازن مع الحضور الطاغي للرئيس السوري، بشار الأسد. الاغتراب العربي عن أميركا له أسبابه العميقة، ولعلّ في طليعتها أن «البصم» كان له مقابله الذي هو الحماية من كلّ الأعداء المفترضين، إلّا العدو الحقيقي (للشعوب)، وهو إسرائيل، فإذا بهذه الحماية تتلاشى، بل تتحوّل إلى نوع من التآمر على الأنظمة نفسها، كما ظهر خلال «الربيع العربي»، حين غدرت واشنطن بحلفائها الذين تفترض أنهم أدواتها. لكنّ المحاولة تلك فشلت، إنّما بعد أن هشّمت الأنظمة أيضاً، وليس الشعوب وحدها، وتركتها تبحث عن ترتيبات جديدة تضمن بقاءها.

«الكلاش» الحاصل مع الأميركيين، يفيد بأن الثقة بهم في المنطقة تساوي صفراً، واستتباعاً بحليفتهم إسرائيل. إلّا أن ذلك لن يُترجَم لغة متقدّمة في ما يتعلّق بالصراع مع العدو. فالذي لم يفعله العرب لفلسطين طوال أكثر من سبعين عاماً لن يفلحوا في القيام به اليوم. ومع هذا، فإن عمليات التقارب الحاصلة في المنطقة تفترض حكماً، تخفيف اللهجة التي كانت تُعتمد في القمم السابقة حيال «محور المقاومة»، بدوله وفصائله. ويوحي القرار السعودي الحازم والسريع بعودة سوريا إلى «الجامعة العربية» ودعوة الأسد إلى حضور القمة، بأن ابن سلمان يريد استخدام المؤتمر كمنصّة أخرى للضغط على الأميركيين، إضافة إلى علاقاته بالصين وروسيا. فهذه العودة تقدّم ما يُسمّى «جناح الصقور» بين الدول العربية، ولكنها في الوقت نفسه تكرّس زعامة سعودية ما على المستوى العربي، يُتوقّع أن يجري تظهيرها أكثر في الفترة المقبلة باستخدام إمكانات المملكة، في ظلّ غياب مصر وتراجع دور سوريا بفعل الأزمة الممتدّة فيها. وإذ فاجأ قرار إعادة دمشق إلى مقعدها المعارضين للنظام السوري الذين أُسقط في يدهم، فقد سارع هؤلاء إلى ابتداع أدبيات جديدة تنسجم مع التوجّه السعودي الجديد، وقد لا يطول بهم الوقت حتى يتحوّل هجاؤهم للنظام السوري إلى مديح.

> «كلاش» سعودي - أميركي يظلّل قمة جدة

ومع ذلك، من غير المتوقّع أن يتطوّر «الكلاش» السعودي - الأميركي كثيراً، إذ سعت الرياض إلى تعويض واشنطن عن انزعاجها لحضور الأسد، بدعوة زيلينسكي الذي كان الرئيس السوري قد وصفه بـ«المهرّج»، لحضور القمّة بصفة مراقب. وحتى إذا استفزّت تلك الدعوة حليفها النفطي الروسي، فإن السعودية قادرة على امتصاص الأمر، ما دامت المشاركة شكلية أو حتى فولكلورية. أمّا «البلعطة» الأميركية المتمثّلة في مساعي الكونغرس لإقرار قانون «مكافحة التطبيع» مع دمشق، فعدا كونها مهزلة باعتبار أن مصطلح «التطبيع» المرفوض مخصّص في القاموس العربي لإسرائيل، فإنها لن تذهب بعيداً على الأرجح، نظراً إلى حيوية المصالح الأميركية مع الدول العربية، ولا سيما الخليجية، على أيّ حال، قد تكون هذه أوّل قمّة عربية غير مملّة منذ زمن طويل. وإذا كانت قمم كثيرة سابقة قد شهدت استعراضات كان يعتقد مؤدّوها أنها مسلّية، ولا سيما في أيام قادة الشعوب وحدها، وتركتها تبحث عن ترتيبات جديدة تضمن بقاءها.

«الكلاش» الحاصل مع الأميركيين، يفيد بأن الثقة بهم في المنطقة تساوي صفراً، واستتباعاً بحليفتهم إسرائيل. إلّا أن ذلك لن يُترجَم لغة متقدّمة في ما يتعلّق بالصراع مع العدو. فالذي لم يفعله العرب لفلسطين طوال أكثر من سبعين عاماً لن يفلحوا في القيام به اليوم. ومع هذا، فإن عمليات التقارب الحاصلة في المنطقة تفترض حكماً، تخفيف اللهجة التي كانت تُعتمد في القمم السابقة حيال «محور المقاومة»، بدوله وفصائله. ويوحي القرار السعودي الحازم والسريع بعودة سوريا إلى «الجامعة العربية» ودعوة الأسد إلى حضور القمة، بأن ابن سلمان يريد استخدام المؤتمر كمنصّة أخرى للضغط على الأميركيين، إضافة إلى علاقاته بالصين وروسيا. فهذه العودة تقدّم ما يُسمّى «جناح الصقور» بين الدول العربية، ولكنها في الوقت نفسه تكرّس زعامة سعودية ما على المستوى العربي، يُتوقّع أن يجري تظهيرها أكثر في الفترة المقبلة باستخدام إمكانات المملكة، في ظلّ غياب مصر وتراجع دور سوريا بفعل الأزمة الممتدّة فيها. وإذ فاجأ قرار إعادة دمشق إلى مقعدها المعارضين للنظام السوري الذين أُسقط في يدهم، فقد سارع هؤلاء إلى ابتداع أدبيات جديدة تنسجم مع التوجّه السعودي الجديد، وقد لا يطول بهم الوقت حتى يتحوّل هجاؤهم للنظام السوري إلى مديح.

ومع ذلك، من غير المتوقّع أن يتطوّر «الكلاش» السعودي - الأميركي كثيراً، إذ سعت الرياض إلى تعويض واشنطن عن انزعاجها لحضور الأسد، بدعوة زيلينسكي الذي كان الرئيس السوري قد وصفه بـ«المهرّج»، لحضور القمّة بصفة مراقب. وحتى إذا استفزّت تلك الدعوة حليفها النفطي الروسي، فإن السعودية قادرة على امتصاص الأمر، ما دامت المشاركة شكلية أو حتى فولكلورية. أمّا «البلعطة» الأميركية المتمثّلة في مساعي الكونغرس لإقرار قانون «مكافحة التطبيع» مع دمشق، فعدا كونها مهزلة باعتبار أن مصطلح «التطبيع» المرفوض مخصّص في القاموس العربي لإسرائيل، فإنها لن تذهب بعيداً على الأرجح، نظراً إلى حيوية المصالح الأميركية مع الدول العربية، ولا سيما الخليجية، على أيّ حال، قد تكون هذه أوّل قمّة عربية غير مملّة منذ زمن طويل. وإذا كانت قمم كثيرة سابقة قد شهدت استعراضات كان يعتقد مؤدّوها أنها مسلّية، ولا سيما في أيام قادة

> الأطراف الخليجيون، وعلى رأسهم السعودية، يعتقدون أن إسرائيل أضعف من أن تشكّل عمقاً استراتيجياً

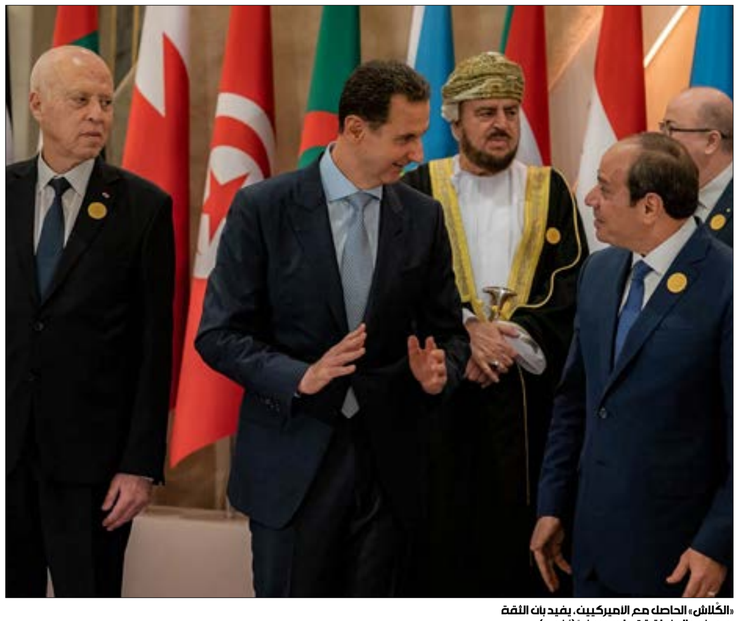

«الكلاش» الحاصل مع الأميركيين، يفيد بأن الثقة بهم في المنطقة تساوي صفراً (أ ف ب)

النوع من الاستعراض والمناكفات، إلى تغيّر كبير في توضع كثير من الدول العربية على خلفية العلاقات المتقلّبة مع الأميركيين والغرب. وهو تغيّر يرتكز على حقائق استراتيجية جديدة تعكس ليس فقط تبدّلاً في طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية والأمنية، وإنّما كذلك الاقتصادية، وبالتالي تعديل ملموس في موازين القوى الدولية.

في هذا السياق، كان صارخاً غياب الرئيس الإماراتي، محمد بن زايد، الذي كرّس الخلاف الكبير مع وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، ولا سيما أن الحجّة الإماراتية التي سيقت لهذا الغياب، وهي أنه يقوم بجولة أوروبية، بدت غير مقنعة للكثيرين. والملفّات الخلافية بين الرجلين تقع في أساس الاستدارة التي قام بها ابن سلمان الذي يسعى للتخارج من الكوارث التي طبعت مرحلة التحالف بينهما، والتي قامت على التوتّر مع المحيط، ولا سيما إيران، وإشعال الفتن والحروب، كما في اليمن، والتطبيع مع إسرائيل. وكذلك، فإن بعض القادة، مثل أمير قطر، تميم بن حمد، لم يكونوا سعداء بتصدّر ابن سلمان القمّة، ولا بمشاركة الأسد، وإن تجاوزوا حساسيتهم تجاه الأخير نتيجة أدوارهم في الحرب السورية، وحضروا. أمّا الغيابات الأخرى لزعماء مثل سلطان عُمان، هيثم بن طارق، وملك المغرب، محمد السادس، فهي طبيعية في القمم العربية التي لم يكتمل عقد الزعماء فيها يوماً.

ويرى البعض أن قمة جدة، بالمعطيات الجديدة، فرصة للنهوض الجماعي للدول العربية، لو كانت الآليات المطلوبة متوفّرة. فحتى لو كانت النوايا موجودة لتحسين العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول العربية، أو بين العديد منها، إلّا أن الوصول إليها يتطلّب أن يكون أصحاب المصلحة الحقيقية ممثّلين تمثيلاً فعلياً في الحكم، وهذه ليست الحال، وخصوصاً في الدول المتمكّنة والقادرة على دفع عملية التنمية. فحتى «مجلس التعاون الخليجي» المتجانس نسبياً في مستويات الدخل، لم ينجح في عملية الدمج، لا فقط لناحية إقامة العملة الموحّدة، وإنّما في أمور أبسط من ذلك بكثير من مثل حرية التنقّل وسهولة المواصلات، حيث ما زال يمكن لزعيم إحدى دول المجلس، بشحطة قلم، أن يمنع مواطني دولة أو عدّة دول أخرى من أعضائه من دخول بلاده.

لا يلغي ذلك أن عدداً من الساحات العربية ستظلّ نهباً للأجانب، يوسّعون نفوذهم على حسابها، ويصفّون حساباتهم فيها. فها هي حرب السودان ومعارك ليبيا المستمرّة والأزمة الاقتصادية في مصر، والمشكلات المتنوّعة للبنان وغيرها، تشهد على القدرة المحدودة للعرب على الفعل. وحتى إذا كانت لحظة سوريا قد حانت في هذه القمة، فإن ما تفعله الأنظمة هو قطاف ما حقّقته الشعوب التي تمثّل المقاومة نبضها، بمساعدة آخرين من غير العرب، كإيران وروسيا.

وعلى رغم الكلمة التي افتتح بها ابن سلمان القمّة، متعهّداً بعدم السماح «بأن تتحوّل منطقتنا إلى ميادين للصراعات، وكفينا مع طيّ صفحة الماضي تذكّر سنوات مؤلمة من الصراعات عاشتها المنطقة»، فإن العبرة تظلّ في التنفيذ، وخاصة أن كلّ تاريخ القمم العربية تميّز بكلام لا يجد طريقه إلى التطبيق.

«الثورات» من أمثال معمر القذافي وصدام حسين وغيرهما، كما تميّزت بمناكفات ومؤامرات بين القادة العرب، فإن القمّة الحالية تجمع هذا بالنار والحديد. على أن الكلّ يعرف اليوم أن ثمّة عقبات كثيرة يجب تجاوزها حتى تبلغ سوريا مرتّم السلام وتطبيع الحياة فيها. أمّا بالنسبة للدول العربية المنكوبة الأخرى، فالظاهر أن لحظاتها لا تزال بعيدة، بما فيها اليمن الذي حوّلت السعودية القمّة العربية إلى منصّة لتحسين العلاقات مع إيران قائماً على هذا الأساس... ستتّسع الفجوة بين مواقف إسرائيل ودول الخليج، وأن «ولاً كثيرة وعلى رأسها السعودية، يمكنها أن تغضّ النظر ما لم تتخطّ إيران العتبة وما لم تمضِ قُدُماً في المسار النووي العسكري ذاته»، وهو ما ينسحب على سوريا بتموضعها الاستراتيجي الحالي أيضاً. والنتيجة المباشرة لهذه التحوّلات، هي تقويض فرضيّة إقامة «ناتو إقليمي» يرتكز على إسرائيل والسعودية، في مواجهة «محور المقاومة» (وهو سقف أعلى من التطبيع الذي له حساباته المختلفة)، وخاصة أن الطرف الرئيس في هذا الحلف أصبح أكثر استعداداً للتعايش القهري مع الترتيبات الجديدة، وتبنّي استراتيجية مغايرة لاحتواء المخاطر الكامنة، عبر الاقتراب السلمي من ساحتيها الرئيسيّتين، إيران وسوريا. وفي الحدّ الأدنى، فإن تلك الترتيبات من شأنها تهميش السردية الإسرائيلية التي دأب مسؤولو الكيان على الترويج لها (وسيستمرّون في ذلك)، عن أن إسرائيل حليف موضوعي لـ«المحور العربي» في مواجهة «محور المقاومة»، وأن هذا الحلف ينبغي تطويره والارتقاء به إلى تحالف علني على المستويات كافة.

يبقى أن المؤشّر الأكثر دلالة على المستوى الاستراتيجي، هو أن ما يُجري يدحض «النظرية» القائلة بأن إسرائيل يمكن أن تشكّل بديلاً من المظلّة الأميركية، ويكشف أن الأطراف الخليجيين، وعلى رأسهم السعودية، يعتقدون أن إسرائيل أضعف من أن تشكّل عمقاً استراتيجياً قادراً على توفير ما يطمحون إلى تحقيقه في مواجهة محور المقاومة، فضلاً عن أنها ليست على استعداد أصلاً لتقديم أيّ تنازلات» في الساحة الفلسطينية يمكن أن تُمهّد لتحالف مفترض. مع ذلك، ينبغي ألّا يتبادر إلى الأذهان أن المحور الإقليمي المضادّ لمحور المقاومة سيتحوّل إلى قوّة معادية لإسرائيل أو أنه سيقطع علاقاته العلنية والسرّية معها، بل إن استمرار هذه العلاقات يُعدّ من المسلّمات في الكيان. أمّا بخصوص الرهان على إمكانية نجاح الطرف السعودي في إحداث تحوّلات في توجّهات سوريا الاستراتيجية، فقد رأى تقدير «معهد أبحاث الأمن القومي» (الدكتورة كرميت فالنسي، رئيسة الجبهة الشمالية في المعهد (2023/5/4)) أن «الأسد لا يتغيّر، وهو ليس مستعدّاً لتقديم تنازلات... هو يريد الاستفادة من حصوله على الشرعية من دون أيّ ثمن لذلك، ولا ينوي التخلّي عن الحلف الاستراتيجي القوي القائم بينه وبين إيران».

الفهم السعودي المستجدّ إزاء موازين القوى الإقليمية التي انتهى إليها «الربيع العربي». وإذ يقرأ التقدير الإسرائيلي، في التحوّل السعودي، رغبة في التكيّف مع الواقع الجديد، فإن هذا التكيّف سيرتّم عملياً قبول إيران كدولة عتبة نووية تتموضع على مسافة قرار من التخصيب العسكري، وسوريا بقيادة الأسد، التي تتمسّك بتحالفاتها الاستراتيجية، وعلى رأسها تحالفها مع إيران، والذي جلّت متانته زيارة الرئيس الإيراني، إبراهيم رئيسي لدمشق. ومن هنا، يخشى الرئيس السابق للاستخبارات العسكرية «أمان»، اللواء تامير هايمن («معهد أبحاث الأمن القومي» 2023/5/4)، من أن تؤدّي هذه التطوّرات إلى «واقع أمني مستقرّ في المنطقة تحت مظلّة ردع نووي إيراني، والطلب من إسرائيل أن تقبل هذا الواقع الجديد، وألّا تحاول تغييره».

ويحذّر هايمن من أنه «كلّما كان الخسائر التي تلقّتها الولايات المتحدة في المنطقة منذ الاحتلال الأميركي للعراق عام 2003، وفشل العديد من المشاريع الأميركية التي تلته؛ وثانيها، تبدّل الأولويات الذي فرض على واشنطن توجيه مواردها من أجل مواجهة النفوذَين الصيني والروسي. وإذ لا يبدو أن هذا التحوّل ظرفي، أو أن متغيّرات حادّة ستعيد حرفه في المدَيين القريب والمتوسط، فهو يستبطن مخاطر وتحدّيات يُتوقّع أن تتفاقم ما لم تنجح الولايات المتحدة في كبحها، ولا سيما أن «الأصدقاء الموضوعيين» الذين راهنت تل أبيب على إمكانية نسج تحالفات معهم، باتوا مقتنعين بأن الأميركيين ليسوا مستعدّين للتورّط في مواجهة إقليمية من أجل حلفائها، وأنه لم يعُد بإمكانهم الاعتماد عليهم من أجل حماية أمنهم القومي، ولذا، اندفعت السعودية والعديد من الدول الأساسية الأخرى في المنطقة إلى تحسين علاقاتها مع محيطها العربي والإسلامي، واعتماد سياسة أكثر عقلانية في إدارة المخاطر. يضاف إلى ما تقدّم، أن أحد أهمّ العوامل المؤسِّسة للتحوّلات الجارية حالياً، إنّما هو تمكّن «محور المقاومة» من حصد مكاسب كبرى وتعزيزها في خلال السنوات الأخيرة، بما لا يستثني اليمن الذي أسهم في إنضاج هذا

> الأطراف الخليجيون، وعلى رأسهم السعودية، يعتقدون أن إسرائيل أضعف من أن تشكّل عمقاً استراتيجياً

للاستخبارات العسكرية «أمان»، اللواء تامير هايمن («معهد أبحاث الأمن القومي» 2023/5/4)، من أن تؤدّي هذه التطوّرات إلى «واقع أمني مستقرّ في المنطقة تحت مظلّة ردع نووي إيراني، والطلب من إسرائيل أن تقبل هذا الواقع الجديد، وألّا تحاول تغييره».

ويحذّر هايمن من أنه «كلّما كان

زمن «التكيّف» يعاكس إسرائيل: المظلّة البديلة لا تطمئن الحلفاء

علي حيدر

قليلة هي القمم العربية التي تتحوّل فيها مشاركة رئيس عربي إلى الحدث الذي يتجاوز في رسائله وأبعاده القمّة ذاتها. لولا مشاركة الرئيس السوري، بشار الأسد، في قمة جدة، لكانت هذه الأخيرة أقلّ من حدث تقليدي، قد لا يلتفت إليه كثيرون في العالم العربي. أمّا من جهة إسرائيل، فينبع الاهتمام بتلك المشاركة من كونها محطة كاشفة عن تحوّلات عميقة، ومؤشّراً إلى اتّجاهات إقليمية مغايرة في العديد من جوانبها لما تطمح إليه تل أبيب، ولا تفكّا أجهزة التقدير السياسي والاستخباري الإسرائيلي تستكشف ما تحمله من مخاطر وفرص، خصوصاً أن هذه التحوّلات إنّما تجسّد فشل مخطّط إسقاط سوريا وإخضاعها للهيمنة الأميركية، وانتصارها والمحور الذي تنتمي إليه في نهاية المطاف، وإن كان الصراع سيستمرّ بأدوات وأشكال مختلفة، وانطلاقاً من مقاربات وتقديرات مغايرة إزاء آفاق المستقبل.

ولعلّ من أبرز المؤشرات المقلقة بالنسبة إلى الكيان في خضمّ تلك التطوّرات، هو أن هذه الأخيرة تأتي في ظلّ ونتيجة تراجع النفوذ الأميركي، والذي هو حصيلة عاملَين رئيسيَن: أوّلهما، حرص وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، على إظهار القمّة العربية التي استضافتها جدّة أمس، في أفضل صورة يمكن له أن يستثمرها في إطار توجّهاته الجديدة، والتي تقوم على تصفير المشاكل وإتمام المصالحات. وشكّلت القرارات الصادرة في البيان الختامي للقمّة، خصوصاً تلك المتعلّقة بسوريا ولبنان وإيران، انعكاساً لمحاولات الرياض إعادة «الجامعة العربية» إلى أسلوب ما قبل زمن «الثورات العربية»، بصرف النظر عن تقييم ذلك الأسلوب واعتباراته وظروفه الحاكمة.

في ما يتّصل بسوريا، شدّد البيان على «ضرورة اتخاذ خطوات عملية وفاعلة للتدرّج نحو حلّ الأزمة؛ بما يحفظ وحدة سوريا وتماسكها وسيادتها، ويلبّي طموحات شعبها، ويخلّصها من الإرهاب، ويسهم في تعزيز الظروف المناسبة للعودة الطوعية والآمنة للاجئين، ويفضي إلى خروج جميع القوات الأجنبية غير الشرعية منها». كذلك، دان الاعتداءات الإسرائيلية المتكرّرة على سوريا، معلناً الوقوف إلى جانب الأخيرة في ممارسة حقها في الدفاع عن أرضها وشعبها. في المقابل، غابت عن البيان الختامي أيّ أدبيات تتعلّق بـ«ثورة الشعب السوري» وسبل دعمها.

أمّا بخصوص لبنان، فقد أكد المجتمعون حق اللبنانيين في تحرير أو استرجاع مزارع شبعا وتلال كفرشوبا اللبنانية والجزء اللبناني من بلدة الغجر. وفي مقاومة أيّ اعتداء بالوسائل المشروعة، مشدّدين على ضرورة التفريق بين «الإرهاب» والمقاومة. إيرانياً، رحّب البيان الختامي بالاتفاق الذي تمّ التوصّل إليه بين السعودية وإيران في بكين، باعتباره «يشكّل خطوة إيجابية لحلّ الخلافات وإنهاء النزاعات الإقليمية كافة بالحوار، وإقامة العلاقات بين الدول على أساس من التفاهم والاحترام المتبادل وحسن الجوار واحترام سيادة الدول وعدم التدخّل في شؤونها الداخلية». وغابت عن البيان عبارة «التدخّلات الإيرانية في الشؤون الداخلية للدول العربية»، كما غاب عنه تحميل إيران بشكل مباشر مسؤولية تسليح ميليشيات في غير دولة عربية، وإن عبّر، بشكل عام، عن رفض «التدخّلات في الشؤون العربية وتغذية النزعة الطائفية والمذهبية»، ودعا إلى «الامتناع عن دعم الجماعات التي تؤجّج هذه النزاعات وبالذات في دول الخليج العربية، ووقف دعم وتمويل الميليشيات والأحزاب المسلحة في الدول العربية».

(الأخبار)

«إعلان جدة»: عودة إلى ما قبل «الربيع»

ابراهيم الامين

إلى الحرب الباردة

لأكثر من عقدين، أوغل الغرب الاستعماري دماراً وتفتيتاً في بلادنا، وأنجز فصولاً كبيرة من مشروعه بأيد عربية، وبإشراف وتمويل وإدارة أنظمة وحكومات عربية، وبترويج وتعبئة عبر وسائل إعلام عربية. وقبل كثيرون من العرب أن يكونوا وقوداً لهذه الحرب قبل أن يتحولوا إلى حطامها.

لم تعرف الأمة العربية هذا القدر من الأحقاد والحروب الدموية كالتي عاشتها بلداننا خلال الـ15 سنة الماضية. لم يبق بلد عربي خارج الانقسامات والاستقطابات. لم تعد مصر مرجعية يركن إليها، وفقدت السعودية، كما إمارات الخليج، دور "شيخ الصلح" واشتعلت النار بسوريا والعراق حتى صارت نكبتاهما تنافسان نكبة فلسطين المقهورة، ونالت حروب القبائل من استقرار شمال أفريقيا، بينما أنفقت عشرات المليارات لتدمير بقايا دولة في اليمن.

ما نشهده اليوم من انفراجات، لا يمكن اعتباره نهاية الحروب العربية – العربية، بل هو إعلان عن فشل المشروع الخاضع للهيمنة الأميركية في إخضاع دول كثيرة. وهو فشل لا نعرف إن كان المعنيون فيه قد بدأوا مراجعة حقيقية، أم أنهم يعملون وفق العقل الغربي الذي يبحث عن أسلحة جديدة لاستخدامها من أجل تحقيق الأهداف ذاتها... وهو المرجع!

> يرغب عرب أميركا التعويض عن فشل المشروع التدميري بالنار بفخ التبعية تحت عنوان إعادة الإعمار

عملياً، ينتقل العرب والمنطقة من مرحلة الحروب الساخنة والدموية، إلى مرحلة الحروب الباردة، يستخدم فيها أنصار الغرب أسلحتهم الاقتصادية والمالية وقواهم الناعمة. وكل التفاصيل المتعلقة بالاتصالات والمفاوضات والمصالحات، تؤكد على هذه الوجهة، وهو ما يدفع أهل الأرض إلى مزيد من الحذر.

غداً، سنسمع كلاماً عن الصفح والعفو والغفران. والمزيد من الدعوات إلى التخلي عن مبادئ أساسية بحجة حاجة السعودية إلى تنمية ملحة، تتطلب استقراراً واسعاً. وهي شعارات لا تستهدف ترك الشعوب تقرر مصيرها بيدها، بل هي دعوات لربط الإعمار والازدهار بمشروع هو، في حقيقته، نفس المشروع الذي فشل في فرض نفسه بقوة النار.

لقد حاولت ماكينة القوى والدول التي تتحمل مسؤولية مباشرة عن تدمير العراق وسوريا واليمن وليبيا، رشوة شعوبنا بمكرمة وقف الحرب القذرة، وهي تريد إقناعنا بأنها ستمدنا بمكرمات إضافية لإعمار ما تقول إنه ناجم عن حروب أهلية. هكذا يقول كثيرون عن الذي جرى في سوريا، وهكذا يقولون عن الذي يجري في اليمن. يريد هؤلاء تحميل شعوب هذه الدول مسؤولية كاملة عن الدمار الحاصل.

ويريدون لنا أن نشكرهم إن هبوا لنجدتنا ببعض الأموال.

وإذا كنا ننشد الاستقرار والراحة والإعمار والازدهار، فذلك لا يعني أننا نقر بمعادلاتهم، وعلينا، كل الوقت، تذكيرهم بالمسؤولية الأساسية عن كل المصائب التي حلت بنا، وبناء جبهة جديدة، عنوانها مواجهة التبعية المعروضة علينا باسم الإعمار والإنماء. ووسط هذا الضباب الكثيف، سنجد أنفسنا أمام فصل جديد من الحرب المستمرة لطمس قضية فلسطين، ومحو كل فكرة حول التحرر الوطني.

كل التعب الظاهر على وجوه الشعوب المتعبة، بسبب الاستعمار والاحتلال، أو بسبب الفساد والاستبداد، لا يجب أن يحجب عنا صورة الثابت الوحيد. صورة العدو الأميركي المسؤول عن كل كوارث العالم، وهو العدو الذي لن يستقيم العالم ما لم يدفع ثمن جرائمه ومنعه من النمو!

على الغلاف

من معركة القصير إلى قمّة جدة: بداية نهاية الحرب السورية

حسين الأمين

في مثل هذه الأيام تماماً، في العام 2013، كان جنود الجيش السوري، إلى جانب مقاتلي «حزب الله»، يخوضون أوّل معركة كبرى مع «جيش» المسلّحين السوريين والأجانب، في مدينة القصير الحدودية مع لبنان، في ريف حمص. كانت هزيمة المسلّحين في القصير وأريافها، بعد معارك ضارية ودامية، بداية «قصة الانتصار» بالنسبة للدولة السورية وحلفائها في «محور المقاومة»، وبداية الانحدار بالنسبة للمجموعات المسلّحة والدول الداعمة لها في المنطقة والعالم. شكّلت تلك المعركة المؤشّر الأول إلى «إمكانية» إعادة الإمساك بالميدان بالنسبة للدولة السورية، بعدما كانت بقعة سيطرة المسلّحين آخذة في الاتّساع أكثر يوماً بعد يوم. الآن، وبعد 10 سنوات تماماً، يمكن القول إن حضور الرئيس السوري، بشار الأسد، قمّة جدة، أمس، كان الإعلان الصارخ عن فشل المسار الذي راهنت عليه الغالبية الساحقة من دول الإقليم والعالم، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية، والذي كان يطمح إلى إسقاط الدولة السورية، وانتزاعها من موقعها في الإقليم، وحرفها عن دورها في دعم المقاومة.

هكذا، لم يعد للنقاش حول هوية المنتصر في الحرب السورية، أيّ قيمة أو جدوى. وربما حتى القيادة السورية، لا تحتّذ الخطوض في نقاش مماثل، وفي عملية حساب وجرد للنقاط الرابحة والخاسرة. ما يريده أيّ عاقل اليوم، هو إنهاء الحرب عملياً وفي الميدان، والبدء بعملية إزالة آثارها على كلّ المستويات. وهذه عملية طويلة جدّاً، ومكلفة جدّاً، لكن لا بد من إطلاقها. ولا يكون هذا إلّا بالوصول إلى حلّ سياسي حقيقي قابل للحياة على مقاس السوريين أنفسهم، لا على طريقة ومقاس مصالح الدول الغربية والولايات المتحدة، وبعض دول المنطقة. كما لا بدّ لـ«المصالحة» السورية - العربية، أن تنعكس مصالحة واسعة، أو مصالحات، داخل سوريا. ولهذا تجارب سابقة، في جنوب سوريا بمساعدة الإمارات التي رعت تسوية بين الدولة والمسلّحين، وفي الغوطة الشرقية بمساعدة ورعاية السعودية. وهذه تجارب يمكن البناء عليها، مع اختلاف في مستوى نفوذ هاتَين الدولتين وغيرهما، في المناطق التي يسيطر عليها المسلّحون اليوم، حيث النفوذ الأكبر هو لتركيا بشكل خاص، وهو ما يرهن مصيرها بما يمكن أن يُفضي إليه مسار التقارب بين سوريا وتركيا.

وبحسب مصادر متابعة، فإنه «لن يكون مفاجئاً، لو صارت السعودية قريباً عضواً في منصّة أستانا، إلى جانب روسيا وتركيا وإيران»، مع ما يعنيه ذلك من مساهمة سعودية في الحلّ السوري. وفي المقابل، ترى هذه المصادر، أن «سوريا قد تجد طريقها للعودة إلى لعب دورها الإقليمي، من البوابة السعودية»، حيث سيكون بين الدولتَين اتفاق «مراعاة المصالح القومية، بحيث تراعي سوريا مصالح السعودية في سوريا وملفّات أخرى، بينما تراعي السعودية المصالح السورية في ملفّات في المنطقة، مثل الملف اللبناني بشكل خاص». وعلى الرغم من أن المشهد العام في جدة، كان إيجابياً بالنسبة إلى سوريا، إلا أن الواقعية، وعشرات التجارب السابقة، تفرض نظرة حذرة إلى تطوّر «المسار العربي» تجاه سوريا. وأيضاً بين إيران والغرب، كان لا بدّ أن يترك أثره البالغ على مجمل المشهد في المنطقة. وكانت بداية هذا المسار، في قناعة حلفاء واشنطن في المنطقة بضرورة تنويع الشراكات، وفي مقدّمة هؤلاء السعودية، التي انكوت بنار تراجع النفوذ الأميركي، بعد الهجوم على منشآت «أرامكو» عام 2019. وبعد نحو شهر واحد من اندلاع الحرب في أوكرانيا العام الفائت، دشّنت الخارجية السعودية حملة لإقناع الدول العربية الحليفة، بضرورة إجراء مراجعة للمواقف الخارجية تناسباً مع المتغيّرات الدولية المستجدّة. لكن أيّ نقاش في ما جرى، لا يجب أن يتجاوز حقيقة جوهرية، وهي أنه بينما كان «الكونغرس» الأميركي قبل أيام، يذكّر بقانوني «قيصر» و«الكبتاغون»، الرامِيَين إلى حصار سوريا وتجويعها، وبينما تصدر البيانات تلو الأخرى عن الخارجية الأميركية و«البيت الأبيض»، حول «عدم» دعم واشنطن لمسار عودة العلاقات العربية - السورية، كان وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، يرعى «حفل» إعادة سوريا إلى مقعدها في «الجامعة العربية»، مع ما يعنيه التزامن من تحوّلات غير خافية في السياسة الخارجية السعودية، وفي شكل العلاقات السياسية والاقتصادية في المنطقة، علماً أن ابن سلمان يقدّم نفسه على أنه الرجل الذي «أنهى» الحرب (على سوريا)، والتي بدأها غيره.

لم يعد للنقاش حول هوية المنتصر في الحرب السورية، أيّ قيمة أو جدوى (أ ف ب)

لن يكون مفاجئاً، لو صارت السعودية، قريباً، عضواً في منصّة أستانا

وهو ما يذكّر بالمبادرة القديمة ـ الجديدة، والتي أعيد طرحها في اجتماع عمّان مطلع الشهر، وهي «خطوة مقابل خطوة»، علماً أن هذه الأخيرة لا تلقى قبولاً كاملاً لدى القيادة السورية، وتحتاج إلى نقاش معمّق في كلّ خطوة ومقابلها.

لكن في صورة أوسع، فإن كلّ هذا المسار التصالحي بين سوريا وبعض الدول العربية، كان وليد مجموعة كبيرة من المتغيّرات الدولية والإقليمية، الخارجة عن سيطرة وربما تأثير أيّ من المجتمعين في جدّة أمس. ذلك أن احتدام الصراع الدولي بين روسيا والغرب، وانفجاره في أوكرانيا، وبين الصين والولايات المتحدة، وأيضاً بين إيران والغرب، كان لا بدّ أن يترك أثره البالغ على مجمل المشهد في المنطقة. وكانت بداية هذا المسار، في قناعة حلفاء واشنطن في المنطقة بضرورة تنويع الشراكات، وفي مقدّمة هؤلاء السعودية، التي انكوت بنار تراجع النفوذ الأميركي، بعد الهجوم على منشآت «أرامكو» عام 2019. وبعد نحو شهر واحد من اندلاع الحرب في أوكرانيا العام الفائت، دشّنت الخارجية السعودية حملة لإقناع الدول العربية الحليفة، بضرورة إجراء مراجعة للمواقف الخارجية تناسباً مع المتغيّرات الدولية المستجدّة. لكن أيّ نقاش في ما جرى، لا يجب أن يتجاوز حقيقة جوهرية، وهي أنه بينما كان «الكونغرس» الأميركي قبل أيام، يذكّر بقانوني «قيصر» و«الكبتاغون»، الرامِيَين إلى حصار سوريا وتجويعها، وبينما تصدر البيانات تلو الأخرى عن الخارجية الأميركية و«البيت الأبيض»، حول «عدم» دعم واشنطن لمسار عودة العلاقات العربية - السورية، كان وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، يرعى «حفل» إعادة سوريا إلى مقعدها في «الجامعة العربية»، مع ما يعنيه التزامن من تحوّلات غير خافية في السياسة الخارجية السعودية، وفي شكل العلاقات السياسية والاقتصادية في المنطقة، علماً أن ابن سلمان يقدّم نفسه على أنه الرجل الذي «أنهى» الحرب (على سوريا)، والتي بدأها غيره.

لن يكون مفاجئاً، لو صارت السعودية، قريباً، عضواً في منصّة أستانا

سوريا في القمّة: بقاء الأسد «أمر لا مفرّ منه»

علاء حلبي

على وقع الضغوط الأميركية المتواصلة لمنع الانفتاح على دمشق، والمحاولات المستميتة لمنع أيّ تغيير للمشهد السوري القائم حالياً، جاءت مشاركة الرئيس السوري، بشار الأسد، في القمة العربية في جدّة، لتعلن بشكل رسمي الانتقال إلى مرحلة جديدة من العلاقات العربية - السورية، تقوم على التعاون المؤسساتي لحلّ القضايا. يأتي ذلك بعد فترة قطيعة تجاوزت الـ 12 عاماً، فشلت خلالها جميع محاولات تغيير السلطة في سوريا، وتسبّبت بدمار وموجات نزوح وتراجع غير مسبوق في مستويات المعيشة وتنام للتطرّف، الأمر الذي جعل عودة التعاون مع الدولة السورية ومؤسساتها بوابة إجبارية لحلحلة القضايا العالقة، بما فيها المسائل الأمنية والإنسانية، والتي فاقم الزلزال الذي ضرب البلاد في شهر شباط الماضي من أوضاعها المأسوية.

وبينما تصدّرت مشاركة الرئيس السوري، بشار الأسد، في القمة، واللقاءات الرسمية والجانبية التي عقدها مع رؤساء وقادة عرب، المشهد، جاءت كلمته لتعيد التذكير بثوابت دمشق حيال جملة من القضايا، أبرزها الموقف من الجرائم الصهيونية في فلسطين، ورفض التدخّل الخارجي بمختلف أشكاله. ورأى الأسد أننا «بحاجة إلى معالجة التصدّعات التي نشأت على الساحة العربية خلال عقد مضى، واستعادة الجامعة لدورها كمرمّم للجروح لا كمعمّق لها، والأهمّ هو ترك القضايا الداخلية لشعوبها، فهي قادرة على تدبير شؤونها. وما علينا إلا أن نمنع التدخّلات الخارجية في بلداننا ونساعدها عند الطلب حصراً». كما دعا إلى إعادة النظر في النظام الداخلي للجامعة بما يتلاءم مع المتغيّرات الدولية، موضحاً أن «العمل العربي المشترك بحاجة إلى رؤى واستراتيجيات وأهداف مشتركة نحوّلها لاحقاً إلى خطط تنفيذية»، مضيفاً إنه «عندما سننتقل من ردّ الفعل إلى استباق الأحداث، وستكون الجامعة متنفّساً في حالة الحصار لا شريكاً به، ملجأ من العدوان لا منصّة له»، فيما لم ينس التذكير بما سمّاه خطر «الإخوان المسلمين» والفكر العثماني التوسعي. كذلك، ردّ الأسد بشكل مباشر على توصيف عودة الدور السوري في العالم العربي على أنها عودة إلى «الحضن العربي»، معتبراً أن «سوريا، ماضيها وحاضرها ومستقبلها هو العروبة، لكنها عروبة الانتماء لا عروبة الأحضان، فالأحضان عابرة، أمّا الانتماء فدائم، وربما ينتقل الإنسان من حضن إلى آخر لسبب ما، لكنه لا يغيّر انتماءه، أمّا من يغيّره فهو من دون انتماء من الأساس، ومن يقع في القلب لا يقبع في الحضن، وسوريا قلب العروبة وفي قلبها».

من جهتهم، رحّب معظم الزعماء والقادة العرب الحاضرون بعودة دمشق إلى مقعدها. وفي هذا الإطار، أمل ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، الذي عاد والتقى الأسد، أن يسهم استئناف مشاركة وفود الحكومة السورية في اجتماعات مجلس «الجامعة العربية»، «في دعم استقرار سوريا، وعودة الأمور إلى طبيعتها، واستئناف دورها الطبيعي في الوطن العربي، بما يحقّق الخير لشعبها، وبما يدعم تطلّعنا جميعاً نحو مستقبل أفضل لمنطقتنا». وقد أدّت الرياض دوراً كبيراً في تسريع وتيرة الانفتاح العربي على دمشق، الأمر الذي حوّل القمة التي استضافتها جدة إلى «حدث تاريخي»، بعدما حاولت الجزائر التي ترأست القمّة في دورتها الماضية المضيّ على الطريق نفسه، غير أن ثمّة معوّقات حالت دون ذلك. وتحرّكت السعودية بشكل عاجل خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، ما أفضى في النهاية إلى عودة العلاقات الدبلوماسية بين الرياض ودمشق، بالإضافة إلى رسم خريطة طريق شارك فيها الأردن والعراق ولبنان لحلحلة القضايا العالقة مع سوريا، بما فيها مسألتا اللاجئين والتهديدات الأمنية، في سياق مبادرة أردنية حاولت عمّان تسويقها منذ نحو عامين قبل أن تبصر النور أخيراً. على هامش القمّة، بدا لافتاً الحراك السياسي السوري، سواء اللقاء الذي جمع الأسد بنظيره التونسي، قيس سعيد، والذي يأتي في وقت تعمل فيه تونس بشكل متسارع على إعادة العلاقات مع دمشق، أو الاجتماع بنائب رئيس الإمارات، منصور بن زايد، الذي أدّت بلاده هي الأخرى دوراً بارزاً في تدفئة الأجواء السورية - العربية، إضافة إلى مدّ جسر جوي لإغاثة المتضرّرين من الزلزال. كذلك، التقطت الكاميرات المصافحة الحارّة بين الرئيس السوري ونظيره المصري عبد الفتاح السيسي، الذي تعاني بلاده من أزمة اقتصادية عبّر عنها بوضوح في كلمته، وهو ما قد يفسّر تباطؤ القاهرة في الانفتاح على دمشق لمنع مزيد من الضغوط الأميركية عليها، على الرغم من استمرار التواصل بين البلدين طوال السنوات الماضية. أيضاً، ذكرت وكالة الأنباء السورية أن لقاءً جانبياً لم تلتقطه الكاميرات جرى بين الأسد وأمير قطر تميم بن حمد، وتخلّلته مصافحة بينهما، قبل أن يغادر الأمير القطري القمّة بمجرّد انتهاء مشاركته في الصورة التذكارية، من دون توضيح أسباب هذه المغادرة.

تملّص سعوديّ صريح من الحرب: اليمن حضر... كما أرادته المملكة

كما كان متوقّعاً، حوّلت السعودية قمّة جدة التي انعقدت برئاستها أمس، إلى منصّة لترويج سرديتها بشأن الحرب في اليمن، مقدّمةً نفسها بوصفها وسيط سلام بين الأطراف اليمنيين، لا قائدة حرب ارتكبت هي فيها جرائم متعدّدة الوجوه تستدعي «تكفيراً» وتعويضات، ومعيدةً تصدير «مبادرتها للسلام» المقدّمة في آذار 2021، وإذ أعلن ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، في كلمته خلال القمة، «(أنّنا) نكرّس جهودنا لمساعدة الأطراف اليمنيين على إيجاد حلّ للأزمة في بلادهم»، في ما ينبئ بأن المملكة عادت لتستشعر قوّة تخوّلها القفز فوق متطلّبات إنهاء هذه الحرب بصورة منطقية وعادلة، فقد أكمل البيان الختامي تلك الصورة المعوجة والمشوّهة بالإعراب عن تأييد المبادرة المشار إليها، والتي «تهدف إلى الدفع بجهود التوصّل إلى حلّ سياسي شامل في اليمن برعاية الأمم المتحدة»، وهو ما كانت حذّرت قيادة صنعاء، مراراً، من أنه يستبطن محاولة للتملّص من تفاهمات رمضان، وإعادة مفاوضات السلام إلى المربّع الأول، حيث كانت تحاول السعودية أن تنتزع بالسياسة ما لم تكسبه بالحرب. وفي دليل إضافي على ما تَقدّم، فقد أعاد البيان التذكير بضرورة «عدم» دعم واشنطن لمسار عودة العلاقات العربية - السورية، كان ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، يرعى «حفل» إعادة سوريا إلى مقعدها في «الجامعة العربية»، مع ما يعنيه التزامن من تحوّلات غير خافية في السياسة الخارجية السعودية، وفي شكل العلاقات السياسية والاقتصادية في المنطقة، علماً أن ابن سلمان يقدّم نفسه على أنه الرجل الذي «أنهى» الحرب (على سوريا)، والتي بدأها غيره.

رحّب معظم الزعماء والقادة العرب الحاضرون بعودة دمشق إلى مقعدها

واشنطن (لا) تقاوم الاستقرار
حسابات الخليجيين مخطئة

إعداد: ريم هاني

قبيل مشاركة الرئيس السوري، بشار الأسد، في القمّة العربية في جدة، رأى عدد من المراقبين الغربيين أن التحوّلات الجديدة أثبتت أن دول «مجلس التعاون الخليجي» تمكّنت من التغلّب «مجدداً» على الانقسامات الداخلية، بهدف تحقيق مصالحها المشتركة التي باتت تتمثّل بشكل رئيس في تحقيق الاستقرار في المنطقة، «مبشّرة» بالتالي بـ«شرق أوسط جديد» بعيد عن الصراعات العبثية. كما حذّر هؤلاء من الرهان على أن التقارب مع سوريا سيتمكّن من «إبعاد» إيران عنها.

بالعودة قليلاً إلى الوراء، وقبل «الانعطافة» السعودية الأخيرة نحو دمشق، وضعت الإمارات والبحرين الحجر الأساس لعملية عودة سوريا إلى «الحضن العربي» من خلال إعادة فتح سفارتيهما في دمشق أواخر عام 2018. آنذاك، حملت مبادرات البلدَين، ولا سيما الإمارات، رسائل رمزية مهمة، مفادها أنه لا يزال للنظام السوري أصدقاء في «مجلس التعاون الخليجي». واليوم أيضاً، تشكّل المساعي لتحسين العلاقات الثنائية بين الرياض ودمشق جزءاً من مساع إقليمية أوسع، تهدف إلى إرساء الاستقرار في الشرق الأوسط بعد عقود من الاضطرابات، كانت دول «التعاون الخليجي» لاعباً رئيساً فيها.

إزاء ذلك، يرى تقرير في «معهد واشنطن» أن عودة سوريا إلى المدار العربي تشكّل نقطة التقاء بين مسارَين مختلفَين، إنّما «متساويَين من حيث الأهمية»، يهدف أوّلهما إلى تخفيف التوتر بين دول «التعاون الخليجي» ومنافسيها الإقليميين، بينما يشمل المسار الثاني سعي دول المجلس إلى تخفيف حدّة التوترات الحالية في ما بينها، ونزع فتيل أيّ صدامات مستقبلية داخل المعسكر نفسه. ولعلّ أبرز المؤشّرات على ذلك، تزامُن الزيارة السعودية إلى دمشق مع إعلان الإمارات وقطر، في اليوم نفسه، أنّ العمل جارٍ بين البلدَين لاستعادة العلاقات الثنائية الكاملة وإعادة فتح السفارتَين.

يشير أصحاب هذا الرأي إلى أنه على الرغم من أنه قد يكون هناك تباين بين الدول الأعضاء في «التعاون الخليجي» حول تطبيع العلاقات مع سوريا، فمن المرجح أن تتغلّب «الذاكرة الجماعية للصراعات السابقة» والرغبة في الاستقرار الإقليمي على الانقسامات الداخلية في المجلس. وبالنظر إلى الوقائع الجيوسياسية الحالية، والجهود الدبلوماسية الكبيرة التي أنفقت لـ«كسر الجليد الإقليمي»، والرغبة الواسعة النطاق في الاستقرار الدائم، فمن غير المرجّح أن تسمح دول الخليج بوصول الصراع حول سوريا إلى مراحل متطرّفة، وبالتالي تعريض «وحدتها التي استعادتها أخيراً» للخطر. وبحسب المعهد، فإن أعضاء المجلس نجحوا أخيراً في «تعزيز» ميزتهم المتمثّلة في الحفاظ على الحدّ الأدنى من التوافق في الآراء بشأن المصالح المشتركة، فيما تكشف هذه المساعي الجماعية عن «مرحلة جديدة في الشرق الأوسط»، سيكون فيها الحوار الهادف إلى التهدئة والتعاون ذي المنفعة المتبادلة بديلاً من المواجهة المباشرة والتنافس الشديد.

من المرجّح أن تتغلّب «الذاكرة الجماعية للصراعات السابقة» والرغبة في الاستقرار الإقليمي على الانقسامات الداخلية

الرهان على «إبعاد» إيران

وتعقيباً على العودة السورية، يلفت تقرير في «المجلس الأطلسي» إلى أن الحرب الأهلية في سوريا والوضع القائم وضعا العالم العربي أمام خيارَين: إمّا الاستمرار في مقاطعة الأسد، والسماح في المقابل لنفوذ إيران بالازدياد، وللعزلة الدبلوماسية والمالية على سوريا بالاستمرار؛ أو - وهو الخيار الذي لجأت دول الخليج إليه بناءً على ما يقول التقرير إنه رهان خاطئ - محاولة إغراء سوريا لـ«الابتعاد عن طهران»، عبر إعادة العلاقات معها «على مضض» لمواجهة «النفوذ الإيراني غير الخاضع للرقابة». يرى هذا الرأي أن المنطق الذي يقوم عليه الخيار الثاني، والذي يفرض إعادة الأسد إلى المدار العربي، «غير سليم»، ويستند إلى «فرضية خاطئة»، مفادها أن النظام السوري والأسد لا يزالان «مستقلّيْن»، ويمكن إبعادهما عن طهران، هذا فضلاً عن أن إيران لن تتخلى عمّا بذلته من دماء وتضحيات ورأس مال سياسي في سوريا بسهولة.

بحسب التقرير، فإن دول الخليج تقود العالم العربي إلى تكرار النهج ذاته الذي اتّبعه إزاء لبنان، والذي «فشل أيضاً في تحقيق أيّ نتائج»، على الرغم من أن «نفوذ إيران، عبر حزب الله في بيروت أخفّ بكثير ممّا هو في دمشق» بسبب طبيعة النظام السياسي في لبنان. ويذهب «الأطلسي» إلى أبعد من ذلك بالقول إن التهدئة في سوريا قد تكون حتى «مفيدة» لإيران، «ولا سيما إذا دخلت مساعدات إعادة الإعمار إلى البلاد». في الواقع، تُعدّ زيارة الرئيس الإيراني، إبراهيم رئيسي، لدمشق أوائل هذا الشهر، خير مؤشّر إلى وضع العلاقات الإيرانية - السورية أخيراً. فخلال الزيارة، أشاد رئيسي بـ«انتصار سوريا رغم العقوبات»، فيما أشاد الأسد بـ«العلاقة المستقرّة والثابتة بين البلدَين بالرغم من العواصف السياسية والأمنية التي ضربت المنطقة»، مشيراً إلى أن هذه الأخيرة لم تؤثّر «على الرؤية المشتركة والثابتة للأحداث». وتابع أن «إيران لم تتردّد في الوقوف إلى جانب سوريا في الحرب التي شُنّت عليها رغم التهديدات والمغريات، وكذلك في تقديم الدعم السياسي والاقتصادي، وتقديم الدماء الغالية حتى». كما وقّع الرئيسان مذكّرة تفاهم للتعاون الاستراتيجي الشامل طويل الأمد، بما يشمل مذكّرة تفاهم بشأن التعاون في صناعة النفط.

في المقابل، نقلت مجلة «نيوزويك» الأميركية عن دبلوماسيين سوريين في نيويورك قولهم إن هذه العودة تحمل معها «رسالة إلى الولايات المتحدة لإنهاء وجودها العسكري المستمرّ والعقوبات التي تستهدف البلاد»، مشيرةً إلى أنها تشكّل حتى الآن «الضربة الأكبر» لسياسة الرئيس الأميركي، جو بايدن، تجاه سوريا. ويمكن فهم ذلك إذا ما أُخذ في الحسبان أن هذه الخطوة ضربت عرض الحائط بجميع المواقف الأميركية الرسمية المعارضة لها، إذ قالت الولايات المتحدة أكثر من مرّة على لسان مسؤوليها إنها «لا تعتقد أن سوريا تستحقّ إعادة القبول في الجامعة العربية»، وإنها «لن تطبّع مع نظام الأسد»، وهي «بالتأكيد، لا تدعم الآخرين على فعل ذلك».

يرى تقرير أن دول الخليج تقود العالم العربي إلى تكرار النهج ذاته الذي اتّبعه إزاء لبنان، والذي فشل أيضاً في تحقيق أيّ نتائج

تقرير

«مفوضيّة اللاجئين» تواصل الابتزاز: «داتا» النازحين مقابل إقامات؟

امتنعت «المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين» (UNHCR) عن تزويد وزارة الداخلية والبلديات بالداتا الخاصة بالنازحين السوريين، مشترطةً إعطاء أكثر من مليون و600 ألف منهم إقامات دائمة وإجازات عمل، إضافة إلى ما تردّد عن عدم إعطاء بيانات اللاجئين السياسيين ومن ارتكبوا جرائم في الداخل السوري. «المفوضيّة» أكدت أنّ «التصاريح مؤقتة ولا تؤدي إلى التجنيس أو الإقامة الدائمة في لبنان»

(مروان بو حيدر)

الجيش والنازحون والغرب

نفت مصادر على صلة بالجيش أن تكون المؤسسة العسكرية قد تلقت إشعاراً بوقف المساعدات المالية الغربية التي تحصل عليها بسبب ما يقوم به الجيش في ملف النازحين السوريين. وقالت المصادر إنه لم يحصل أن تلقت قيادة الجيش أي رسالة من قبل أي دولة تتحدث فيها عن الأمر. وأوضحت أن الجهات الدولية والغربية لم تفتح ملف النازحين مع الجيش بخلاف ما يشاع.

وكانت سفارات الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا في بيروت، قد أشاعت أجواء بأنها احتجت لدى قيادة الجيش على ما أسمته «التورط في ترحيل قسري لعشرات النازحين السوريين من دون ضمان العودة الآمنة لهم، وأنها بصدد إعادة النظر في برامج دعمها للجيش ما لم يتوقف عن هذا الأمر».

لكن المصادر القريبة من الجيش قالت، بأن ما يقوم به الجيش في هذا المجال، هو تطبيق لقرار صدر مطلع هذه السنة، وقضى بترحيل السوريين الصادرة بحقهم أحكام قضايا على جرائم ثبتها القضاء، إضافة إلى آخرين خالفوا القوانين لناحية شروط الإقامة أو من يتسببون بمشكلات واضحة في عدد من البلدات، أو من دخلوا لبنان عن طريق التهريب، وقصدوا «تجار الموت» الذين يتولون نقلهم عبر مراكب في البحر باتجاه سواحل أوروبا.

وأشارت المصادر إلى أن الجيش الذي يملك قنوات تنسيق رسمية مع سوريا، يستخدم هذه العلاقات لتسهيل عمليات التسليم وفق القوانين اللبنانية والمعاهدات الدولية.

لينا فخر الدين

أكثر من 20 يوماً مضت على اجتماع اللجنة الوزاريّة المعنيّة بمتابعة ملف إعادة النازحين السوريين قبل أن تتبعها جلسة وزارية تشاوريّة للبحث في أزمة النزوح، إلا أنّ لا قرار صدر عنهما. مقرّرات الجلسة، كما سابقاتها، كانت بلا فعاليّة ولم تلحقها خطوات تنفيذيّة. هذا ما يبدو واضحاً من القرار المتخذ بشأن تشكيل وفد وزاري يزور سوريا وحديث رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي بأنه مستعد للذهاب إلى دمشق، من دون تفعيل خط الشام - بيروت بعد بانتظار ما ستؤول إليه المحادثات في القمة العربيّة والاتجاه نحو إنشاء الصندوق العربي لدعم إعادة النازحين عبر تأهيل البنى التحتيّة. هذا أيضاً ما ينطبق على اتفاق المعنيين على عقد جلسة وزارية تتضمّن بنداً وحيداً هو بند النازحين حتّى يكون بإمكان الدولة اللبنانية الذهاب بموقف موحّد في هذا الشأن إلى القمّة العربية، قبل «ترحيل» الجلسة إلى 21 أيّار، ثم إلى نهاية الشهر، والتي يتردد أن ملف النازحين لن يكون وحيداً على جدول أعمالها. أمّا الأهم، فكان عدم حصول لبنان على قاعدة البيانات الخاصة بالنازحين والتي طالب «المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين» (UNHCR) بأن تزوّدها إلى وزارة الداخلية والبلديّات في مهلة أقصاها أسبوع، على أن تسقط صفة النازح عن كل من يغادر الأراضي اللبنانية، بعدما أفيد عن دخول 37 ألف سوري إلى بلادهم خلال فترة عيد الفطر ومن ثم عودتهم إلى لبنان بعد انقضاء العطلة.

3 أسابيع مرت ولم تنفّذ المفوضية القرار، على رغم أن ميقاتي التقى ممثّلها في لبنان لتحذيره بأن الدولة اللبنانيّة ستقطع تواصلها وتنسيقها مع المفوضيّة في حال تمنّعت عن تسليم البيانات. اجتماعات وسلسلة اتصالات دارت خلال الأسابيع الماضية، مرّة يتعهّد فيها ممثّلو «المفوضية» بتسليم البيانات ومرّة يتراجعون، «قبل أن يفرضوا شروطاً على لبنان بإعطاء أكثر من مليون و600 ألف نازح سوري إقامات دائمة وإجازات عمل»، وفق ما قال وزير الداخلية والبلديات بسام مولوي خلال لقاء نظّمته «المظلة البيروتية» بعنوان «حوار بيروت» في «مقهى غلاييني» نهاية الأسبوع الماضي.

كما أشارت مصادر مُتابعة للملف إلى أنّ «المفوّضية» أوضحت أنّها تمتلك أسماء لأشخاص سوريين مسجلين لديها على أنّهم «لاجئون سياسيون» و«متورطون في ارتكاب جرائم في الداخل السوري»، ولهؤلاء وضعيّة خاصة إذ تخضع أسماؤهم للمعايير والقوانين الدولية التي تنص على ضرورة عدم تسريبها أو تسليمها للدولة اللبنانيّة تحت أي ذريعة.

> «المفوّضية»: لم نطالب بدمج أو تجنيس اللاجئين السوريين في لبنان

«المفوضيّة»: لا نعرقل العودة

في المقابل، قالت المتحدثة باسم المفوّضية العليا لشؤون اللاجئين ليزا أبو خالد لـ«الأخبار» إنّ «هدفنا هو حماية أولئك الأكثر ضعفاً في المجتمع المضيف كما اللاجئين، وضمان استمرارية الالتزام بمبادئ القانون الدولي. بالتالي، وتبعاً لمهمتنا الخاصّة بالحماية، تواصل المفوضية المشاركة في مقترحات بنّاءة لمعالجة وضع اللاجئين في لبنان وضمان حمايتهم، بما في ذلك القضايا المتعلقة بمشاركة الداتا والتسجيل وغيرها من القضايا المهمّة». وأشارت إلى أنّ «هذه المناقشات شملت مسألة مشاركة الداتا، والتي كانت المفوضية ولا تزال، مستعدة للمشاركة في مناقشات ملموسة عنها. كما اجتمعت المفوضية مع الأمن العام بشأن هذه المسألة حيث اتّفق على تشكيل لجنة تقنيّة للمضي قدماً ضمن المعايير الدولية لمشاركة الداتا وحمايتها»، مشدّدةً على «تعاونهم مع الحكومة على مشاركة داتا اللاجئين السوريين اللبنانية والجزء اللبناني من بلدة الغجر، وحقهم في مقاومة أي اعتداء بالوسائل المشروعة».

إعلان جدة «المحايد» إزاء الأزمة السياسية، والتبني المستمر للبند الخاص بالمقاومة، يؤكد التسليم بنتائج سياسية وعسكرية وأمنية دفعت إلى الاعتراف بالمقاومة وحدود ما تمتلكه من قوة وانتصار محورها واستحالة طمس هذه الحقيقة أو تجاوزها، فضلاً عن أنها رسالة إيجابية جديدة من بين مجموعة رسائل أعقبت الاتفاق الإيراني – السعودي وما نتج منه من تطورات في المنطقة، توّجت أمس في عودة سوريا إلى الجامعة العربية بشخص رئيسها بشار الأسد. ما حصل، لا يعني سوى تكريس لهزيمة فريق ما يُسمى 14 آذار وكل ملحقاته من الذين عملوا طيلة السنوات الماضية على شيطنة المقاومة ووسمها بالإرهاب، مراهنين على ضرب سوريا لإضعاف حلفائها في الداخل، وعلى رأسهم حزب الله.

وبينما لم يرد لبنان في غالبية الكلمات التي أطلقها الرؤساء العرب في اجتماع القمة العربية، حضر فقط في كلمة رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني،

> أجواء إيجابية لجهة إعادة فتح الأسواق الخليجيّة أمام المنتجات والصناعات اللبنانيّة

الذي أكد الاستمرار في تعزيز العلاقات معه، والاستمرار بتقديم المساعدات له. أما رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي الذي غطى الفراغ الرئاسي، فقد استغل الحضور في القمة «لاستجداء» المساعدة، قائلاً إن «معاناة لبنان وشعبه ازدادت تعقيداً بشغور سدة رئاسة الجمهورية وتعذر انتخاب رئيس جديد، إضافة إلى أن لبنان لم يتوان يوماً عن فتح أبوابه أمام النازحين السوريين، وتزايد أعدادهم بشكل كبير جداً، بجعل من أزمة النزوح أكبر من طاقة لبنان على التحمل، من حيث بناه التحتية، والتأثيرات الاجتماعية والارتدادات السياسية في الداخل، ومن حيث الحق الطبيعي لهؤلاء النازحين بالعودة إلى مدنهم وقراهم». وتوجه ميقاتي بالكلام إلى ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان: «من استطاع نقل المملكة العربية السعودية وشبابها إلى المواقع القبادية والريادية التي وصلوا إليها وتحويل المملكة إلى بلد منتج بكل ما للكلمة من معنى، في فترة قصيرة، ليس صعباً عليه أن يكون العضد لأشقائه في لبنان. من هنا، فإننا نتطلع إلى رعاية المملكة ولفتتها الأخوية تجاه بلدي لبنان ليتمكن من النهوض من جديد».

وقال أعضاء من وفود عربية لإعلاميين في جدة، إن كلمة ميقاتي لا تخرج عن السياق العام الذي يتحدث فيه المسؤولون من لبنان، ولكن لن تكون هناك آذان صاغية له، نظراً لأن غالبية المشاركين في القمة لديهم ملاحظاتهم السلبية على أداء كبار المسؤولين. ونقل إعلامي عربي عن مسؤول سعودي قوله: «لماذا يطلب المسؤولون من لبنان الدعم المالي، بينما لا ينفقون هم من جيوبهم قرشاً، علماً أنهم أغنياء كبار وحصلوا على أموالهم من مشاريع استغلوها في لبنان».

من جهة أخرى، أكدت مصادر متابعة أن «الأجواء إيجابيّة لجهة إعادة فتح الأسواق الخليجيّة أمام المنتجات والصناعات اللبنانيّة. وعلمت «الأخبار» أن وزير المهجّرين في حكومة تصريف الأعمال عصام شرف الدين التقى السفير السعودي في بيروت وليد البخاري لمفاتحته بالأمر، فكان الأخير إيجابياً واقترح تشكيل وفد متخصص، وهو ما شجع الرئيس ميقاتي على تضمين الوفد الذي يرأسه إلى القمة العربية في جدة، وزيري الصناعة جورج بوشكيان والزراعة عباس الحاج حسن. وأشار الأخير في حديث مع «الأخبار» إلى أنه «لم يتم طرح هذا الموضوع بعد بشكل اختصاصي - تقني، ولكنني أنتظر أن تكون هناك اجتماعات مع الجانب السعودي، خصوصاً أن هذه القضية وُضعت على جدول أعمالنا»، مؤكداً أنه «ستكون هناك مساعٍ حثيثة لإعادة فتح الأسواق الخليجية».

(الأخبار)

المشهد السياسي

لبنان ليس أولوية عربية
قمة جدة: هزيمة خصوم المقاومة

تقرير

الإمارات تقرأ «الرسالة»
إطلاق مزيد من المعتقلين

يبدو أنّ السلطات الإماراتية استنشعرت خطورة استشهاد غازي عزّ الدين تحت التعذيب في أحد سجونها. فالضغوط التي تسبّب بها مقتله، والمعلومات عن رسالة «غير رسمية» شديدة اللهجة ستصل قريباً إلى الإمارات، قرأتها السلطات جيداً، ما أدى الى إطلاق خمسة موقوفين منذ استشهاد عزّ الدين. في اليومين الماضيين، أطلقت السلطات الإماراتية سراح كل من: رضا صفي الدين، عبد الحميد عز الدين وعادل حمادة. والثلاثة همّ من الدفعة الجديدة (10 لبنانيين) الذين أوقفتهم الإمارات أواخر آذار الماضي، وكان الشهيد عزّ الدين واحداً منهم. وبعد وفاته، أفرج عن أخويه عباس وبسام عزّ الدين. وبقي أربعة موقوفين هم: إبراهيم سرور، مصطفى عزّ الدين، حسين عزّ الدين وإبراهيم متيرك. اللافت، وفق معلومات «الأخبار» أن اثنين منهم، مصطفى وحسين عزّ الدين، تواصلا مع عائلاتهما هاتفياً، بينما لم يجر سرور ومتيرك أيّ اتصال، ولا يملك أحد معلومات عنهما، ما أثار قلق الأهالي على مصيرهما، وخاصة بعد مقتل عزّ الدين، وتواتر أخبار عن «عدم معرفة مصير اثنين من المعتقلين، يُخشى أن يكونا قد لقيا المصير نفسه».

وكانت السلطات الإماراتية قد بدأت حملة اعتقالاتها التعسّفية منذ عام 2014، ولغاية 2019 احتجزت نحو 40 لبنانياً، أفرجت عن معظمهم بين عامَي 2020 و2022 بعد مسار من المفاوضات، فيما أبقت على 7 منهم في سجونها تتراوح محكومياتهم بين 15 عاماً والمؤبّد، وهم: فوزي محمد دكروب، عبد الرحمن طلال شومان، علي حسن المبرد، عبد الله هاني عبد الله، أحمد علي مكاوي، أحمد أسعد فاعور ووليد محمد إدريس.

المتحدث باسم أهالي المعتقلين عفيف شومان قال «من الفظنة أن تطلق السلطات الإماراتية كل المعتقلين بمن فيهم المحكومون لأن الأهالي صبروا كثيراً على هذا الظلم، وهم سيخرجون عاجلاً أو آجلاً وبأي طريقة»، مرجّحاً أنّه إذا لم يحصل ذلك بـ«طيبة خاطر» فسيحصل بـ«القوة»، وخصوصاً أن الإمارات نكثت بوعود سابقة بالإفراج عنهم. ولفت إلى أن ما نشر أخيراً عن رسائل شديدة اللهجة وتحرّك لإطلاق المعتقلين يجب أن يقرأ جيداً.

(الأخبار)

أخبار

ملف الحاكم: تعيين بديل؟

لم يطرأ أي جديد على قضية حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، سوى التأكيد رسمياً على وصول النشرة الحمراء الصادرة عن الإنتربول بحقه، والتي تطالب لبنان بتنفيذها وتوقيفه. لكن اللافت أن المداولات السياسية المتوقفة بسبب انعقاد القمة العربية، لم تصل إلى نتيجة، مع رغبة لدى الرئيس نجيب ميقاتي في إعادة النقاش حول إمكانية أن يبادر مجلس الوزراء مجتمعاً بكامل أعضائه إلى تعيين بديل أصيل عن سلامة، وعدم الاكتفاء بمطالبته بالتنحي عن منصبه. ويفترض ميقاتي أن موافقة ثنائي أمل وحزب الله قد تساعد على إقناع التيار الوطني بالأمر، خصوصاً أن الجميع يريد تعيين بديل عن سلامة خشية أن يطول الفراغ في حال عدم انتخاب رئيس جديد للجمهورية في وقت قريب. وهو أمر تقول القوى السياسية كافة إنه غير ممكن، وإنه يجب ترك هذا الأمر إلى مرحلة ما بعد انتخاب رئيس جديد للجمهورية.

وبينما لم يصدر أي موقف من الموضوع، كان لافتاً تصريح وزير الداخلية بسام المولوي لقناة «العربية» السعودية حول الأمر، وقوله إنه يجب على سلامة التنحي عن منصبه فوراً. وهو أول موقف يصدر عن مسؤول في الحكومة. وترافق موقف وزير الداخلية مع انتشار نسخة عن «النشرة الحمراء» التي يرد فيها اسم سلامة كمطلوب للقضاء الفرنسي في جميع الأوساط الإعلامية والشعبية.

حملة المقاطعة: ارفضوا مسلسل «أشباح بيروت»

أصدرت «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل» في لبنان»، أمس الجمعة، بياناً دعت فيه إلى مقاطعة الدراما التجسسية الإسرائيلية «أشباح بيروت» التي تتناول الشهيد عماد مغنيّة، وبدأ بثّها أمس على منصّة «شوتايم» الأميركية للبثّ التدفّقي قبل أن تنطلق عروضها على الشبكة التلفزيونية غداً الأحد. وحثّت الحملة على «الالتزام في حال مشاهدتها بمعايير الحملة حول مشاهدة منصات الوسائط المتدفقة». الواردة في النقطة الحادية والعشرين من وثيقة الحملة». كما دعت الأجهزة المعنية إلى «اتخاذ الإجراءات المناسبة لتطبيق القانون اللبناني، لا سيما قانون المقاطعة الصادر عام 1955 الذي يورد في مادته الأولى: «يحظر على كل شخص طبيعي أو معنوي أن يعقد بالذات أو بالواسطة اتفاقاً مع هيئات أو أشخاص مقيمين في إسرائيل أو منتمين إليها بجنسيتهم أو يعملون لحسابها أو لمصلحتها متى كان موضوع الاتفاق صفقات تجارية أو عمليات مالية أو أي تعامل آخر أيّاً كانت طبيعته». وذكّرت كذلك بأنّ التساهل القضائي في حالات مشابهة، «يسهّل خرق قانون المقاطعة والتطبيع بشكل عام». علماً أنّ المسلسل يتباهى بأنّ صنّاعه هم ذاتهم الذين قدّموا «فوضى»، أفي آسخاروف وليونور راز. أما اللبنانية جويل توما، فتشارك فيه ككتابة سيناريو ومنتجة منفّذة مساعدة.

يشار إلى أن فريقاً من الشركة الأميركية حضر إلى لبنان قبل عدة شهور، وتعاون مع إعلاميين ومنتجين لبنانيين، في أبحاث تخص الفيلم وإجراء مقابلات مع عدد من الشخصيات الإعلامية، وتجميع صور سوف يتم استخدامها في المسلسل، لكن تبين لاحقاً أن الفريق اعتذر من الذين أجريت معهم المقابلات بأنه لن يستخدمها. علماً أن «الخديعة» قامت أساساً على أن الشركة تنتج وثائقياً من عدة أجزاء، ليتبين أنه عمل درامي على شاكلة البرنامج الخاص بفلسطين والمعروف بأسم «فوضى».

إعطاء الإذن بملاحقة بزي

خلال أسبوع واحد، «جرّدت» نقابة المحامين، محاميَين هما حسن بزي ووديع عقل من «حصانتهما» والتي كانت تعطيهما دافعاً للمضي قدماً في كشف المزيد من المتورطين في نهب الدولة اللبنانيّة والتوغّل أكثر في ملفات الفاسدين، إلا أنّ ذلك لا يُعجب أصحاب النفوذ داخل الدولة، ممّا دفع نقابة المحامين إلى إعطاء الإذن للملاحقتهم.

وبعدما أعطت النقابة الأسبوع الماضي الإذن لرئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي بملاحقة عقل، أعطت الإذن أمس للنائب العام التمييزي القاضي غسّان عويدات بملاحقة بزي بجرم قدح وذم تقدّم بها رئيس بلديّة شبعا، علماً أنّ الأخير مُلاحق بجرائم فساد وهدر مال عام!

ثورة محمد بن سلمان أم حملة علاقات عامّة؟

أسعد أبو خليك *

تتكاثر التحليلات والآراء حول ما يجري في السعودية. في العالم العربي، تتّصف التعليقات بالتهليل والتعظيم والتكبير والمباهاة. اللبنانيون سبّاقون في هذا المضمار، كالعادة. الأطرف، أن المعلّقين (مثل سمير عطاالله وغسان شربل ورضوان السيّد وكتّاب «النهار») يثنون على ما يطلقون عليه «إصلاحات» أو «ثورة» محمد بن سلمان. لكنّ هؤلاء أنفسهم كانوا أثنوا في السابق على «إصلاحات الملك عبدالله» و«إصلاحات الملك فهد»، كما كانت «الحياة» ومثيلاتها في السنينيات في بيروت قد أثنت على «إصلاحات الملك فيصل». هؤلاء يثنون على كلّ ملك سعودي، من دون استثناء. تتذكّرون التهليل العربي لإصلاحات مزعومة للملك عبدالله قبل الملك سلمان؟ أنا أذكره. لكن هذا لا ينفي جذريّة التغييرات التي يجريها محمد بن سلمان في المملكة. لنتّفق على التصنيف والمعايير قبل كلّ شيء.

> يفاوض ابن سلمان الإدارة الأميركية على شروط التطبيع مع إسرائيل
>
> الحديث عن ثورة يقف عند حدود عقوبة السجن ثلاثين سنة للتغريدة الواحدة

يجب الإقرار في البداية بأن الآراء العربية في موضوع السعودية هي غير حرّة: أي أن لمعظم الإعلاميين والمعلّقين والفنّانين والسياسيين ارتباطات مالية مباشرة أو غير مباشرة بالحكومة السعودية، أو هم يطمحون إلى إقامة علاقات مع النظام السعودي. والآراء في الثناء على محمد بن سلمان تأتي حتى من فريق الممانعة: بشار الأسد ووئام وهاب وجبران باسيل أثنوا بشدّة على إصلاحات ابن سلمان. ما هي التغييرات التي أحدثها ابن سلمان؟ وهل تصل إلى مصاف الثورة أم هي في خانة أخرى من الاعتبار؟

لا يختلف اثنان على أن ما جرى في مصر بعد انقلاب 1952، كان ثورة بكلّ معنى الكلمة. جمال عبد الناصر أحدث تغييرات جذرية في العلاقات الاجتماعية والسياسية في البلد، وهو غيّر النظام الاقتصادي وفلسفة الحكم، بالإضافة إلى السياسة الخارجية. عندما تكون التغييرات جذريّة إلى هذه الدرجة، وعندما تتغيّر طبيعة وخلفيّة الطبقة الحاكمة ونظام الحكم، تكون هي ثورة بحقّ وحقيق. أمّا استبدال سعد الحريري بحسان دياب أو نجيب ميقاتي، أو استبدال الحريري والمشنوق بوضاح صادق، أو استبدال طلال أرسلان بمارك ضو، فهذا يكون من باب تغيير الهندسة الداخلية، أو «الديكور» لمصلحة بقاء النظام. جمال عبد الناصر طبّق ما سمّته ميرفت حاتم سياسة «نسويّة الدولة». حتى في العراق، كانت اتحادات المرأة في الحكم البعثي تعاقب الرجل أو شيخ القبيلة الذي يفرض زواجاً على فتاة. ليس الإصلاح الاجتماعي في السعودية على هذه الدرجة من الجذريّة.

لقد أحدث محمد بن سلمان تغييرات حقيقية في النظام السياسي وفي المجتمع في المملكة. لا يمكن إنكار ذلك، لكنّ تصنيفها ضروري. كانت المملكة قبل عهد سلمان من أكثر الأنظمة تخلّفاً وتحجّراً في العالم أجمع، وكان التزمّت الاجتماعي والديني من أشدّه بين الدول الإسلامية. هذا تغيّر؛ أي أن الانطلاق من القرون الوسطى نحو القرن الثامن عشر هو قفزة بهذا المقياس.

أولاً، غيّر ابن سلمان من طبيعة نظام الحكم، حيث كانت العائلة الحاكمة تحكم من خلال الملك لكن بالتشاور مع إخوة الملك. هذا تغيّر؛ أصبح الحكم في المملكة استبدادياً وطغيانياً وفردياً مطلقاً أكثر من قبل بكثير. حتى في انقلاب الملك فيصل على أخيه سعود، فإن فيصل اعتمد على إخوانه، واستمرّ في اتّباع نظام المشورة (المحصورة طبعاً بأولاد عبد العزيز، كي لا نخلط بين تراث الشورى في الإسلام، والتشاور بين أولاد الملك المؤسّس). الحكم في المملكة السعودية هو اليوم أقسى وأشدّ وأكثر انغلاقاً من أيّ وقت آخر. لم يسبق أن كانت المملكة محكومة من قِبَل فرد واحد كما هي اليوم. هذه الحقيقة تُبطل أيّ محاولة للحديث عن إصلاحات سياسية في المملكة. ليس هناك من أيّ إصلاحات سياسية في عهد ابن سلمان. صُنع القرار بات محصوراً بيد وليّ العهد ولا يشاركه أيّ شخص في ذلك، ولا حتى أبوه. من هذا المنطلق، ينحصر الحديث عن السعودية في تصنيف السياسات الخارجية والتحوّلات الاجتماعية الجارية.

في السياسة الخارجية، أجرى ابن سلمان تغييرات هامّة، بعضها جذري. هو مثلاً قطع أشواطاً في التطبيع مع إسرائيل وأخرجه إلى العلن. العلاقات بين إسرائيل والمملكة ليست جديدة، وتعاون النظامان في الحرب ضدّ عبد الناصر في اليمن. لكن بعد 11 أيلول، أشرف عبدالله بن عبد العزيز على الانفتاح على إسرائيل (غالباً، من باب الحوار بين الأديان، وليست الأديان إلّا اسماً كودياً للدين اليهودي في فرقه الصهيونية حصراً). المملكة قزّمت أن الطريق إلى قلب الكونغرس والبيت الأبيض يمرّ عبر تل أبيب (نفس منطلق توجّه أنور السادات ومن تبعه في التذلّل). ابن سلمان استقبل في بيته مايك بومبيو الذي اصطحب معه نتنياهو، كما أن التنسيق الأمني بين «الموساد» والمخابرات السعودية جارٍ وفق ما تذكر الصحافة الغربية، ومن دون نفي سعودي. ونتنياهو، في كتابه الأخير، يتحدّث عن علاقاته بالمملكة، وإنْ بكلام ليس مبهماً كثيراً. هذا التغيير التدريجي هو جذري لأن آل سعود كانوا يزعمون (كذباً طبعاً) أنهم في طليعة المهتمّين بتحرير فلسطين. المال السعودي للقضية الفلسطينية كان خوّات يأخذها ياسر عرفات كي يجنّب المملكة أيّ استهداف لمصالحها، وكي يحافظ على توجّه غير ثوري لـ«منظمة التحرير»، ما قادنا نحو «أوسلو». المجاهرة بخطط التطبيع مع إسرائيل، والتفاوض مع واشنطن حول توقيت إعلانه، هي تغيير جذري من قبل ابن سلمان. لكنّ النظام السعودي لم يكن يوماً في صفّ العاملين على تحرير فلسطين أو مجابهة الصهيونية، بالرغم من ضخّ عقيدة معادية لليهودية على مرّ العقود لأن ذلك يتّسق مع العقيدة الوهابيّة التي كانت تُرشد حكّام المملكة.

وفي السياسة الخارجية، نجح ابن سلمان في رسم سياسة سعودية جديدة. لنقُل بأن ابن سلمان ذكي ومُمسك بملفّات الحكم ويستطيع أن يتحدّث فيها بسهولة. هذا أمر جديد. قد يكون أقرب شخص إلى ذلك بين ملوك السعودية هو الملك فهد والملك فيصل، لكن ابن سلمان أعلمهم في ملفّات الحكم ومتابعة تطبيق السياسات. لكنّ الحكم على درجة الإمامة يجب أن يترافق مع الحكم على سياساته منذ أن تولّى الحكم. هو فشل إلى حدّ كبير في السياسات التي اجترحها. والحاكم الحكيم والمتبصّر يجرؤ ويُقدِم لكن لا يجازف أو يُخاطر. كلّ مغامرات ابن سلمان باءت بالفشل: «عاصفة الحزم» كان من المفروض أن تنتهي في غضون أسابيع، حصار قطر كان مفروضاً أن ينتهي بقبول قطر 14 شرطاً وضعها ابن سلمان، ابن سلمان كان مصمّماً على إسقاط النظام في سوريا وعلى إبعاد «حزب الله» عن الحكم في لبنان. هذه المغامرات أدّت في المحصّلة إلى تراجع وليّ العهد وقبوله بشروط مهينة. عادت قطر إلى موقع أقوى من قبل، وعلاقتها مع اميركا أوثق من علاقات أيّ من حلفاء أميركا في الخليج (من المعلوم أن أنظمة الخليج تتنافس في ما بينها على إرضاء واشنطن، وقطر تتفوّق على منافسيها، وهي ابتعدت عن موسكو منذ الحرب في أوكرانيا، كما أن إعلامها بات إعلاماً حربيّاً لصالح النظام الأوكراني الصهيوني). قطر هي العضو غير الرسمي في «حلف شمال الأطلسي» من بين الدول العربية، وهي تنفق المليارات على استضافة القوات الأميركية، وتسمح لها بشنّ الحروب من أراضيها. وفي اليمن، وبالرغم من حملات إعلانية ضدّ النظام الحوثي، قبل النظام السعودي بشروط قاسية لإنهاء الحرب في اليمن، وبناءً على ضغط أميركي، لأن الإدارة الأميركية تشعر بأن ابن سلمان فشل في تحقيقه مراده. وفي لبنان، الرجل الذي كان يسعى إلى السيطرة على لبنان لتحقيق مارب إسرائيلية في القضاء على المقاومة، اعترف بفشله وسحب الغطاء عن زعماء سنّة لبنان بعد انفضاح عملية اختطاف وتعذيب وقهر سعد الحريري (بالرغم من استخدام الإعلامية الثائرة، بولا يعقوبيان، في عملية البروباغندا التي صاحبت خطف وحجز الحريري). وخطف خاشقجي كان عملاً متهوّراً غير محسوب، وكاد يعزّل ابن سلمان وينهي طموحاته الملكية. لولا أهمية الإنتاج والتسعير النفطيَّين، ولولا الغطاء الذي وفّرته إسرائيل لولي العهد في عواصم الغرب، لكانت كلّ دول الغرب قد قاطعته ورفضت صعوده إلى العرش. وافتضاح عملية خاشقجي حدّ من قدرة ابن سلمان على مطاردة وقتل معارضيه (وهذا أثّر أيضاً على قدرة جارته الإمارات).

أمّا عن العلاقة مع الولايات المتحدة، فيكمن الحديث عن النجاح في قدرة ابن سلمان على إدارة العلاقة مع الحليف الرئيس. ملوك السعودية الذين سبقوا ابن سلمان، أبدوا خوفاً وذعراً كبيرَين من إزعاج واشنطن. حتى الملك فيصل، خاف من إطالة أمد حظر النفط في عام 1973، ورضخ لطلب كيسنجر بوقف الحظر (رضخ وهو الذي كان يكرّر حصار قطر كان مفروضاً أن ينتهي بقبول قطر 14 شرطاً وضعها ابن سلمان، ابن سلمان كان مصمّماً على إسقاط النظام في سوريا وعلى إبعاد «حزب الله» عن الحكم في لبنان. هذه المغامرات أدّت في المحصّلة إلى تراجع وليّ العهد وقبوله بشروط مهينة. عادت قطر إلى موقع أقوى من قبل، وعلاقتها مع اميركا أوثق من علاقات أيّ من حلفاء أميركا في الخليج (من المعلوم أن أنظمة الخليج تتنافس في ما بينها على إرضاء واشنطن، وقطر تتفوّق على منافسيها، وهي ابتعدت عن موسكو منذ الحرب في أوكرانيا، كما أن إعلامها بات إعلاماً حربيّاً لصالح النظام الأوكراني الصهيوني). قطر هي العضو غير الرسمي في «حلف شمال الأطلسي» من بين الدول العربية، وهي تنفق المليارات على استضافة القوات الأميركية، وتسمح لها بشنّ الحروب من أراضيها. وفي اليمن، وبالرغم من حملات إعلانية ضدّ النظام الحوثي، قبل النظام السعودي بشروط قاسية لإنهاء الحرب في اليمن، وبناءً على ضغط أميركي، لأن الإدارة الأميركية تشعر بأن ابن سلمان فشل في تحقيقه مراده. وفي لبنان، الرجل الذي كان يسعى إلى السيطرة على لبنان لتحقيق مارب إسرائيلية في القضاء على المقاومة، اعترف بفشله وسحب الغطاء عن زعماء سنّة لبنان بعد انفضاح عملية اختطاف وتعذيب وقهر سعد الحريري (بالرغم من استخدام الإعلامية الثائرة، بولا يعقوبيان، في عملية البروباغندا التي صاحبت خطف وحجز الحريري). وخطف خاشقجي كان عملاً متهوّراً غير محسوب، وكاد يعزّل ابن سلمان وينهي طموحاته الملكية. لولا أهمية الإنتاج والتسعير النفطيَّين، ولولا الغطاء الذي وفّرته إسرائيل لولي العهد في عواصم الغرب، لكانت كلّ دول الغرب قد قاطعته

لقد أحدث محمد بن سلمان تغييرات حقيقية في النظام السياسي وفي المجتمع في المملكة (أ ف ب)

أمّا عن العلاقة مع الولايات المتحدة، فيكمن الحديث عن النجاح في قدرة ابن سلمان على إدارة العلاقة مع الحليف الرئيس. ملوك السعودية الذين سبقوا ابن سلمان، أبدوا خوفاً وذعراً كبيرَين من إزعاج واشنطن. حتى الملك فيصل، خاف من إطالة أمد حظر النفط في عام 1973، ورضخ لطلب كيسنجر بوقف الحظر (رضخ وهو الذي كان يكرّر عداءه لليهود واليهودية حتى أمام ضيوفه من اليهود الأميركيين). ابن سلمان فهم من تجربة ترامب أن العلاقة بين البلدَين مبنيّة على المقايضة، وبناءً على ذلك، أدرك أن قدرات القوّة عند الرياض في التفاوض مع واشنطن هي أكبر ممّا قدّرها من سبقوه من الحكّام. ولهذا، فإن ابن سلمان أزعج واشنطن أكثر ممّا أزعجها من سبقوه في الحكم، متمتّعاً في ذلك بعناصر قوّة جديدة: 1) الوفرة الماليّة التي في حوزته بسبب ارتفاع أسعار النفط: كلّما كبرت ثروة الدول الخليجية، زادت شهية دول الغرب للاستحواذ عليها بشتّى الطرق، خصوصاً في بيع الأسلحة، وهي أهمّ من الاستثمارات المالية (تمدّ أميركا السلاح لـ57% من مجمل الدول المتسلّطة في العالم بحسب دراسة لموقع «إنترسبت». 2) التغطية المهنّة التي يحظى بها من اللوبي الإسرائيلي، حتى إن جو بايدن في تفسير تكويعته نحو السعودية (بعد أن كان وصفها بحكم الدولة المارقة، وبعد أن كان قد قال في حملته الانتخابية إنه لا يجد فضيلة واحدة في شخصية ابن سلمان)، ذكر علاقة المملكة مع إسرائيل، وطلب إسرائيل تحسين علاقته بالمملكة. كان اللوبي الإسرائيلي في الماضي في تضادّ مع المملكة. 3) إن شبكة توزيع القوّة في العالم لم تَعُد كما كانت عند انتهاء الحرب الباردة: المحور الصيني ينمو ويزداد قوّة، ما يعطي قدرة للدول النامية على المناورة. والدول الأفريقية تطوّر علاقاتها مع روسيا بالرغم من أن قدراتها أقلّ بكثير من قدرات الصين. محمد بن سلمان تعلّم الحرد ونجح في رهانه على أن أميركا لا يمكن إلّا وأن ترضخ في النهاية لمراضاة السعودية، وهذا ما حصل. لم تجرؤ الإدارة الأميركية على انتقاد المصالحة الإيرانية - السعودية، ولم تجرؤ على انتقاد المصالحة السورية - السعودية.

وزير الخارجية الأميركي تجرّأ فقط على تقريع وزير خارجية الأردن لأنه هدف سهل في دولة فقيرة لا قدرة لها على شراء السلاح الأميركي الباهظ الثمن.

أمّا في الداخل، فهناك يمكن الحديث عن إصلاحات. لكن: هل هي إصلاحات أم حملة علاقات عامّة؟ تأثّر ابن سلمان بتجربة حكومة الإمارات. وحكومة الإمارات (وخصوصاً حكومة دبي) تحكم من خلال شركات علاقات عامّة أوروبية أو أميركية. هم يطلعون بمبادرات فارغة لا قيمة لها، مثل إيجاد منصب وزير السعادة أو وزير التسامح (وللصدفة، فإن وزير التسامح مثلهم بالتحرّش الجنسي والاغتصاب، ولولا حماية الحكومة البريطانية وتدخّل أبو ظبي مباشرة، لكان قد أدين في محكمة بريطانية، تماماً مثلما تدخّلت أبو ظبي للحفاظ على سريّة محاكمة الأميرة هيا ضدّ زوجها السابق في محكمة بريطانية). شركات العلاقات العامّة تطلع بحبل وخدع من أجل تخفيض منسوب النقد في إعلام الغرب، وهي كانت تعلم أن منح المرأة من قيادة السيارة يمثّل أولوية عند الرأي الليبرالي الغربي، شأنه شأن لباس المرأة المسلمة. وكانت السعودية هي الدولة الوحيدة في العالم التي تمنع المرأة من قيادة السيارة، وقرار السماح لها بالقيادة جاء بعد نحو قرن من السماح للمرأة بقيادة السيارة والطائرة في دول المشرق ومصر. وعندما يزول عاملا اللباس وقيادة السيارة، لا تعود النسويّة الغربيّة تكترث لوضع المرأة في بلادنا. كلّ ما شغل بال حكومات وإعلام الغرب عن أفغانستان هو البرقع: بقي أو يزول بوجود الاحتلال الأميركي. القنابل الأميركية فوق رؤوس نساء أفغانستان لم تزعج نسويّات الغرب الليبراليّات.

ثمّ هناك «هيئة الترفيه». هنا، أحدث ابن سلمان تغييراً كبيراً وغير مكلف له. إلهاء الشباب السعودي وحرفه عن الدين المتزمّت نحو الرقص والغناء والمصارعة والرياضة، كلّ ذلك كان في صلب برنامج ولي العهد. وكان ذلك ضمن إصلاح دور المؤسّسة الدينية وإبعادها عن الحيّز الثقافي، وهو دور ظلّ يتعاظم منذ انتفاضة الحرم في عام 1979. قلّص ابن سلمان دور السلطة الدينيّة، وقمع رجال الدين من الذين لم يماشوه في سياساته الجديدة، وهو غيّر الهويّة السياسية للمملكة، وزرع هويّة وطنية (غير دينية) تستعير من وطنيّة الشوفينية المصرية واللبنانية. لكن من المبكر الحديث عن نجاح في هذا الصدد. وحدها الـ«إيكونوميست» تحدّثت عن نقمة متزايدة بين الناس لأن ابن سلمان نقل وجهة الرأي العام من نقيض ديني متزمّت إلى نقيض لا ديني مبنيّ على الترفيه الرخيص والمبتذل، بقيادة الخبير في هذا الترفيه، أي تركي الشيخ، صاحب الكلمة الفصل في الثقافة والفن العربيَّين. قد تنمو معارضة دينيّة في داخل المملكة وقد تأتي نهاية ابن سلمان من هذا القطاع.

أمّا محاربة الفساد، فهذه أيضاً من باب العلاقات العامّة. ابن سلمان لم يستهدف رجال الأعمال والأمراء بصورة عامّة. هو استهدف فقط أولئك الذين سجّلت المخابرات السعودية لهم كلاماً معارضاً لحكمه وشخصه. ولم يكن هناك أيّ إطار قانوني أو مؤسّساتي لإلقاء القبض على الأمراء ورجال الأعمال (لا يزال الوليد بن طلال ممنوعاً من السفر، ولا يزال يرتدي القيد الإلكتروني على مدار الساعة). ثمّ: ماذا تغيّر في الإدارة المالية للمملكة؟ هل أصبحت أكثر شفافية؟ كيف اقتنى ابن سلمان أغلى يخت في العالم، كما اقتنى لوحة مزوّرة بـ450 مليون دولار؟ الأكيد أن الشراء خضع للجنة المالية والموازنة في مجلس الشورى، الذي له من الصلاحية ما لدى مجلس النواب السوري أو الأردني أو البحريني أو القطري أو العماني أو الأوكراني.

للمصالحة مع سوريا وإيران حسابات أخرى. يفاوض ابن سلمان الإدارة الأميركية على شروط التطبيع مع إسرائيل. هو يحتاج إلى تغطية عربية وإسلامية، والنظام السوري لم ينبس ببنت شفة ضدّ التحالف الإماراتي والبحريني مع إسرائيل لأن النظامَين تصالحا معه (كلمة تطبيع يجب أن تنحصر في العلاقة مع دولة الاحتلال لا مع غيرها). فشل ابن سلمان في تحقيق تطبيع بين إندونيسيا وإسرائيل أو بين باكستان وإسرائيل للتغطية على التطبيع السعودي في أوانه (قد يكون عمران خان دفع ثمن رفضه إملاءات السعودية وأميركا حول إسرائيل وحول السيادة). ولهجة الإعلام والحكومة في إيران تغيّرت عن السعودية بمجرّد أن أُعلنت المصالحة مع الرياض. لكنّ الإعلام السعودي لا يزال على عهده من تحريض ضدّ النظام الإيراني وكلّ حلفائه «الإرهابيّين» في غُرف السعودية، التي لم تعد تشير إلى إرهاب إسرائيل بالإرهاب. موقع «أكسيوس» نشر مقالة قبل يومين للصحافي الإسرائيلي، بارك رافيد، عن إصرار إدارة بايدن على تحقيق التطبيع السعودي مع إسرائيل في غضون شهور قليلة. لكنّ ابن سلمان يفاوض على الثمن: 1) هو يريد أسلحة متطوّرة، وليست تلك التي تحصل عليها دول الخليج وتكون متخلّفة في تصنيعها وتشكيلها عن مثيلاتها عند الحليف الإسرائيلي. 2) يريد تطويباً له ملكاً من قِبل إدارة بايدن. 3) يريد خفض الصوت بالنسبة إلى ردّة الفعل على جرائم المملكة في الداخل والخارج. لكن مشكلة ابن سلمان باتت عويصة، وهي نفس مشكلة بنيامين نتنياهو. ربط ابنُ سلمان سياساته مع الحزب الجمهوري، والحزب الديموقراطي (على مستوى القاعدة) غير راضٍ عن أيّ علاقة مع السعودية. من مصلحة ابن سلمان أن يقود الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة في السنوات المقبلة، لكنّ أموال السعودية لا تستطيع أن تضمن ذلك، بالرغم من إنفاق إماراتي وسعودي وقطري هائل في واشنطن للسيطرة على السردية السائدة في الإعلام ومراكز الأبحاث (ليست «مؤسّسة الشرق الأوسط» في واشنطن إلّا دكّانة ترويج لأنظمة الخليج بعد أن كانت لعقود مركز تضادّ مع اللوبي الصهيوني).

إن حالة القمع والخوف في المملكة لم يسبق لها مثيل. وكان حكّام المملكة السابقون مشهورين بإصدارات العفو. الحاكم الحالي ظالم وقاسٍ وحقود أكثر من أسلافه. الحديث عن ثورة وعن إصلاح يقف عند حدود عقوبة السجن ثلاثين سنة للتغريدة الواحدة (تمتدّ العقوبة لو قرّر الجاني أن يستأنف الحكم).

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

هل يتصاعد التأييد الشعبي الأممي للمقاومة المسلّحة؟

خالد بركات

في وقتٍ تعود فيه القضية الفلسطينية إلى الواجهة السياسية والإعلامية الدولية، ومع تواصل العدوان الصهيوني واستئناف الكيان سياسة الاغتيالات وما تبعها من ردود فعل فلسطينية، يعلو مستوى التعاطف الشعبي الأممي مع المقاومة المسلّحة، وتتقدّم المقاومة التي نجحت في تعزيز الوحدة الشعبية وتقوية الجبهة الداخلية، خصوصاً في قطاع غزة المحاصر. وعلى الضفة الأخرى، ترى منظّمات صهيونية «ارتفاعاً خطيراً في معاداة السامية» و«الكراهية لليهود»، وتعقد مؤتمرات خاصة للبحث في هذه «الظاهرة الخطيرة الآخذة في النمو» كما تقول. فمن الطبيعي أن يسعى أنصار إسرائيل إلى تقديم مبرّرات لأسباب تعاظم الحركة الشعبية الدولية المناهضة للكيان الصهيوني ومشروعه العنصري الاستيطاني، كما من الطبيعي أيضاً أن تكون هذه الذرائع من خارج سياق الواقع وتطوّرات الصراع العربي - الصهيوني. وإذا كان هذا كلّه مفهوماً بالنسبة إلينا نحن العرب، إلى حدّ البداهة، فإن قطاعات شعبية أممية بدأت تدرك خطورة المشروع الصهيوني، وتتكشّف لها أكثر خديعة «عملية السلام» وفساد «نظام أوسلو»، وضرورة دعم المقاومة الفلسطينية باعتبارها الخيار الوحيد المتبقّي في قبضة الفلسطينيين لانتزاع حقوقهم، أو حمايتها على الأقلّ من خطر التصفية والتبديد.

ونشرت الأكاديمية والصحافية الفلسطينية الأميركية، د. ريما النجار، سلسلة مقالات في موقع «كاونتر كيرينتس»، واكبت فيها التحضيرات والحوارات التي جرت في مؤتمر «حركة المسار الثوري البديل» في أميركا الشمالية، وما صاحبها من فعاليات سياسية وشعبية. كما رصدت النجار ردود فعل المنظّمات الصهيونية في القارة، والتي حذّرت من «تنامي خطاب العنف والتطرّف والكراهية في أميركا الشمالية عموماً، وفي كندا بشكلٍ خاص». وتخلّص مقالات النجار إلى أن الهجوم الصهيوني المستمرّ على «المسار الثوري البديل» يؤكد حقيقة تراجع قدرة التيّارات اليمينية المحافظة المؤيّدة للمشروع الصهيوني من داخل قارّة أميركا الشمالية، في وقت تشهد فيه تصاعُد التأييد الشعبي الأممي للمقاومة الفلسطينية المسلّحة، والذي انتقل من دوائر الهمس أو الرمزية والشعاراتية، إلى التعبير العلني الواضح في رفض ما يسمّى «قوانين الإرهاب». وترى النجار أن منظّمات فاعلة تؤيّد حركات المقاومة المسلّحة مثل «شبكة صامدون»، والعديد من حركات التحرّر والقوى الجذرية والنقابية والطلابية، ساهمت في رفع سقف الخطاب السياسي المؤيّد للمقاومة المسلّحة من جهة، وتطبيع خطاب التحرّر ومشروعية العنف الثوري خارج حسابات وأطر تقليدية ضيّقة، وفي المجتمعات التي تحكمها أنظمة الاستعمار الاستيطاني الكبرى مثل الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وغيرها، من جهة أخرى.

أمّا الكاتبة الكندية، ماريون قوّاص، فكتبت مقالاً في موقع «الميادين نت» بطبعته الإنكليزية بعنوان «حركة التضامن تعود إلى جذورها» (5 أيار 2023)، أشارت فيه إلى حزمة من المتغيّرات الجديدة التي طرأت على خطاب تيّارات حركة التضامن مع الشعب الفلسطيني في كندا. وتذكّر قوّاص ثلاث حقائق جديدة هامّة: الأولى: سقوط خديعة حلّ الدولتين، والثانية: عودة الوعي بجوهر الكيان الصهيوني بوصفه مشروعاً استيطانياً عنصرياً في كلّ فلسطين، وأخيراً: الموقف الداعم للمقاومة المسلّحة وشرعيّتها السياسية والأخلاقية كأسلوب رئيس للتحرير. لقد أشار العديد من السياسيين والكتّاب، أيضاً، إلى «إشكاليات خطاب النانو» مثلاً، وضعف مبرّراته الكثيرة في دعم «المقاومة الأوكرانية المسلّحة ضدّ العدوان الروسي»، في وقت تجري فيه مصادرة حق الفلسطينيين وغيرهم من الشعوب في المقاومة ضدّ العدوان والاحتلال، إذ يُجري تجريم قوى المقاومة الفلسطينية واللبنانية وغيرها، واعتبارها «إرهاباً» و«تطرّفاً»!

ونشهد في السنوات الأخيرة تراجعاً في قوة اللوبي الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة وكندا وأوروبا. فالكاتب الصهيوني، ليف سيستن، يقول إن أبرز جماعات الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة «تموت بشكل بشع» على حدّ قوله، ويؤكد في مقالٍ نشرته صحيفة «هآرتس» في 5 أيار، أن إلغاء «إيباك» مؤتمراتها السنوية يُسهم في «المصير المحتوم». ويُبعد المنظمة المعروفة عن «اليهود والأميركيين، الذين يحبّون إسرائيل». يقول الكاتب: «للأسف، يبدو أن الحرس القديم الذي كان يفهم سياسات التعامل مع القضايا العامّة، تراجع، وحلّ بدلاً منه جيل جديد من القيادات الذين سيديرون «إيباك» كشركة تجارية، وربّما يدعمون المستثمرين الكبار، ليصبح الخاسر الأكبر هو الشعب اليهودي». غير أن تباكي سيستن على تراجع «إيباك» جعله ينسى الأسباب الحقيقية وراء ذلك، وهو تغيّر المزاج العام في الولايات المتحدة وتزايد نقد ممارسات كيانه العنصري، وحقيقة أن إسرائيل لم تَعُد محطّ إجماع 100% في واشنطن.

انكشاف طبيعة المشروع الإمبريالي الصهيوني من جهة، وبشاعة السياسات العدوانية والإجرامية للكيان الصهيوني (العدوان والحروب المستمرة على غزة) من جهة أخرى، كشفت خديعة «عملية السلام» خلال العقود الثلاثة الماضية. هذا كلّه صاحبته متغيّرات وتطوّرات نوعية في تنامي قدرة المقاومة في فلسطين ولبنان - تحديداً -، ومراكمة المزيد من تجربتها العسكرية في مواجهة العدوان، فضلاً عن صعود ظاهرة «عرين الأسود» وكتائب المقاومة في الضفّة. فالشعوب وحركات التحرّر، على عكس الدول، لا تتّخذ موقفاً سلبياً من العنف الثوري، بل إنها تؤيّد مقاومة وطنية يقظة ومبدعة، هدفُها التحرير، ولا تمارس العنف للعنف. والمقاومة العربية بدأت تظهر اليوم باعتبارها المسار الثوري البديل والوحيد لاسترداد الحقوق في مواجهة مسارات الخداع والأوهام والدجل.

يجب التذكير بأن شعوب العالم تعرّضت هي الأخرى لخديعة (عملية السلام بالرعاية الأميركية) على مدار ثلاثة عقود. فالضخّ الإعلامي، وعملية التضليل المنهجي، وشعارات التسوية والمفاوضات، طالت قطاعات شعبية واسعة. وبعد ثلاثين عاماً على «اتفاق أوسلو»، نرى انهياراً متسارعاً لمشروع السلطة الفلسطينية الفاسدة في رام الله، فيما يتصدّع ما يسمّى «حل الدولتين»، ونشهد صعوداً لتيّارات اليمين الفاشي الصهيوني، يُقابله صُعود عربي وفلسطيني شعبيَّين نقيض له. لقد قدّمت طلائع الجماهير الفلسطينية والمقاومة المسلّحة في قطاع غزة، نموذجاً حيّاً مستمرّاً، حين استطاعت تعزيز الوحدة الشعبية بين الفلسطينيين، وإسنادها بالنار، من خلال ربط قضاياهم وحقوقهم باعتبارها قضية تحرّر وطني واحدة، بينما استحالت «الوحدة الوطنية» عبر جولات «المصالحة» الكاذبة واللقاءات العبثية للفصائل الفلسطينية برعاية الأنظمة والمخابرات العربية.

كما يجب تذكير أنفسنا بأن المقاومة الفلسطينية خاضت معركة «سيف القدس» في عام 2021، و«وحدة الساحات» في عام 2022، و«ثأر الأحرار» وغيرها من مواجهات بالصواريخ والرصاص، دفاعاً عن الشعب الفلسطيني، وللذود عن القدس والأقصى والمقدسات، والتصدّي لسياسة الاغتيالات وجرائم الاحتلال في استهداف الأسرى، كما حدث مع الشيخ الشهيد خضر عدنان، وهي - المقاومة - التي تخوض معركة متواصلة يومية، وقد أصبحت الصمغ السياسي الذي يحمي وحدة الشعب الفلسطيني، والسلاح الذي يردع العدو ويكبح جماحه. كلّ ما تقدّم من تطوّرات متسارعة، سيحمل في أحشائه مخاطر وبشائر كثيرة في وقت واحد، فمن جهة تشكّل هذه التطوّرات في الكيان (بما في ذلك أزمته) تهديداً مباشراً على الشعب الفلسطيني، غير أنها في الوقت عينه تمثّل فرصة تاريخية أيضاً إذا أحسنت قوى المقاومة إدارة الصراع، خاصة إذا تسارع التناقض الداخلي في الكيان، وشهدنا تغيّرات في ميزان القوى الدولي، واستمرّ تراجع قوة الإمبراطورية الأميركية، وضعفت قبضتها وتبدّلت أولوياتها الاستراتيجية، فهذا كلّه سيصبّ حتماً في صالح الشعب الفلسطيني ومشروعه الوطني التحرّري.

وأخيراً، فالكفاح المسلّح ليس أسلوباً طارئاً أو جديداً على الشعب الفلسطيني، فضلاً عن أن العنف الثوري المسلّح حق وواجب لكلّ الشعوب التي تتعرّض للاستعمار. وفي الحالة الفلسطينية، فإن المقاومة يجب ألّا تكون «تكتيكاً» أو خياراً من بين خيارات متعدّدة للوصول إلى الأهداف الوطنية، بل طريقاً رئيسياً واستراتيجية ثابتة. فالشعب الفلسطيني يُقدّم التضحيات، ويلتفّ حول المقاومة كضدّة قوية صلبة، ويتحمّل العذاب في سبيل ذلك، وهو – لا أحد غيره – من يُؤمّن المشروعية للمقاومة ويوفّر لها أسباب وعوامل التطوّر والصمود والديمومة. فلا حاضنة عربية وأممية شعبية للمقاومة من دون توافر حاضنة شعبية فلسطينية أولاً وعاشراً.

شارف الموسم الاول لنادي تشيلسي الانكليزي تحت قيادة ملّاكه الجدد على الانتهاء. تغييرات جذرية عرفها النادي في اقل من عام لم يُكتب لها النجاح، بك هي عادت على «البلوز» باحد اسوأ مواسمه تاريخياً. الاعين منصبة حالياً على التحضيرات الصيفية، فهل يتجاوز الرئيس الجديد، الأميركي تود بولي وشركاؤه خيبة البدايات؟

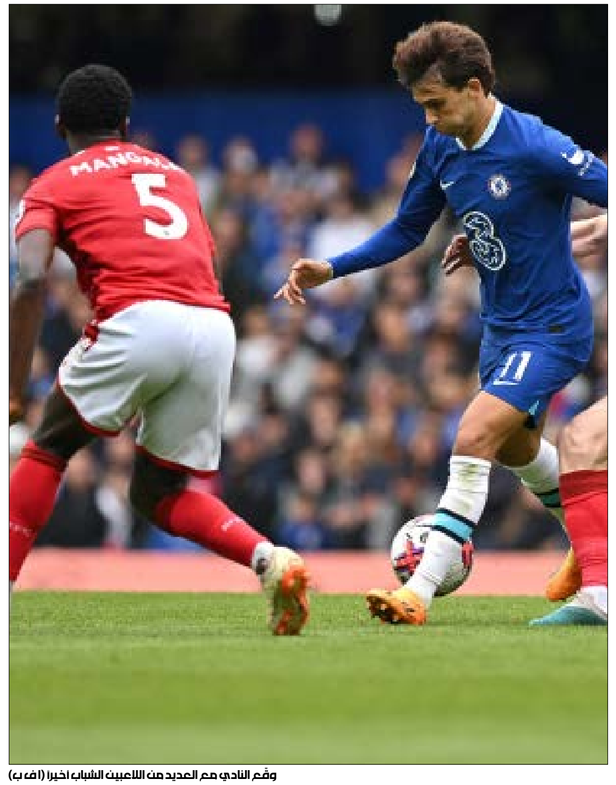
وقّع النادي مع العديد من اللاعبين الشباب اخيرا (أ ف ب)

بريميرليغ

إدارة تشيلسي تعاين الأضرار
الفشل عنوان للموسم الأول

حسين فحص

كان تشيلسي أكثر الفرق صرفاً على الصفقات خلال فترتي الانتقالات الماضيتين، بمجموع لامس 600 مليون يورو. انتدب النادي اللندني كلاً من المدافعَين ويسلي فوفانا وخاليدو كوليبالي، كما الظهير الأيسر مارك كوكوريلا مع متوسط الميدان الواعد كارني تشوكويميكا... فيما تمثّلت أبرز الأسماء بالجناح رحيم ستيرلينغ والمهاجم بيير إيمريك اوباميانغ، ثم أتبعتهم الإدارة خلال الانتقالات الشتوية بأفضل لاعب شاب في كأس عالم قطر، الأرجنتيني إنزو فيرنانديز، والمدافع الواعد بينوا باديشيل كما الجناح الأوكراني ميخائيلو مودريك، الجناح الإنكليزي نوني مادويكي والمهاجمين دافيد داترو فوفانا وجواو فيليكس (إعارة)...

نوعية الصفقات المستقدمة عكست رغبة تود بولي وشركائه على رأس الهرم الإداري في بناء فريق شاب يضم أفضل المواهب حول العالم، غير أن النتائج لم تكن على قدر التطلعات. اللاعبون الشباب لم يتأقلموا بالدرجة والسرعة المطلوبتين، في حين عانى «المخضرمون» من تذبذب المستوى. «الضياع» على أرض الملعب جاء إلى حد كبير بسبب عدم الاستقرار الفني. فبعد إقالة المدرب الأسبق، الألماني توماس توخيل في بداية الموسم، لم يتمكّن خلفه الإنكليزي غراهام بوتر من رفع الفريق إلى مستوى جديد، حيث كان أغلب الفترات أقرب إلى منتصف الجدول من مقاعد المقدمة. وفي ظل فشل المشروع خلال الأشهر القليلة الماضية، ارتأت الإدارة التروي في اختيارها التدريبي المقبل، على أن يتسلّم فرانك لامبارد زمام الأمور كمدرب مؤقت حتى انتهاء الموسم.

الحقبة الأولى للملّاك الجدد سوف تنتهي بموسم صفري وبدون كرة أوروبية في الموسم المقبل، نظراً إلى احتلال الفريق المركز الحادي عشر ضمن بطولة الدوري بعد لعبه 35 مباراة، وبالتالي عدم تأهله الى دوري الأبطال ولا حتى اليوروبا ليغ. ومع ذلك، قد تمثّل النتائج «الكارثية» الحاصلة خير تجربة لبولي وشركائه، كي يتعلموا من الأخطاء ويمضوا قدماً.

> الحقبة الاولى للملّاك الجدد سوف تنتهي بموسم صفري وبدون كرة اوروبية في الموسم المقبل

ورشة كبيرة

الفترة الأولى كان عنوانها التغيير الجذري السريع، من رأس الهرم الإداري حتى اللاعبين. لكن مع توالي الأشهر، بدأت الإدارة الجديدة تأخذ شكلها النهائي ومن خلفها المنظومة، على أن يشكّل الصيف مرحلة مفصلية من التجديد والاستغناء.

الأمر مرتبط بقرارات المدرب المقبل. الأرجنتيني ماوروسيو بوكيتينو وقّع مع النادي اللندني، ليكون على رأس العارضة الفنية لتشيلسي مع انتهاء الموسم الحالي. طريقة بوكيتينو قد لا تتناسب مع النادي بقيادة مالكه السابق رومان ابراموفيتش، الذي كان يركّز على الألقاب بالدرجة الأولى، ولكنها قد تناسب الإدارة الجديدة على المستوى المتوسط. وطوال مسيرته التدريبية التي شملت إسبانيول، ساوثامبتون، توتنهام وباريس سان جيرمان، لم يعتدِل «بوتشي» منصات الألقاب سوى في العاصمة الفرنسية باريس، عندما رفع برفقة الـ«بي آس جي» لقب الدوري الفرنسي كأفضل إنجاز شخصي له. ولكن ما يبرع به الرجل هو بناء الفرق من تحت الى فوق، وبالتالي وضع النادي على الطريق الصحيح نحو البطولات. هذا الأمر ظهر ذلك جلياً مع ساوثهامبتون وتوتنهام. يضاف الى ذلك ان خبرة بوكيتينو في الملاعب الإنكليزية لعبت دوراً بارزاً أيضاً في اختياره، كما أن شخصيته المحببة من قبل اللاعبين، وغير المتشددة في وجه الإدارة، جعلته المرشح الأول لقيادة تشيلسي.

هي فترة جديدة وصعبة. العديد من التحديات تنتظر بوكيتينو، منها تنمية اللاعبين الشباب والحفاظ تباعاً على قيمتهم السوقية، وتحديداً الذين استُقدموا بمبالغ كبيرة مثل الأرجنتيني إنزو فيرنانديز والأوكراني ميخائيلو موديرك...

سوف يكون من المنتظر أيضاً رؤية كيفية خلق بوكيتينو للتوازن في المنظومة بين العناصر الشابة ولاعبي الخبرة، ومن سيدخل قائمة المغادرين وخاصة أنّ صرف تشيلسي الضخم في سوقَي الانتقالات الماضيين جعله معرّضاً لمخالفة قواعد اللعب المالي النظيف. مقابل ذلك، من المرجح استقدام لاعب وسط مدافع، وحارس مرمى ومهاجم، لينضموا إلى صفقات حُسمت في الانتقالات الشتوية، مثل المهاجم كريستوفر نكونكو و الظهير الأيمن مالو غوستو، إضافةً الى بعض العائدين من نظام الإعارة؛ أبرزهم المدافع الواعد ليفي كولويل.

حول العالم

ماركينيوس «باريسي» حتى 2028

أعلن نادي باريس سان جيرمان، متصدر الدوري الفرنسي لكرة القدم، تمديد عقد قائده قلب الدفاع البرازيلي ماركينيوس حتى عام 2028. ووصل البرازيلي الى العاصمة الفرنسية عام 2013 في سنّ الـ 19 قادماً من روما الإيطالي. وقال القطري ناصر الخليفي رئيس النادي: «أتذكره عندما انضم للنادي وهو في التاسعة عشرة من عمره. منذ اليوم الأول، أظهر تفانياً كبيراً وروحاً للفوز وكان دائماً يناضل من أجل قميص باريس سان جيرمان». من جهته، قال ماركينيوس: «أنا سعيد جداً للإعلان عن تمديد العقد، لكنني أيضاً فخور جداً. إنها لحظة مميزة جداً بالنسبة إليّ. أنا مقتنع بأننا سنواصل تحقيق أشياء جميلة معاً في السنوات القادمة». وحقق ماركينيوس لقب الدوري 7 مرات مع الفريق الباريسي وبات قريباً من الثامن، مع ابتعاد سان جيرمان بفارق ست نقاط عن لنس قبل ثلاث مراحل من النهاية. كما توّج بلقب الكأس المحلية ست مرات، وحل وصيفاً لدوري أبطال أوروبا عام 2020 خلف بايرن ميونيخ الألماني.

«ضربة» قاسية لدورتموند

تحوم الشكوك حول مشاركة الإنكليزي جود بيلينغهام لاعب وسط بوروسيا دورتموند المنافس على لقب الدوري الألماني لكرة القدم مع فريقه بمواجهة مضيفه أوغسبورغ غداً الأحد (الساعة 18:30) ضمن المرحلة 33 ما قبل الأخيرة بسبب الإصابة. وقال مدرب دورتموند إدين ترزيتش في المؤتمر الصحافي، أمس الجمعة قبل المباراة المنتظرة، «هناك علامة استفهام كبيرة. يجب علينا فقط أن ننتظر». ويعاني بيلينغهام البالغ 19 عاماً من آلام في ركبته بعد المباراة الأخيرة التي فاز بها دورتموند على بوروسيا مونشنغلادباخ (2-5) في المرحلة الماضية.

ويحتل دورتموند المركز الثاني (67 نقطة) متأخراً بفارق نقطة عن بايرن ميونيخ المتوّج باللقب في المواسم العشرة الماضية قبل مرحلتين من النهاية، ويأمل أن يستفيد من دعسة ناقصة من عملاق بافاريا إن كان أمام ضيفه لايبزيغ اليوم السبت (الساعة 19:30) أو كولن بعد أسبوع لإنهاء هيمنته على «بوندسليغا».

جولة اللقب لمانشستر سيتي

تنطلق اليوم منافسات المرحلة 37 من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم، ويتواجه اليوم الساعة 14:30 بتوقيت بيروت توتنهام مع بينتفورد، وعند الساعة 17:00 يلعب فولهام مع كريستال بالاس، وليفربول مع أستون فيلا وولفرهامبتون مع إيفرتون، كما يرحل بورنموث للاقاة مانشستر يونايتد. أما عند الساعة 19:30 فيستقبل نوتينغهام نادي أرسنال.

وغداً الأحد تلعب ثلاث مباريات. الأولى الساعة 15:30 بين وستهام وليدز يونايتد، أما عند الساعة 16:00 فيلعب برايتون مع ساوثهامبتون، على أن تختتم الليلة بمباراة قمة بين مانشستر سيتي وتشيلسي الساعة 18:00.

ويلعب الاثنين نيوكاسل مع مانشستر سيتي. يذكر أن السيتي يتصدّر الترتيب مع 85 نقطة، وأرسنال الثاني مع 81، مقابل 69 لنيوكاسل الثالث، و66 ليونايتد الرابع، فيما ليفربول خامساً مع 65 نقطة.

وبحسب الترتيب، يستطيع مانشستر سيتي الظفر باللقب في حال خسارة مطارده المباشر أرسنال أمام مضيفه نوتنغهام فوريست، أو حتى يستطيع ضمان اللقب نظرياً في حال انتهاء المباراة الأخيرة بالتعادل، نظراً إلى فارق الأهداف الكبير الذي يفصله عن الفريق اللندني.

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان

صادر عن دائرة تنفيذ النبطية برئاسة القاضي أحمد مزهر في المُعاملة التنفيذية رقم 2022/113 طالب التنفيذ: بنيامين الحمصي بوكالة المُحامي محمد قانصو المُنفذ عليهما: جرجس وسعيد خليل نمر

السند التنفيذي: الحُكم الصادر بتاريخ 2021/10/26 بالرقم 8/ش/2021 عن جانب محكمة بداية النبطية والمُتضمن اعتبار العقارين 2134 و2140 منطقة الخربة العقارية غير قابلين للقسمة عيناً بين الشركاء وبإزالة الشيوع فيه بينهم وطرحهما للبيع بالمزاد العلني وتوزيع الثمن وفق مُندرجات الحُكم.

المُعاملات: تاريخ التنفيذ: 2022/3/29

تاريخ تبليغ الإنذار: 2022/5/10

العقار الموصوف:

1 – 2400 سهماً من العقار 2140 من منطقة الخربة العقارية عبارة عن قطعة أرض بعل غير مبنية وغير مزروعة.

مساحته: 630 م2

التخمين: 75600000 ل.ل.

الطرح: 75600000 ل.ل.

2 – 2400 سهماً من العقار 2134 من منطقة الخربة العقارية عبارة عن أرض بعل غير مبنية خالية من أي إنشاءات بإستثناء بعض خيم اللاجئين.

مساحته: 1160 م2

التخمين: 139200000 ل.ل.

الطرح: 139200000 ل.ل.

الرسوم المُتوجبة: رسم الفراغ والدلالة

مكان المزايدة وتاريخها: نهار الخميس الواقع فيه 2023/7/13 الساعة 11:00 ظهراً أمام رئيس تنفيذ النبطية.

تطرح هذه الدائرة بالمزاد العلني العقارين الموصوفين أعلاه، فعلى الراغب بالشراء إيداع بدل الطرح نقداً في قلم دائرة تنفيذ النبطية واتخاذ محل إقامة له ضمن نطاقها وإلا عُد مقاماً مُختاراً له ما لم يكن ممثلاً بمُحام، وعليه الاطّلاع على قيود الصحيفة العينية للعقارين المطروحين ودفع الثمن والرسوم ضمن المُهلة القانونية تحت طائلة متابعة التنفيذ على عُهدته.

رئيس القلم

دعـــوة

تدعو الهيئة التأسيسية لنقابة أصحاب ومُستثمري بيوت الضيافة كل من تتوفر فيه الشروط المطلوبة إلى الانتساب إلى تقديم طلب الانتساب في مركز النقابة الواقع في ذوق مصبح سنتر مزيارا بلوك A الطابق الثالث مكتب الأستاذ إيلي اصاف، تمتد فترة استقبال الطلبات من ٢٠٢٣/٥/٢٢ (ضمناً) لغاية ٢٠٢٣/٦/١ مُرفقة بالمُستندات القانونية علماً أن الانتخابات حُددت بتاريخ ٢٠٢٣/٦/٥ في مركز النقابة الواقع في ذوق مصبح، سنتر مزيارا بلوك A الطابق الثالث، مكتب الأستاذ إيلي اصاف، من الساعة العاشرة صباحاً لغاية الساعة الواحدة ظهراً. وفي حال عدم اكتمال النصاب تُؤجل الانتخابات إلى يوم الاثنين الواقع في ٢٠٢٣/٦/١٢ في نفس المكان والزمان.

وعليه تُقبل طلبات الترشيح من ٢٠٢٣/٥/٢٢ (ضمناً) لغاية ٢٠٢٣/٦/١ (ضمناً) في مركز النقابة في ذوق مصبح.

استراحة

كلمات متقاطعة 4313

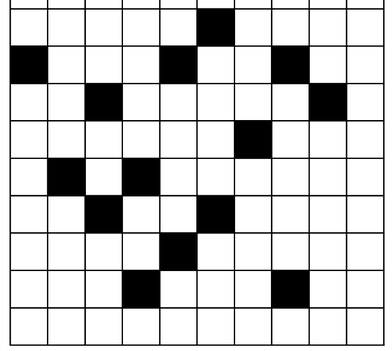

أفقيا

1- آلة إنذار تُستعمل في الحروب – 2- مدينة عراقية – مدينة فرنسية – 3- جواب – تهيّأ للحملة في الحرب – مجموعة أوراق في إضبارة – 4- خصمنا الدود – متشابهان – 5- عاتب – الشيخ الضعيف – 6- طبيب لقّب بجالينوس العرب – 7- بقّال – من الحيوانات – إله مصري – 8- دولة آسيوية – تجويفة اسطوانيّة في الأرض يُخبز فيها – 9- حرف نصب – ثغره – أداة شرط وتوكيد – 10- برلمان

عمودياً

1- الفترة الممتدة من بعثة النبي الى آخر أيام الخلفاء الراشدين – 2- من الحيوانات – طبيب في العمليات الجراحية – 3- حرف عطف – مدينة يمنية – 4- جمود إقتصادي – أزاحم على المركز الأول – 5- مدينة في ولاية الاباما الأميركية – أرتفع النبات – 6- أمر قطيع – ناتي بعده –للإستفهام – 7- بحيرة أوروبية – خنزير بري – 8- حياء – خاصتي – الآن بالأجنبية – 9- سيْل مُغرق – عاصمة أوروبية – 10- قرع الجرس – أهل البادية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- سنام – كوريا – 2- وطواط – بيتو – 3- بلبل – مهيّ – 4- اكاي – منابر – 5- لوم – أعان – 6- صفاقس – وجوه – 7- يو – ستوري – 8- سماد – محو – 9- دب – نال – لسَ – 10- اواغادوغو

عمودياً

1- سور الصين – 2- نطّ – كوفو – دو – 3- اوباما – سبا – 4- مالي – قشم – 5- طب – استانا – 6- لمع – وداد – 7- وب – ناور – لو – 8- ريما نجيم – 9- ينهب – حلو – 10- اوبرا هاوس

sudoku 4313

2		9		8		4		5
6		4	5		1	8		9
				1		5		2
	8			3				
7		2		6			8	
1		8	3		7	2		6
				9				
3		7		2		9		1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4312

8	9	2	4	3	1	7	5	6
7	5	6	8	9	2	4	1	3
4	3	1	5	7	6	2	9	8
6	4	8	2	5	7	9	3	1
5	2	7	3	1	9	6	8	4
9	1	3	6	8	4	5	7	2
3	7	4	9	2	8	1	6	5
2	8	9	1	6	5	3	4	7
1	6	5	7	4	3	8	2	9

مشاهير 4313

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

لاعب دولي للمنتخب الكولومبي في كرة القدم. إشتهر بقوة تسديداته المتقنة من مسافات بعيدة

1+3+2+8+9+5 = سيارة رياضية ■ 6+4+7 = كرم ■ 10+11 = عملة آسيوية

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: جوهر دوداييف

البلاد

مطر عدوان

من يسمع عن قطاع غزة، وما يحصل فيه كل وقت، من عدوان إسرائيلي يصبّ غضبه عليه، يمكن أن يتوقع مكاناً موحشاً بائساً قاحلاً، لا لون فيه، ولا جمال. لا لوم على من يتوقع هكذا، فالحرب والصواريخ الإسرائيلية التي نقرأ عن مواصفاتها، وكمّ الموت الذي تحمله، من الطبيعي أن تزيل الحياة عن صورة الحياة في غزة. ولا سيما أن تلك الصواريخ في أكثر من عدوان، دبّت دبّها على المنازل والأبنية، ولصغر مساحة غزة (360 كيلومتراً مربعاً)، يظنّ المرء أحياناً أنه لم يعد في غزة حجر على حجر.

لكن غزة واقفة ولا تموت

خلال العدوان الأخير، والذي سبقه، كنت أتابع صفحات التواصل الاجتماعي، لالتقاط أخبار إضافية من الأرض، يكتبها الناس الذين يلتزمون منازلهم، فلا ملاجئ في غزة، يحتمي فيها الناس. وكان من ضمن الصفحات التي ظهرت أمامي، ولاحقاً تعمدت الدخول إليها، صفحة الفنان الفلسطيني باسل المقوسي الذي يعيش في قطاع غزة. في منشوراته، جمال يرسمه من قبح الحرب، يبدو أنه كان يرسم، وصوت القنابل والقصف في أذنيه، فلا صوت آخر، كما يبدو في فراغ غزة، حين تكون الحرب.

من مجموعة «مجانين الحرب» الفنان باسل المقوسي

عن باسل المقوسي وبقية الحياة في غزة

في أحد منشوراته يكتب «إن عشت فعش حراً، أو مت كالأشجار وقوفاً... لسنا بخير لا تصدقونا... وأنا شخصياً ضد موتنا المجاني... سلامٌ يا مدينة، لا تموت، ولا تعرف الانحناء!»، مع بداية منشوره المأخوذ من أغنية سميح شقير الشهيرة، وأوسطه حين يعاتب ربما الحاضر والتاريخ، يعود ويختتم، بتحدّ كبير، كأنه تحدّ للحزن والألم، وليس للموت الذي يحاصر غزة كما يحاصر فلسطين، فالرجل ضد «موتنا المجاني»...

لربما حمّلت منشوره أكثر مما هو حمّله، لكنه في منشور آخر، أحب أن أظن أنه يجيبني، يضع الفنان باسل المقوسي صورة لحفيدته بـ«الكريجة» ويكتب «الحرب الأولى مع مريوووم حفيدتي... The First war with "Mariam, my Grandddaughter هذا المنشور، يضع حداً لكل شيء، يمكن أن يعطل الحياة، فيه من السخرية والألم والأمل، ما يكفي، ليجعلني أتخيّله، يواجه بكفه السماء ليلتقط صاروخاً إسرائيلياً بين إصبعيه، ويحوّله إلى لعبة تعبث بها حفيدته مريم.

باسل المقوسي، إنسان أعرفه من خلال صفحته في «فيسبوك»، أتابعه بصمت، لكن هذا الفنان دلّني على وجه آخر لمكان، نسمع عنه يومياً، عن عذاباته، عن وجع حصاره لما يزيد على 15 عاماً، نعلم كم نال من الحرب، وكم نالت الحرب من أبنائه، لكننا قلّما نعلم عنهم من تحت، بين بيوتهم وفي بيوتهم، فإما نراهم بعد الحرب، إن كانت بيوتهم قد تدمرت، أو إن كانوا قد فقدوا من بينهم شهداء، أو لأسباب أخرى قليلة، لكن قلّما نراهم في الحياة، خارج مصطلحات الحصار والحرب، لذلك فنان مثل باسل المقوسي، ومن مثله في غزة، دلّوني، على حياة بالألوان.

«أحاول أن أرسم رائحة الشهداء»، عبارة كتبها مع نشر أكثر من لوحة له، وصحيح أن العبارة مستفزة في خلقٍ أسئلة كثيرة، منها على الأقل، هل سيشتم المشاهد للوحة، «رائحة الشهداء» بالأنف أم بالعين هذه المرة؟ لكن مع صعوبة العثور على الإجابة، وأنا أتأمل اللوحة، شعرت بأن القلب سيستنشق الشهداء، ليبقوا فيه، أحياء، كما يريدهم باسل المقوسي.

لندخل صفحة باسل المقوسي، الفنان الفلسطيني من قرية دمرة، اللاجئ في غزة، لنعرف غزة، لنحميها من ضعف حيلتنا، ولنشعر بأن فيها من يقوّينا على الإيمان بفلسطين. ادخلوا صفحة الفنان فايز الحسني شقيق الشهيد إياد الحسني الذي استشهد في «نار الأحرار» ووالد الشهيد الفنان رماح الحسني الذي استشهد عام 2011. وادخلوا صفحة الكاتب خالد جمعة المقيم في الضفة والذي عاش معظم حياته في غزة، وجربوا أن تشاهدوا فيلم «أوتار مقطوعة» للمخرج الغزي المبدع أحمد حسونة، جربوا كل هذا، لتعرفوا، أن الحرب لا تقتل تماماً، فهي لا تقدر على قتل حب الحياة والأمل.

«أحاول أن أرسم رائحة الشهداء» الفنان باسل المقوسي

لدينا كلّ أسباب الحياة

بهاء شاهرة رؤوف

كنت أصارع الأرق في تلك الليلة، أقلّب في صفحات التواصل الاجتماعي بكل ملل، فجأة، وصل خبر عاجل: ثلاثة شهداء في هجوم إسرائيلي على مناطق متفرقة في قطاع غزة. كان الخبر كفيلاً بجعلي أتوتّر أكثر، خوفاً من سيناريو مُعاد، يحمل في طيّاته الكثير من الفقدان والحزن والدمار.

خرجت من غرفتي لأجد أمّي تتهجّد في قيام الليل، قاطعتها وأخبرتها بأنّ هناك ثلاثة شهداء بهجوم إسرائيلي على غزة. وكما جرت العادة بدأت بالدعاء بالرحمة لهم. لم ينته هذا الموقف هنا، حتى بدأت الغارات الصهيونية تتوالى، وبدأت أمّي بقراءة الأخبار على مسامعنا «الاحتلال يفتح الملاجئ للإسرائيليين في مستوطنات غلاف غزة» الأمر الذي جعل الجميع، يظن أن الزلد قد بدأ، لكن ما لم نتوقعه هو تأخّر الردّ العسكري على الهجوم، الأمر الذي زاد الموقف توتراً.

رفاقي استشهدوا

مع بدء الرد، كان الجميع على صفحات التواصل الاجتماعي يقول المصطلح الغزّي الشهير، عندما تدوّي صافرات الإنذار في المستوطنات «زمّرت»، وكان الناس منقسمين في مشاعرهم، بين من يريد المقاومة والانتقام بشكل كبير من العدو على كل جرائمه، وبين من هو خائف على الناس من القتل والتدمير اللذين ترتكبهما إسرائيل. لا يخضع هذا الانقسام إلى صوابية الأغلبية، وغلبتها على الأقلية مثلاً، بل هو انقسام صحي، الهدف منه الحفاظ على الإنسان الفلسطيني، لكن بشكلين مختلفين تماماً، فمنهم من يريد الحفاظ على الفلسطيني من ماكينة القتل الإسرائيلية، ومنهم من يريد أن يحافظ على ديمومة الإنسان على الأرض التي له.

أن تعيش في فلسطين، يعني أنّك في حالة حرب دائمة، وقطاع غزّة ليس مفصولاً عن باقي الوطن. لكنّ الحياة في قطاع غزّة، تُحتّم علينا، أن نجرّب الألم بشكل أكبر على مدار التاريخ.

بدأ الوضع يزداد ضراوة، وآلة القتل الإسرائيلية، تزداد بربرية ووحشية، وصواريخ المقاومة ترد على الاعتداء، يقيت متماسكاً حتّى وصل خبر استشهاد مجموعة من الرفاق، الذين أعرفهم منذ زمن، تضاربت مشاعري بين الحزن والغضب، لم أستطع السيطرة على مشاعر الحزن لأنني على مدار السنوات التي مضت، فارقت رفاقاً كثراً، كانوا من أفضل الذين عرفتهم في الميادين كافة. وعلى الرغم من الشعور بالحزن الشديد، كنت أردّد المقولة القائلة: «لن تُهزم ما دمت تقاوم» وهنا كان عزائي بهؤلاء الرفاق، أنّنا لم نهزم، وعلى الرغم من هذا، فأنا لست ممن يجعلون الواقع رومانسياً، ولا أدّعي بأن الغزّي لا يُهزم، ولا أصوّر غزّة على أنها دولة نووية، لكنّ الواقع أخرج لنا أناساً أشداء، يحملون أرواحهم على كفوفهم للدفاع بالأشكال كافة، وهذا ما يجعلني مؤمناً بأن هذا الشعب لا يموت ولن يموت.

«نحب الحياة»

بدأت الأمور تتدحرج إلى ناحية معقّدة، وبدأ اليأس يتسلل إلى قلوب بعض الناس، وبدأ المحللون السياسيون يقرأون «بقراءة الجولة، سنستمر إلى ما بعد مسيرة الأعلام المزمع إعلانها آخر الأسبوع» وبدأ الناس بتهيئة أنفسهم لحرب طويلة مثل حرب عام 2014. هذا الأمر جعل بعض الأصوات تلوم الضحيّة التي تدافع عنا، تلوم من يطلقون الصواريخ، ولا تلوم الجلّاد، هؤلاء أرادوا ذلك كي لا تزيد الخسائر البشريّة والدمار. وبصراحة، كان الجميع يخاف من سياسة «الضاحية»، يعني أن تتكرر استهدافات الأبراج السكنية، ليضغط الاحتلال على المقاومة أكثر، لتقبل باي صيغة اتفاق كانت.

في اليوم ما قبل الأخير للعدوان، تم استهداف منزل في حيّنا، فتضرر أطفالنا هو المهم والأولوية في تلك اللحظات القاسية.

كدت أُهزم عندما رأيت خبر استشهاد الطفل تميم داوود، صاحب الخمسة أعوام الذي استشهد بسبب توقف قلبه، بسبب الخوف من أصوات الانفجارات. تمنيت لو أنّ الحرب تتوقّف للحظة ليخرج في تشييعه الكل الفلسطيني في غزّة. تم الإعلان عن وقف إطلاق النار، وبدأنا نتنفّس الصعداء وعلى الرغم من الكمد الذي أصاب القلوب، من فقدان الرفاق والقتل والتدمير، وتسلل اليأس إلى نفسي لوهلة، لكنني استجمعت قواي في النهاية. كنت قد كتبت على صفحتي في لحظة الضعف: «أنا، بهاء، لم تهزمني الحرب، ولم يهزمني فقدان الرفاق، ولم يهزمني هدم البيوت. وهذا لا يعني أنني لا أشعر، أو أنّ مشاعري باردة تجاه الأمور. هزمتني فكرة العيش نفسها، فكرة أن تعيش بخرابك الداخلي حتّى لا يقولوا إنّك هُزمت في معركة الحياة ذاتها».

أخيراً، لدي كل الأسباب للانتحار، ومن السهل جداً إيجاد سبب إضافي. الشاعر خليل حاوي انتحر برصاصة في الرأس بعد اجتياح بيروت عام 1982، لكنّ هذا السبب غير مقنع، لسببين: الأوّل لست شاعراً. الثاني لدينا مقاومة فلسطينية، لا تزال تحارب حتى المستقبل.

لا أصوّر غزّة على أنها دولة نووية، لكنّ الواقع أخرج لنا أناساً أشداء، يحملون أرواحهم على كفوفهم للدفاع بالأشكال كافة، وهذا ما يجعلني مؤمناً بأنّ هذا الشعب لا يموت ولن يموت

مراسل حربيّ

أشرف السراج

في يوم الثلاثاء 9 أيار، عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، كنت عائداً إلى البيت، بعد أن انتهيت من إعداد تقرير عن أكلة «القرصة الفلسطينية»، بعد ساعة من ذلك، الهاتف يرنّ، ليتم استدعائي وفريق قناة «فلسطين اليوم» من أجل تغطية جريمة اغتيال ثلاثة من قادة المجلس العسكري لسرايا القدس، خليل البهتيني وجهاد غنام وطارق عز الدين. المشاعر التي تسبق الخروج إلى العمل في بداية أي جولة مع الاحتلال تشبه الوداع، فالخروج لتغطية عدوان الاحتلال الإسرائيلي، أشبه بالخروج لتنفيذ عملية. فالاحتلال لا يميز، الكل مستهدف طالما أنه فلسطيني، اجتمعت عائلتي لتوديعي بالدموع، لأنهم يعرفون إجرام الاحتلال، ووسائله في محاولات كسر عزيمة الفلسطينيين، وكتم الصورة والرواية الفلسطينيتين عن الجمهور.

توجهت إلى «مجمع الشفاء الطبي»، هناك سيقف الفريق الإعلامي لـ«فلسطين اليوم»، بعد أن غادر المكتب، خشية من استهدافه، كما حصل في معارك سابقة باستهداف مكاتب وأبراج توجد فيها مكاتب وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية والعالمية. كان «مجمع الشفاء الطبي» يضجّ بعائلات الشهداء، الأنباء تتضارب والخبر الذي يحمل الشك لم يعد كذلك.

خرجت في أول رسالة مباشرة في المعركة، وكانت من غرفة ثلاجات الموتى في المجمع، هناك أعلنت تأكيد استشهاد القائد البهتيني وطارق عز الدين. الأمر حينها يشبه، أنك تختبئ من الذين يبحثون عن بصيص أمل لنجاة القادة أو عودتهم للحياة. لكننا بتنا أمام الحقيقة. كل الذين استهدفهم الاحتلال استشهدوا، القادة وأفراد من عائلاتهم. الشعور في تلك اللحظة، تعجز الكلمات عن وصفه، لكن رغم كل شيء، يفرض الميدان نفسه، فنتماسك لنكمل دورنا وواجبنا المهني.

«فلسطين اليوم» هي إحدى قنوات الإعلام المقاوم، تتبع لحركة الجهاد الإسلامي، وهي منبرها الرئيسي للفضاء الخارجي. بدأت صفحة الفنان فايز الحسني شقيق الشهيد إياد الحسني الذي استشهد في «نار الأحرار» ووالد الشهيد الفنان رماح الحسني الذي استشهد عام 2011. وادخلوا صفحة الكاتب خالد جمعة المقيم في الضفة والذي عاش معظم حياته في غزة، وجربوا أن تشاهدوا فيلم «أوتار مقطوعة» للمخرج الغزي المبدع أحمد حسونة، جربوا كل هذا، لتعرفوا، أن الحرب لا تقتل تماماً، فهي لا تقدر على قتل حب الحياة والأمل.

مع بداية رد المقاومة على جريمة اغتيال قادة المجلس العسكري، بدأت الصواريخ تخرج من قطاع غزة، مئات الصواريخ تحت عنوان لافت وضعته المقاومة للمعركة «نار الأحرار»، وخرجت برسالة على الهواء مباشرة، عنونتها براسي «المقاومة تثأر للشهداء»، يستمر الاحتلال في غاراته على كل شيء حي وجامد، فلا يوفر الاحتلال إنساناً أو بيتاً، إلا ويضعه للاستهداف، ومع ذلك «تستمر التغطية». أوقدتني القناة إلى جنازات الشهداء، فكنت أتنقّل برفقة طاقم «فلسطين اليوم» من جنازة إلى أخرى، حتى إنني كنا نصف بعضنا ممازحين بـ«الحانوتي» لكثرة ما سارعنا في خطانا، لنلحق بلحظات تكريم الشهداء، بنقل هتافات المشيّعين، وهي تطالب المقاومة بمزيد من الرد، كنت أتعجب وتصيبني الدهشة، حين يصرخ أقارب الشهيد، لمزيد من التضحيات، مزيد من الدماء التي تراق في سبيل فلسطين، وأحدّث نفسي «أي عزيمة تلك؟»، طالما كنت أسمع أن الله يأخذ من الإنسان شيئاً، ويعطيه أشياء أخرى، كان الشهيد يُصطفى، وتهدى الطمأنينة ومعها الرضا إلى قلوب أهله، لا أجافي الحقيقة، إن قلت، كنا نقوى ونستمد العزيمة والإرادة أكثر من أهالي الشهداء.

في تغطية هذا العدوان، وما سبقه، نسرق من الساعات الـ24، أجزاء من الساعة لننام فيها، لنستعدّ للقادم، نستيقظ على استهداف في الشمال، أو قصف منزل في الجنوب، وقد لا ننعم بأجزاء الساعة للنوم، فنتوجه سريعاً نحو الحدث - الجريمة، في سيارة البث الفضائي التي كتبنا على غبار زجاجها «قبر متنقّل»، بسبب خطورة الوضع، ومن إدراكنا البسيط أننا يمكن أن نكون في قائمة الشهداء في أيّ لحظة، ولعلّي في تلك اللحظات فقط فهمت معنى «الطائرات تعضني» لمحمود درويش في قصيدته «مديح الظل العالي».

لم يكتم الاحتلال صوتنا، وبقينا جنوداً في معركة الحقيقة، ننقل الخبر بالصوت والصورة، وسنبقى كذلك حتى ننقل خبر التحرير وعودة اللاجئين

بعد تغطية أكثر من عدوان على قطاع غزة، شنّه الاحتلال الإسرائيلي، ورؤية الجرائم المروّعة، تبلّدت مشاعري وتجمّدت، عاتبت نفسي مراراً على هذا الأمر، لكنها الحقيقة، ولا مفرّ منها. مع ذلك، كنت أخرج برسائل على الهواء مباشرة، أهدف منها إلى رفع معنويات الجمهور في مواجهة الحرب الإعلامية والنفسية التي يسعى الاحتلال للفوز فيها، فيبث شائعات وأخباراً كاذبة، كان سهلاً تفنيدها، فالكل يعرف الحقيقة، والإعلام المقاوم، ومنه «فلسطين اليوم» تؤكد المؤكد فقط.

قبل سريان وقف إطلاق النار بساعات، توفّرت لدينا مؤشرات إلى قرب انتهاء الجولة، وبدأنا نتجهز لتغطية المسيرات الشعبية التي عادة ما تخرج بعد انتهاء المعارك، لتأييد المقاومة والشد من أزرها، وبالفعل أعلن عن خروج تلك التظاهرات من مخيمات ومدن القطاع كافة. يصعب عليّ أن أقول، إننا تجوّلنا بين المتظاهرين خلال تلك التغطية، فالدقيق، أننا تجوّلنا بين حناجر الناس الذين كانوا يهتفون للمقاومة، مجدّدين لها عهد التضحية.

أوقفت المقاومة عدوان الاحتلال، لكن عملنا كصحافيين في الميدان، لن يتوقف، فالآن الوقت لنقل الصورة من بيوت عزاء الشهداء، وإجراء اللقاءات والتقارير مع أصحاب البيوت التي دمّرها قصف الاحتلال. في هذه التقارير نجمع باقي الحقيقة، لتكتمل الصورة والرواية، المكتوبة والمصوّرة والمضاغة بمهنية ومسؤولية وطنية واجتماعية، تلتزم السياسة التحريرية لإعلام المقاومة - إعلام الشعب.

في ختام رسالتي، أقول، نجونا هذه المرة أيضاً من استهداف الاحتلال، نجوت أنا الشخص الذي يعيش في غزة، ونجوت أنا الإعلامي الميداني أو المراسل الحربي، وتمكّنا أنا والقناة التي أعمل معها «فلسطين اليوم» أن نتصدى للتشويش الذي كان يقوم به الاحتلال على القناة، التشويش الفني، والمحاولة للتشويش المعنوي في عقول المتابعين، فلا فلحَ معهم ولا معنا، ولم يكتم صوتنا، وبقينا جنوداً في معركة الحقيقة، ننقل الخبر بالصوت والصورة، وسنبقى كذلك حتى ننقل خبر التحرير وعودة اللاجئين بالصوت والصورة، ومن عاش المعركة هذه وسابقاتها، مثلي، يدرك أن هذا اليوم قريب، و«التغطية مستمرة».

كان معكم في هذه الرسالة، وحتى يوم التحرير بإذن الله، أشرف السراج، قناة «فلسطين اليوم»، غزة، فلسطين.

«ليس من رأى كمن سمع»

أحمد الصباهي

يعود القول في العنوان، إلى حكاية تروى عن الزير سالم، عندما دار حوار بين البسوس والتُبّع اليماني، حينما أخذت تصف له الجليلة ابنة مرّة، بأوصاف ربما ليست موجودة بامرأة بين نساء الأرض، فاستنكر الملك لها قائلاً: «كأنك تزيّنينها لي وتبالغين في وصف هذه المرأة؟ فردّت عليه بالعبارة التاريخية والتي بقيت أمثولة «ليس من رأى كمن سمع يا مولاي».

سأحاول في هذه المقالة، وليس من السهل القيام بذلك، في عجالة، أن أنقل من عصارة تجربتي، عن الحروب التي خاضها الشعب الفلسطيني، عبر مقاومته في قطاع غزة لسنوات، من خلال تغطيتي الإعلامية في فضائية «فلسطين اليوم»، لقد عايشت حروب القطاع ابتداء من العام 2012، وصولاً إلى آخر معركة خاضتها المقاومة قبل أيام، ألا وهي معركة «ثأر الأحرار»، وأنا أعمل مذيعاً من داخل استديوهات القناة، فماذا أول ما يخطر في بالي عند ابتداء أي حرب، الضحايا.

الضحايا

من أين أبدأ؟ أتساءل عن الضحايا من الأطفال والنساء، والعائلات، كم سيكون الرقم هذه المرة؟ أتساءل مرة أخرى، وكم سيكون حجم الألم عند بداية كل حرب؟ لقد رأيت القذائف تتهاوى على البيوت، والصواريخ التي تسقط الأبراج، مهما تكن عالية وضخمة، عبر أسلحة فتاكة مميتة.

من المشاهد التي لم تفارق مخيلتي، وأرجح أنها في حرب عام 2014، المعركة التي أطلق عليها الاحتلال «الجرف الصامد»، والمقاومة (الجهاد الإسلامي «البنيان المرصوص»، وحماس «العصف المأكول»)، كنت أذيع الأخبار المتواردة، في ساعة متأخرة من الليل، وكان مراسلنا في مستشفى الشفاء بغزة، معي على الهواء مباشرة، وإذ في تلك اللحظة، تصل سيارة إسعاف تحمل خمسة أطفال من عائلة واحدة، مصابين، لم يكن معهم والديهم، كان مصير الوالدين مجهولاً ، لقد رأيت المسعفين ينقلونهم مسرعين إلى داخل المستشفى، وكانوا في حالة إغماء (أو موت)، مشهد لم أنسه إلى الآن، ولم يغادر ذاكرتي، كان من الصعب جداً علي مهما بلغت مهنيتي، أن أحيّد مشاعري جانباً، لم أعرف ماذا أقول؟ لكن الكلام في النهاية خرج، «انظروا إلى الإجرام الإسرائيلي بحق الأطفال»، قلت هذه الجملة، لكن لا جملة تصل لوجع وألم جملة أهل غزة، حين يقولون «عائلة شطبت من سجل النفوس». هذا ما حدث، أبيدت 142 عائلة فلسطينية خلالها، وهذا ما كان يحدث بقرار من القادرة العسكريين في حرب 2014، كما كتبت الصحافية الإسرائيلية عميرة هس في «هآرتس» عام 2014. وهو ما يحدث في القطاع منذ حاصرته إسرائيل عام 2007، فقد وصل عدد من قتلتهم إسرائيل خلال أكثر من 15 عاماً، 5418 إنساناً، 23% أطفال، و9% سيدات، فضلاً عن عشرات الآلاف من الجرحى، وذلك بحسب أرقام أصدرها مركز «الميزان لحقوق الإنسان».

في العدوان الأخير «ثأر الأحرار»، استشهد نحو 33، وجرح أكثر من 100، الألم عليهم كبير، كما أي عدوان سابق، استشهد فيه المئات أو الآلاف، لكن ما ضاعف حجم الألم هذه المرة أيضاً، فقدان ستة من كبار القادة العسكريين لدى «الجهاد الإسلامي»، حزّنت على خسارتهم، وتساءلت كما تساءل غيري، لماذا؟ وأين الخلل؟ لكنني أؤمن أنها ضريبة التحرير، وهذا ما نقلته بالصوت والصورة للجمهور، لا لأرفع المعنويات فحسب، بل لأن الكلمة إن كانت تنبع من إيمان حقيقي تصل، وهذا ما فعلته مع زملائي في الاستديو، وفي الميدان، فالإعلام في هذه اللحظات، هو صلب المعركة، والكلمة رصاصة في قلب العدو، ووردة على صدر الأهل تحت القصف.

المقاومة

في الجانب الآخر من الحروب المظلمة التي يشنها الاحتلال على قطاع غزة، صورة مضيئة مشرقة، لا يحجبها ظلام، تكمن في بسالة المقاومين، وشجاعتهم المنقطعة النظير، في روح التضحية والفداء، وقد رأيته في المواقف البريئة من الصغار، وفي حس كبار السن، وفي دعاء الأمهات، ورأيتها في الصواريخ التي تطلقها أيدي الرجال، ليلاً ونهاراً، وفي «تاسعة البهاء» نسبة إلى الشهيد بهاء أبو العطا القائد في «سرايا القدس»، ورأيت تلك الصورة، حين تسقط تلك الصواريخ على المستوطنات، وعلى تل أبيب، وفي حظر التجول الذي أعلنه أبو عبيدة المتحدث الإعلامي باسم كتائب القسام ذات حرب، وفي كل جولة جديدة من المعارك، بات مشهد رعب المستوطنين، والمدن الخالية، يؤكد على إشراقة الصورة. هذه الصورة المشرقة، كما أنها تدلل على المسار الإلزامي لتحرير فلسطين، فهي أيضاً عزاء أمام الجرائم التي يرتكبها العدو، فهي شعب عنيد، ومقاومته التي لا تلين.

أذكر من المشاهد المفرحة التي لن أنساها ما حييت، أنه في العام 2021، قبيل انطلاق معركة «سيف القدس»، وكنت على الهواء مباشرة، أغطي اقتحامات المستوطنين في «مسيرة الأعلام الإسرائيلية» للقدس، واعتداءات المستوطنين على حي الشيخ جراح، وبعد أن أطلقت المقاومة تهديداتها للاحتلال للكف عما يفعله، وصلنا خبر عاجل «سرايا القدس تستهدف مركبة عسكرية إسرائيلية بصاروخ كورنيت على حدود قطاع غزة»، لحظات ووصلنا الفيديو، وما هي إلا لحظات أخرى، ووصلنا خبر عاجل آخر، عن إطلاق صافرات الإنذار في القدس، لقد انطلقت الصواريخ من القطاع، لقد رأيت على الهواء مباشرة، رأيت بأم عيني، كيف فرّ المستوطنون كالجرذان، يميناً وشمالاً، وكيف انبطحوا على الأرض، وكيف انتقلوا من مكان إلى آخر، وشرطة الاحتلال ترافقهم وتتصرف مثلهم... أين الجبروت؟ أين القوة؟ لقد اندثرت بالصواريخ، وعلى الهواء مباشرة. هذا ما رأيته من داخل الاستديو، هذا ما أذعته، للمشاهدين، لقد رأى الناس كل شيء، إسرائيل ليست جبارة، وليست قادرة، ولا شيء من كل الفقاعات التي تقال.

في هذه المعركة، رأيت صواريخ سرايا القدس تدك المستوطنات، وتصل إلى تل أبيب، والقدس مرتين، كم كبر قلبي في هذه اللحظات، 1099 صاروخاً بحسب إحصاءات جيش الاحتلال، تصدت القبة الحديدية لـ 470 صاروخاً فقط، والأرجح أن الأعداد أكبر من ذلك.

هذه اللحظات، كانت من أجمل ما رأيته في حياتي، لقد ازداد إيماني منذ تلك اللحظة، أن التحرير آت لا محالة.

السلطة الفلسطينية

كان شعوري وما زال، وما أثبتته التجربة، وما رأيته، أن الشعب في واد، وهذه السلطة في واد آخر، كان الشارع العربي والغربي، يتحرك وينتفض ويثور ويغضب للإجرام الإسرائيلي، والسلطة في سبات موافقها المستهلكة والباهتة، والتي لا تخرج عن إطار الإدانة، كأنها سلطة لشعب آخر، هل تلك هي المصيبة الوحيدة؟ لا فالمصيبة أكبر عندما رأيت السلطة تقمع التظاهرات في الضفة لدى خروجها لدعم غزة، نعم لقد رأيتها تحد من مشاركة الناس في التظاهرات، لماذا؟ كنت أتساءل، ما هو المبرر لذلك، لا يوجد إلا مبرر واحد، أن السلطة تخشى أن ينقلب الشارع عليها، ولقد استغربت كيف سمحت للتظاهرات في رام الله في الحرب الأخيرة؟!! وهي التي تقمع الحشود الشعبية وفرحة الأهالي بخروج أبنائهم من سجون الاحتلال؟!!

هذه السلطة التي تطبق المثل القائل «أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب»، لكن السؤال، من هو أخاها؟!! ومن هو ابن عمها؟!!

في هذه الحرب بدت السلطة مهمشة ومعزولة إلى أبعد الحدود، وفعلا الناس في واد، وهي في واد آخر، فلم نسمع لها صوتاً.

بعد انتهاء فترة التغطية الإعلامية

أعرف عن الفنانين، أنه عندما ينتهي دورهم التمثيلي في تجسيد شخصية، يعودون إلى طبيعتهم، لسنا ممثلين بكل ما في الكلمة من معنى، لكننا نؤدي أيضاً على الهواء شيئاً من أدوار تمثيلية، لكننا لا نخرج من أدوارنا، بل تحفر الحروب بمآسيها وبطولاتها في قلوبنا وأرواحنا، عميقاً، طالما الحدث مستمر، فأنا لست أنا، أنام وأستيقظ، وتستمر معي المشاهدات ولا تذوي إلا بعد فترات طويلة، ربما هنا نحمد الله تعالى على نعمة النسيان، لكن يبقى ما هو أشد إيلاماً، وأشد فرحاً، وأستغرب فعلاً عندما أسأل الناس، هل تتابعون الحرب؟ ليس الكل كذلك، فأستغرب أكثر.

هذا شيء من تجربتي في حروب مرت، لكن مسار نضال الشعب الفلسطيني مستمر، وربما ستكون هناك مشاهدات مؤلمة وأخرى فرحة، و«نبقى معكم».

البلاد

صاروخ «رحوفوت»: فانون إن حكى

نضال خلف

ليس خافياً على أحد حجم التحدّي الذي مثّلته معركة «ثأر الأحرار» للشعب الفلسطيني، كما للعدوّ. من جهتنا، كان لخسارة القادة وأسرهم وكلّ الشهداء في غزة أثرٌ كبيرٌ في نفوس الجمهور، لكنّ تحديّات المعركة لم تتوقّف عند هذا الحد. فكانت أسئلة الوحدة الميدانية والقدرة على الاستمرار رغم الخسائر، ومعها نقاش التصعيد وحدوده وملاءاته، كلّ ذلك والعدوّ يحاول الهرب بانتصارٍ ميدانيّ مؤقت في معركةٍ طويلة.

ومن بين المشاهد الراسخة في أذهاننا خلال هذه المعركة، مشهد الدمار الذي تسبّب به سقوط صاروخ للمقاومة الفلسطينية في مستعمَرة «رحوفوت» جنوبي تل أبيب في 14 أيار، وهو الحدث الذي شكّل علامة فارقة في حاضر المعركة (التعجيل بوقف إطلاق النار) وفي مستقبل الاشتباك بين المقاومة الفلسطينية والعدو.

صاروخ «رحوفوت» ليس أول صاروخ يصيب العدو في ما يسمّى بجبهته الداخلية، لكنّه مؤشّرٌ لإرهاصات انقلاب في ميزان العلاقة بين المقاومة الفلسطينية والعدو، وهو ما يجب علينا تقديره وفهمه لإدراك جانبٍ

سيبقى ثأر الأحرار قائماً ما دام في بلادنا أحرار، ومهما بلغ الحزن على أرواح عزيزة نفقدها على الطريق، لا بدّ وأن نبصر الأمل القائم بدماء الشهداء وثبات القابضين على الزناد

مستوطنة «رحوفوت» بعد قصفها بصاروخ أطلقته المقاومة من قطاع غزة (أ ف ب)

من دلالات «ثأر الأحرار» في ما يخصّ مقاومتنا والعدو على حدّ سواء.

يعرّف المفكّر الأفريقي - الجزائري فرانتز فانون العالم الاستعماري بكونه عالماً منقسماً انقساماً كاملاً. والانقسام في العالم الاستعماري ينطلق بعنف المُستعمِر ويمسّ جميع جوانب الحياة الإنسانية، من العالم الخارجي المتمثّل في البنيان والازدهار، وصولاً إلى العالم الداخلي للفرد والجماعة، بما يخصّ الكرامة وإدراك الهوية. وقد شكّل الاستعمار الصهيوني في فلسطين نموذجاً مطابقاً للتعريف فانون، وذلك بمحاولاته الدائمة لتقديم إسرائيل بهيئة «الواحة» المتقدّمة والواثقة والمتطوّرة في محيط متخلّف رجعيّ وكاره لذاته. والأمثلة لا تنتهي سواء داخل فلسطين أو خارجها عن سعي الاستعمار لترسيخ هذا التقسيم وما يحمله من تثبيت للهيمنة والتفوّق الذي ينطلق بالعنف العسكري ويتأبّد بالعنف النفسي الممارَس من قبل المستعمِر على المستعمَر.

ومن آثار هذا التقسيم سلسلة من التناقضات السببية بين طرفي الحرب. فالمستعمِر الذكيّ القويّ المبدع، لا بدّ وأن يقابله مستعمَرٌ غبيٌّ ضعيفٌ متخلّف، وكذلك الأمر في ما يخصّ المجتمعين. وعلى رأس ثوابت هذا التناقض تترسّخ فكرة الأمن التي تقع في صلب دعاية الحدث، ومن معايير نجاح المشروع الصهيوني على أرض فلسطين. إذ طوال العقود الماضية، كانت معادلة الحرب مع الصهاينة تتلخّص بدمار واقتحامات وضمّ أراض ومجازر واغتيالات للجانب الفلسطيني، مقابل أمن وهدوء وازدهار في الجانب المحتلّ. هذا التناقض كان يتآكل شيئاً فشيئاً منذ الانتفاضة الأولى والعمليات الاستشهادية، وصولاً إلى حرب تموز 2006، وما تلاها من حروب غزّة، وليس انتهاء بـ«سيف القدس» وما تلاها.

لكنّ صاروخ «رحوفوت» قدّم صورة متقدّمة عن تآكل هذه المعادلة. فالدمار والفوضى اللذان أحدثهما الصاروخ، دفعا بكثيرين لمقارنة المشهد بصور ما بعد الغارات الصهيونية في غزّة. هذا الانتقال البصري للدمار من الجانب الفلسطيني إلى الجانب الصهيوني، يؤسّس لتغيّرٍ في سقف «المتوقّع» لدى الطرفين في المعارك القادمة. فالدمار لم يعد محصوراً بالجانب الفلسطيني، مثلما لم يعد الأمن حكراً على الجانب الصهيوني. من هنا، يتشكّل وعي مغاير لدى طرفي الحرب، فيدفع المستعمَر حدود «الممكن» في مقاومته إلى مراحل لم تكن بالحسبان، فيما يتلقّى المستعمِر جرعات من الشكّ حول حسابات الثمن التي يقوم عليها مشروعه الاستعماري.

من هنا، نستطيع فهم الاستراتيجية التي اتبعتها حركات المقاومة في عصر ما بعد «أوسلو»، وهي استراتيجية تراكم القوة والخبرة. فالاستعمار الصهيوني استعمار مادي لا تزيله الكلمة (على أهميّتها) ولا الصرخة (على أهميّتها)، بل هي القوة وحدها القادرة على تحطيم جدار التفوّق، وإعلان دخولنا رسمياً إلى حلبة الصراع، بصفة اللاعب وليس بصفة الضحية. ومن المفارقات الاستيطان بعيش في الملاجئ أيضاً، وهو ينتظر تساقط الصواريخ عليه، في أيار 2021 كانت الصورة الأبلغ هي هروب المصطافين من شواطئ تل أبيب، تبّاً لكم هذه شواطئنا، حقّق دوي صفارات الإنذار شيئاً من العدالة المؤجّلة في العالم، لا يحقّ لكم أن تقتلونا وتذهبون للاستجمام. وكم وددت أن أقول هنا، حقّقت صورة الصاروخ شيئاً من العدالة المؤجّلة في ذهني.

يمكن لهذا العربيّ الذي لا يعرف الموضة، ولا يتحدّث لغات أجنبيّة أن يصنع، أن يأخذ نصيبه من شعلة بروميثيوس ويشعلها لنفسه، ويضيء بها ليل أهله، ليس مقدّراً له أن يعيش تحت رحمة الحاجة والخوف. أن يقتل فكرة الهوان، أن يضرب البنية الفوقيّة لفكرة التبعية في مقتل.

لقد كذبوا علينا كثيراً، وفي ظُلمة حفلة الكذب والهوان أضاء الصّاروخ العربي على إمكانات أخرى لاختراع وجودنا في العالم. تعلّمنا من الفلسطيني أن لا مقام لنا إلا في عالم نُعيد ترتيبه، تكون فيه دولة الكيان شبحاً من الماضي، أو لنمُتْ ونحن نُحاول.

تعلّمنا من الفلسطيني أن لا مقام لنا إلا في عالم نُعيد ترتيبه، تكون فيه دولة الكيان شبحاً من الماضي، أو لنَمُتْ ونحن نُحاول

(أ ف ب)

أن نعيد رؤية أنفسنا في مرآة الصّاروخ

طارق العياري

عودة لأوّل التّسعينيات حيث بدأ جيلنا في تونس يعي العالم من حوله، حيث كانت «البوربيبة» قد أحكمت قبضتها الإيديولوجيّة نهائيّاً على تونس، لم يكن هناك شيء كثير لِنتحسّر عليه، فرؤية البوربيبيّة من أسفل، ليست مثل رؤيتها من أعلى، والحكايات التي نسمعها عبر الراديو والتلفاز، أو ندرسها في المدارس عن تونس الجميلة، بدت لنا أشبه بالخرافات منها للحقيقة، فبالنّسبة إلى من يجمع كلّ الهويات المنبوذة في العالم (عربي، أفريقي) والهويّة الدُّنيا في الوطن (ريفي/ فلّاح)، كان العالم ضيّقاً بنا وجاثماً بثقله علينا.

لم يكن الزّمن بعيداً عن انقلاب ابن علي، ولا عن تفكّك الاتّحاد السوفياتي، وإعلان فوكوياما «نهاية التّاريخ»، لم نسمع بشيء عن هذه النهاية، لكنّنا حدثناه في التعاقب التّرتيب للأيّام، وثبات الأحوال على ما نراه عياناً، وما نسمعه بشكل شذري في التّلفاز الذي اقتحم حياتنا حديثاً بقوم عالمنا على تبعيّة الريف للمدينة، وتبعيّة المدينة للعاصمة، وتبعيّة العاصمة لأميركا وفرنسا، هذا قدر اللّه، أن نعيش هُنا في الهامش على فُتات النّروة والأحلام والاعتراف، فلّاحين في حقولنا، (هذا ليس متاحاً للجميع ولا إغراء فيه)، عُمّالاً في مصانع الإيطاليّين، أو خدماً وشُذّاذاً لهم ولأمثالهم في الفنادق، نتسوّل بقشيشهم ونتحمّل إساءاتهم.

كتب توفيق بن بريك في ذلك الزّمن كيف حوّلت السّياحة الصحراوية، أبناء الفرسان وناقلي السلاح للثورة الجزائرية إلى مُترجّلين يقودون جمالهم بالسّياح عبر البوادي والصحاري.

رأينا الوحشيّة المُفرطة التي كان يتمّ بها تدمير العراق، وترويض الفلسطينيين، وكانت تلك الإجابة الأولى عن السّؤال الذي يتبادر إلى أطفال بعمرنا، كيف تقف الدّولة -دولتنا- بلا جرال أمام ما نراه: أن نتجنّب مصير العراقيّين والفلسطينيّين، أن لا نجلب الغضب علينا ونكتفي بقسمة الزّمن لنا في هذا العالم.

فهمنا قسراً أنّنا نستحقّ ما يتربّص بنا، فنحن أدنى من استيعاب العلوم والمعارف الحديثة، فالرياضيات والفيزياء والميكانيك ليست من نصيبنا، هي من نصيب الأوروبي الذي يصنع السّيارة والدفع، وصاروخ الفضاء والآلات الحربيّة، ومن نصيب الصهيوني الذي ابتكر تقنيات الرّي الحديثة، ويصنع الإلكترونيات ويزرع التفاح والخضراوات ويُشجّر الصّحراء، وما علينا سوى أن نتعلّم منه ونلتحق به. كان جوهر «البوربيبيّة» المُترسّخة في أعماقنا كباراً وصغاراً وقتها، أن نرضى بالمرتبة الأدنى في التّراتبيّة الظّالمة للعالم، أن نقبل الهوان، كانت تبريراً قاصراً لكلّ الخيارات السياسية والاقتصادية الكبرى التي سارت فيها البلاد، وتبريراً لإخلاق اللّؤم والسمسرة والنّذالة، ودرساً مواربا في تجنّب مواجهة الأسئلة الكبرى، والطواف العقيم حولها بلا جرأة على الحقيقة، وتعلّم التحذلق والفهلوة.

جاء اللّاقط الفضائي بعد ذلك معلناً عن عصر جديد من التواصل، وفاتحاً أفقاً أرحب للمعرفة، فغرنا أفواهنا أمام فيض اللذة المحرّمة، ولم نكن بأقلّ اندهاشاً وحبوراً أمام اكتشاف وُجود من قالوا لا للتراتبيّة الثابتة للعالم كما عرفناه. ومن بين كلّ من قالوا لا، كان الفلسطينيّ «علّما على رأسه نار» داخل هذه الحلبة، كان الفلسطينيّ واحداً عندنا، رأيناه نقيض ما وُعّدْنا ومثلما تمنّيناه، مقاتلاً يمتشق السّلاح، ويرمي الحجر على الدّبابة واستشهاديّاً يصنع بجسده جحيماً على أعدائه. تماهينا بلا نهاية مع تلك الضّرة، لأنّها غازلت أمكنة خفيّة في أنفسنا ترفض الرُّخص والهوان، كان الفلسطيني المعاد اكتشافه هو رسول المستقبل الآخر الممكن، وكانت رسالته لنا هي «المُقاومة».

حمل 26 تشرين الأول/ أكتوبر عام 2001 اكتشافاً استثنائياً يزعزع نهائيّاً بلا رحمة كلّ ذلك التّرتيب المقيت للكون، وينسفه في أدمغتنا، كان صاروخ القسّام 1. لم يكن عمل نضال فرحات وتيتو مسعود يخترق قوى الجاذبيّة وقوانين قسمة المعرفة والعلم في العالم فقط (فكلاهما لم يدرسا في الجامعة ولا في أوروبا) ولم يحمل الصاروخ الصغير قصير المدى في الفضاء راساً متفجّراً فقط، بل حملنا معه إلى آفاق أرحب، كانت أجنحته هي أجنحتنا التي نناور بها، ومحرّكه هو محرّكنا لنخترق به الجاذبيّة الأرضيّة، كان وعدنا بأن نقلب تراتبيّة العالم أو نلغيها نهائيّاً. لم يخفّ علينا أنّ من كان سلاحه أمضى وقدرته على الإيذاء أكبر، كان موقعه في العالم أكثر أمناً وثباتاً. وفي الوقت الذي تطال فيه يد الضّهايئة كلّ من تريد في أيّ مكان، كانت أيدينا قاصرة عن ردّ اللّطمة، كان يمكن لجيشهم أن يقود حرباً، في حين يواصلون مهرجاناتهم وعربدتهم وغرورهم في غير مكان.

تقوم التراتبيّة الحاليّة للعالم على إبادة العربي في فلسطين، واستعباد العربي في ما حولها بالاثقافة، بالسياسات النيوليبراليّة، وبتقطيع الجغرافيا، والتّهديد المتواصل بالإبادة، وتربيته على اللؤم والخوف والمذلّة. كانت إبادة العربي في فلسطين هي الأصلب. عقّم الصاروخ مفعول الجدار العازل، ونسبياً مفعول سلاح الطيران، وجعل مجتمع

تعلّمنا من الفلسطيني أن لا مقام لنا إلا في عالم نُعيد ترتيبه، تكون فيه دولة الكيان شبحاً من الماضي، أو لنَمُتْ ونحن نُحاول

غزة تستعيد لنا الخطاب الثوري الفلسطيني

(أ ف ب)

موسى السادة

عقد عام 2001 في مدينة دوربان في جنوب أفريقيا المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية، بمشاركة وفد فلسطيني كبير، وكانت من إحدى نتائجه الرئيسة الدفع بشكل متزايد لاستخدام مصطلح الفصل العنصري، «الأبارتهايد»، لوسم القضية الفلسطينية، حتى أمسى لهذا الخطاب مدى انتشار واسع بين المتضامنين مع فلسطين وبل بين الكثير من الفلسطينيين أنفسهم. ولا يمكن فصل العلاقة بين المرحلة التاريخية التي برز فيها الخطاب وبين الخطاب نفسه، حيث أن خطاب «الأبارتهايد» جاء في أصعب مراحل تاريخ النضال الفلسطيني، وبل يجب القول، إن هذا الخطاب ما هو إلا انعكاس لتدهور وضعف فلسطيني، وما بروزه سوى أنه أحد النتائج المأساوية لتلك المرحلة. حيث تم تجريد الشعب الفلسطيني من أنيابه، حتى أمسى كما هو أعزل من السلاح، فهو كذلك أعزل من الناحية الخطابية والنظرية، لدرجة أن يستورد نماذج يسقطها ويفرضها ظلماً على واقعه النضالي. فالعلاقة هنا بين الكفاح المسلح والخطاب الثوري علاقة مباشرة، ومع تردي الحالة الثورية المسلحة تردى كذلك الخطاب الثوري.

بل إن المسألة هنا أوسع من ذلك، فالمرحلة التاريخية ذاتها، هي مرحلة السطوة الخطابية الليبرالية، حتى أمسى هذا الزخم والقوة الخطابية والإيديولوجية رافعة لخطاب «الأبارتهايد» ضمن مسار نهاية تاريخ وبداية آخر. وهو ما أسبغ نوعاً من الشرعية لتبني نموذج خطابي يتماشى مع السردية الغربية، مضفياً شكل المقاربة القانونية التي تعالجها المؤسسات الدولية والغربية غير الحكومية، بما فيها الصهيونية نفسها. وعلى وجه التحديد كانت شعارات الديموقراطية وحرية التعبير وحقوق الإنسان الخلفية التي يستند إليها هذا الخطاب. ضمن سردية أن النقاش وحرية تداول الأفكار والمساواة في الحقوق هو ما ينتج أفضل المخرجات الفكرية والنظرية، وما خطاب «الأبارتهايد» إلا نتيجة لهذه الحرية، خصوصاً في البنى الأكاديمية والـ«ثنك-تانكس»، وهو ما يجعله خطاباً عصرياً مواكباً للمرحلة. بينما أن واقع الأمر عكس ذلك تماماً، فما صعود هذا الخطاب إلا دليل على زيف هذه السردية، ليس زيف أهمية وحق التعبير للبشر، بل أن القوة المادية والخطابية في الميزان الغربي هي لمصلحة النزعة الاستعمارية المتأصلة فيه، فقد كنت كعربي تبدأ النقاش «الحر» عن فلسطين أو أي قضية عربية، وأنت تشعر بثقل السردية الغربية على كاهلك، فيصعب عليك قول سوف نحرر فلسطين من النهر إلى البحر وعبر انتفاضة جماهيرية مسلحة، وترى نفسك تحاول التكيّف، وتستعير بركاكة وذل المستكين خطاب «أنهوا الأبارتهايد الإسرائيلي»، كل هذا إلى أن جاء الغزاوة وغيروا كل ذلك.

فالعلاقة بين استعادة الخطاب الفلسطيني الثوري وسلاح المقاومة في غزة هي علاقة سببية وطردية، حيث يتصاعد الخطاب الثوري على حساب سردية «الأبارتهايد»، وفي حين أن موازين القوى فرضت خضوعاً خطابياً في السابق، فما تفعله صواريخ غزة هو أنها تحرر خطابنا الثوري المكبّل، فبعد أن كان الفلسطيني يلحق لاهثاً عن شرعية خطابية من ناشطين غربيين، فقد استعاد الشعب الفلسطيني، وتحديداً في الشتات طليعته، وأمسى يفرض خطابه، خطاب التحرير الكامل، وأن الكفاح المسلح حق إنساني مقدس، نمارسه ويمارسه أهل غزة رغماً عن العالم أجمع.

فالخطاب الثوري هو النتاج الواقعي لتقدم عمل المقاومة، وهو ثمرة دماء الشهداء، والمراكمة الاستراتيجية للعمل والمنجزات. من أهم المنجزات هي تلك التي تحققها معارك وجولات الاشتباك في غزة، وآخرها «ثأر الأحرار». فهي تؤدي إلى إنعاش معركة العودة في الشتات، حيث أن العمل الفعلي على الأرض يعيد انخراط الفلسطينيين في مخيمات اللجوء وفي الخارج، ويحولهم من لاجئين سمعوا قصصاً تحكى عن النكبة، وعرفوها كمجرد إرث ومفتاح رمزي للعودة، إلى لاجئين ينظمون وتحويلها لمنطلقات، وما يفعله أهل غزة هو انتشالنا جميعاً والانطلاق بنا، وضمن هذه العودة، فكل ما يحدث اليوم، قد كان كنفاني أخبرنا به منذ عقود: «إنني أجرؤ على القول، من خبرة مادية ووأقعية إن هدر مئات الساعات مع الآف من الصحافيين والإذاعيين الأجانب، خلال السنوات الماضية، قد أدى إلى نتائج لا تكاد تذكر. والشيء الوحيد الفعال هو حجم العمل المسلح والعمل السياسي في أرض المعركة ذاتها».

العلاقة بين استعادة الخطاب الفلسطيني الثوري وسلاح المقاومة في غزة هي علاقة سببية وطردية، حيث يتصاعد الخطاب الثوري على حساب سردية «الابارتهايد»

يزال يؤمن بالحوار الديموقراطي الليبرالي الغربي، لتغيير نظرة العالم للقضية الفلسطينية. بالتالي ليس من المبالغة أو الوهم الاحتفاء بالتقدم الذي تحققه المقاومة في غزة، والذي بدوره يعمل على انتشال شعبنا الفلسطيني من هامش التاريخ، ويستعيد خطابنا الثوري في وجه الخطاب الانهزامي الذي يستجدي المجتمع الدولي مطالباً بالحماية. فما يشعر به الفلسطينيون والعرب مع كل معركة هو استعادة خطابنا الأصيل لعافيته، وأن ما يحدث لهو تمرد فلسطيني واضح على الأمر الواقع تحت الاستعمار ومن ينحاز معه، والذي تحاول المؤسسات الغربية بشبكات أموالها فرضه على الفلسطينيين، ويحاول الإعلام التطبيعي الخليجي تمريره في الوعي العربي بشكل مباشر وغير مباشر. أما اليوم فيصنع لنا المقاومون في غزة التاريخ، فهم ينهضون بنا ويعيدون لنا الخطاب الثوري الذي فرض الأمر الواقع الجديد: غزة المحاصرة تردع «تل أبيب»، وعينها على القدس.

أخيراً، تحدث المرحوم جوزيف سماحة عن أن النقد في مرحلتنا هذه يأخذ شكل «العودة للوعي» فوفقاً له «لقد كنا إجمالاً، على حق، وما يجري لنا محطة من مسيرة طويلة»، وما علينا سوى الرجوع للبديهيات وتحويلها لمنطلقات، وما يفعله أهل غزة هو انتشالنا جميعاً والانطلاق بنا، وضمن هذه العودة، فكل ما يحدث اليوم، قد كان كنفاني أخبرنا به منذ عقود: «إنني أجرؤ على القول، من خبرة مادية ووأقعية إن هدر مئات الساعات مع الآف من الصحافيين والإذاعيين الأجانب، خلال السنوات الماضية، قد أدى إلى نتائج لا تكاد تذكر. والشيء الوحيد الفعال هو حجم العمل المسلح والعمل السياسي في أرض المعركة ذاتها».

الأخبار
al-akhbar
السبت 20 أيار 2023 العدد 4918

المفكرة

البرازيل ولو في الحمرا

■ Naima`s Que Nada مشروع جاز برازيلي جديد يضمّ نعيمة يزبك (غناء ـ الصورة) والياس معلّم (ساكسوفون) وآرثر ساتيان (كيبورد) وكيفين صفدي (درامز). اليوم السبت، سيقدّم هؤلاء الفنانون أعمالاً تتنوّع بين الموسيقى الشعبية البرازيلية والـ«بوسا نوفا» والسامبا. بالاعتماد على مختارات كلاسيكية خاصة بـ Djavan وبيبل

جيلبرتو وجوبيم وشيكو بواركي وغيرهم، تغمر موسيقى الفرقة المستمعين بتناغم صوتي دافئ ومقنع، وإيقاعات متعدّدة الثقافات بالإضافة إلى عروض فردية عالية المستوى، من دون أن ننسى رقصات نعيمة الساحرة.

حفلة Naima`s Que Nada: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «صالون بيروت» (شارع محمد عبد الباقي ـ الحمرا/ بيروت). للاستعلام: 01/739317 أو 03/133317

فولكلور وزكي ناصيف وأشياء أخرى

■ يوم الثلاثاء المقبل، يحتضن «برزخ» أمسية موسيقية ـ غنائية حيّة لـ«تِلت». تقدّم

الفرقة قطعاً آلية من تأليف وتوزيع الثلاثي، وأغنيات تقليدية وفولكلورية من بلاد الشام، وأخرى حديثة للملحّن الراحل زكي ناصيف (1916ـ 2004) الذي لطالما رافقت ألحانه رحلة الفرقة، حتى إنشائها على الصعيد الموسيقي الفردي. تتألّف «تِلت» من الفنانين: فرح قدور (بزق ـ غناء/ الصورة)، سماح بو المنى (أكورديون) (عربي، غناء) وعلي حوت (تمبك، دف إيراني، رق).

حفلة لفرقة «تِلت»: الثلاثاء 23 أيار (مايو) الحالي ـ الساعة التاسعة مساءً ـ «برزخ» (مبنى عسّاف ـ الحمرا ـ بيروت/ الطبقة الأولى). للاستعلام: 76/678856 **أو** info@brzkh.org

صور الحرب في سطور

■ «لكلّ منّا تجربته، قصته، ذاكرته وأفكاره حول الحرب، التي تطبع صورها في رؤوسنا، وتبقى ملازمة لنا مهما تقدّمنا في العمر، نتذكّرها في شوارع المدينة، في وجوه الناس، وفي تفاصيل يومياتنا الصغيرة منها والكبيرة». انطلاقاً من هذه الفكرة، تدعو «جمعية السبيل»، في 27 أيار (مايو) الحالي إلى الكتابة عن الحرب وصورها وذكرياتها معاً، في محترف تحت عنوان «لنكتب صور الحرب» في «مكتبة بلدية بيروت العامة» في الباشورة. النشاط الذي يديره علي صبّاغ (الصورة)، «فرصتك للتعبير عن نفسك، أفكارك، أحلامك ووجهة نظرك حول العديد من الموضوعات بطريقة إبداعية، تستطيع من خلالها الغوص في جمال لغتنا العربية واكتشاف مهاراتك بالكتابة!». يكفي أن يكون عمر المشاركين

18 عاماً وما فوق، وأن تكون لديهم الرغبة في الكتابة ولغة عربية بمستوى مقبول.

محترف كتابة باللغة العربية: السبت 27 أيار 2023 ـ الساعة الحادية عشرة صباحاً ـ «مكتبة بلدية بيروت العامة» (بناية الدفاع المدني/ الطبقة الثالثة ـ الباشورة). للاستعلام والتسجيل: 01/667701 **أو** 81/905628

زياد والرفاق: «ليل العاشقين»

■ حفلة جديدة يوجّه من خلالها زياد سحاب تحية إلى جورج وسوف (الصورة)،

يشهدها NOW Beirut (الأشرفية) غداً الأحد. في السهرة المرتقبة، يعزف الفنان اللبناني على عوده بمرافقة العازفين إيلي تومية (كيبورد) وخليل البابا (كمان) وتشارلي فاضل (درامز) وإيلي الحلو (إيقاع)، فيما يتولّى رفيق عبود مهمّة غناء مجموعة من أعمال «سلطان الطرب» الراسخة في الذاكرة. والأغنيات التي وقع عليها الاختيار، هي: «روحي يا نسمة»، «حبيبي كده»، «دبنا ع غيابك»، «الهوى سلطان»، «ليل العاشقين»، «لو يواعدني الهوى»، «لو نويت»، «جرحونا»، «كلام الناس»، «بتعاتبني»، «حبّيت إرمي الشبك»، «يا قلبي مين»، «يلي تاعبنا» و«حلف القمر».

تحية إلى جورج وسوف: غداً الأحد ـ الساعة التاسعة مساءً ـ NOW Beirut **(شارع سليم بسترس ـ الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام:** 01/211122

الجسد العليل

تحرير «إنما»

إن كان للألم مرادفٌ غير الانقباضات الجسمانيّة، وبُعدٌ آخر غير ذلك الواقعي المادّي، فسيكون حتماً النبذ والإقصاء. ما إن ينقضّ الوجع على جسد، أو يغوص في أحد أعضائه، حتى يُجبَرُ على الانصراف عن غيره من الأجساد. يُركل ركلاً خارج تكتّلها الجماعي، ويُفصَل عن أقربها إليه في المسافة، الماديّة أو العاطفيّة. وهذا يعود إلى اختلال في طبيعة الوجع نفسه. ينمو الوجع المادّي ويتضخّم كحشرة تستغلّ الإخفاقَ المدوّي في التعبير عنه، ما خلا انكماش الوجه، كفتح الفم على وسعه، لا لإطلاق صوت، إنما لتفريغ شحنات وتشنّجات تخال أنها ستظلّ عالقة على وجه صاحبها، حتى إن زال الوجع حتى آخره. لا ثقة بالأفواه، فهذه يسهل إخراسها أو تشويشها؛ إما العويل حتى ينتهي صبرُ الحنجرة أو الوُجومُ المطبق، وبينهما الثرثرةُ بوقع آحادي مُضجر. ثرثرة لا تعبأ بالوصول إلى أذن الآخر، بقدر سعيها إلى ترجمة انقلابات المعدة، بخروجها كلاماً إلى المرئي

فالحنجرة كقيء ناشف يفرزه الجوع حين تلتفّ المعدة على نفسها. على المُعتقل أو الأسير، في إحدى محطّات سجنه، أن يقرّر مواجهة الألم بألم آخر، أن يستبدل السياط بالجوع بآخر اختياري كما في حالة الأسرى الفلسطينيين. كلاهما وجع محتّم، وكلاهما سيخلّف أثراً، وإن مضى. هناك ما سيظلّ يباعد الأجسام بعضها عن بعض كما تباعد الندوبُ وجهَ صاحبها عن الصورة النقية التي تدسّها المؤسسات الرأسمالية في جماجمنا. تدسّها كسمّ لا يقتل الجماعة، بل ينقضّ على صاحب الوجه المشوّه سياسياً واجتماعياً، وجماليّاً بسبب القبح. الندوب والقباحة تشعل في الآخرين نيران الجحيم حقاً. نتحدّث في هذا العدد عن الأجساد المعتلّة، بعرقلتها سير الكائنات الأخرى اللاهثة أبداً، حتى وإن وصلت. إن هذا التآكُل في الصورة، وفي الجسم الممدد أو المستلقي تنعكس تآكلاً في اللغة، فتصيب كلّ تعبير إلا الوجع.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 20 أيار 2023
العدد 4918 السنة السابعة عشرة
Samedi 20 Mai 2023 nº 4918 17ème année

لينا مرواني
فلسطين في أشلاء

خليل صويلح

لا تشبه رحلة لينا مرواني (1970) إلى فلسطين ما كابده المنفيون الآخرون، كحال إدوارد سعيد مثلاً. فقد ولدت في تشيلي من أب فلسطيني وأم إيطالية، وتالياً لم تختبر معنى العودة إلى الأرض الأم، لكنها ستستعيد جذورها الأولى في مدينة بيت جالا مع أقرباء بالكاد تتواصل معهم لغوياً، وهذه أولى خسارات المنفى التي سترمّمها بسرد تاريخ أجدادها الذين هاجروا إلى تشيلي هرباً من التعسف العثماني (1915)، وبناء قصتها الشخصية، بدءاً من العنصرية التي واجهها أسلافها في تشيلي، والمشقّة التي عاشها هؤلاء كباعة متجولين، وصولاً إلى الحقبة السوداء في ظل حكم الديكتاتور بينوشيه.

هكذا اكتشفت الروائية التشيلية معنى أن تكون مقتلعاً من أرضك الأصلية نحو أرض أخرى بمواطنة من الدرجة الثانية، وبسبب عنصرية من طراز آخر تتعلّق بعار اللباس والعوز واللكنة المختلفة. عدا الكتاب الذي حمل اسم «أن تعودي فلسطين»، وثّقت لينا مرواني رحلتها إلى «البلاد» بصرياً، لتكشف عن المعاملة العنصرية للمنفيّين الفلسطينيين في المطارات، وسلسلة صارمة من الاستجوابات والتفتيش، وإذا بها تراكم تدريجاً أهوال العيش في ظل سلطة الاحتلال الإسرائيلي ما منح فلسطينيتها «كثافةً» إضافية، و«ندبة سميكة ترغب أن تتباهى بها» نظراً إلى سحنتها الفلسطينية وشعرها المجعّد، الندبة التي طبعت جلد أسلافها. في الرواية، تمتزج السيرة بالذكريات في شريط طويل مكتنز بالتفاصيل والأمكنة والانطباعات الذاتية، فهي «لا تعود جسديّاً إلى مكان لم تزره أبداً فحسب، بل تعود أيضاً إلى فهم ذاتها بمصطلحات عنصرية لم تجرّبها في تشيلي بالطريقة التي عاشها أسلافها». في زيارتها الثانية إلى فلسطين، أواخر العام المنصرم، ستتكشف الصورة أكثر عن معنى الاقتلاع و المنفى والشتات، وضرورة أن تتكلّم عمّا عاشته عن كثب، وكانت حصيلة هذه المشاهدات كتابة نصّين، هما «أن نصبح آخرين»، و«الوجوه في وجهي» كجزء من كتاب بعنوان «فلسطين في أشلاء» سيصدر بالإنكليزية قريباً.

هكذا سلكت قصص لينا مرواني مجرى آخر، فعملت على استرجاع ذكريات عائلتها أو ما تبقى منها في ذاكرة الأب والعمّات، وإعادة صوغها ببناء ذاكرة موازية «أصبحتُ بالتأكيد أكثر اهتماماً بالوضع الحالي، وكان عليّ أن أتخذ موقفاً سياسياً مضاداً للاحتلال. بالنسبة إليّ، كان هذا يعني قراءة تاريخ المكان، والكتابة عن الأسئلة السياسية الراهنة» تقول. كان عليها تشريح كلمة «العودة» وفقاً لما عاشته فعلاً. تشرح هذه الكلمة الملتبسة بقولها: «كانت كلمة «العودة» موجودة هناك، وهكذا، بدلاً من القول إنني أسافر إلى فلسطين أو أزور فلسطين، ظهرت هذه الكلمة الأخرى. أدركت أن هناك نوعاً من الانتداب، أو التفويض العائلي بالعودة، ولو كان ذلك إلى مكان لم أتواجد فيه قبلاً». خارج قوس الهوية، أنجزت لينا مرواني نحو خمس روايات، من عناوينها «رحلات فيروسية»، و«مقبرة قزحية للأرواح»، بالإضافة إلى العمل في خط التماس بين أدب الرحلات والنقد الأدبي والتعليم في جامعة نيويورك لمادة الكتابة الإبداعية. أما الكتابة بالنسبة إليها فهي كما تقول «تمرين حميمي» وتضيف: «أكتب عندما يكون لديّ شيء في ذهني وأحتاج إلى الخروج من نفسي. مشهد، صوت، قصة، سؤال».

ملف

ستّة أعمال تتنافس على الجائزة والإعلان عن الفائز غداً الأحد

«بوكر»: سجلّ التيه والغربة... وأحزاننا العربيّة الكثيرة

وجبة دسمة من الروايات المنتمية إلى الجغرافيا المترامية للعالم العربي، تحضر على مائدة «الجائزة العالمية للرواية العربية» (بوكر العربية) هذا العام، من تخوم صحراء الأزواد في المثلّث الحدودي بين مالي والجزائر وموريتانيا، وصولاً إلى قرية نائية في جبال سلطنة عمان، ومروراً بقرية متخيّلة للاجئين على الضفة الأخرى من الأطلسي، تشتبك جغرافيا السرد بالتاريخ الشائك للإنسان العربي الواقع بين مطرقة الديكتاتوريات وسندان التخلف الاجتماعي والمذهبي والثقافي، وبيع الأنظمة للأحلام الزائفة لكثير من المحبطين أو الباحثين عن الثورة والمعنى، ناهيك بـ«ثوراتها الثقافية» التي قضت على موزاييك التنوع والتفاعل في المجتمعات المختلطة التي كانت يوماً ما قابلة لكوسموبوليتانية ثقافية واجتماعية تصهر الأقليات في النسيج الوطني الكبير كما في ليبيا ما قبل القذافي، إضافة إلى قضايا المهاجرين الذين يكتشف العديد منهم أنهم بهروبهم إلى «بلاد الشمس المشرقة»، لا يعثرون إلا على غروب أحلامهم وآمالهم. تحضر كذلك هموم الأقليات ورواياتها لتاريخ القمع والتهجير والمآسي عبر الأدب الهارب من الرواية الرسمية وخطب المنتصرين: ست روايات تتنافس هذا العام في القائمة القصيرة للجائزة التي يُعلن الفائز بها غداً الأحد في أبو ظبي. نضيء هنا على عوالم هذه الروايات وحبكتها وما تناولته من قضايا شائكة.

عرض وتقديم **محمد ناصر الدين**

حجر السعادة ــ أزهر جرجيس
دار الرافدين (بغداد/ بيروت)

«لقد انزلق ريمون في النهر وغرق، فتوقف العراك وعافت المخالب لحم الفريسة. قفزتُ خلفه. لم أفكّر حينها بأنّي لا أجيد السباحة بما يكفي لإنقاذ غريب، فعند الفاجعة يغدو التفكير ضرباً من البطر. رميت نفسي في الماء، وبدلاً من إنقاذ أخي، غرقنا معاً. وثب خلفنا شاب كان يمرّ قريباً من الجرف، أمسك بي وجذبني خارج الماء، ثم عاد لإتمام المهمة. كان سهلاً على شاب بالغ إنقاذ طفل صغير من الغرق، إلا أنّ للقدر أحكامه كما يبدو، فقد اختفى الطفل تماماً وغاب عن الأنظار. جذبه النهر قبل أن تصل إليه يد المنقذ النبيل! اجتاحني موج الذهول وأنا أشهد غرق أخي. سقطت ونهضت، ثم سقطت ونهضت صارخاً بأصوات لم يفهمها أحد من حولي. كنت أردّد: «ريمون... ريمون... ريمون...» لكنهم لا يفهمون! رأيت الشاب يخرج من دون أخي، لطمت وجهي وقفزت في النهر ثانية، فأخرجني ليقول: «كفى، كفى، لقد غرق أخول، لقد غرق»؛ في هذه الرواية، يستدرجنا الروائي العراقي أزهر جرجيس لتعقّب حياة مصوّر فوتوغرافي مغمور، حلمه العيش بسلام والموت بلا ضجيج. كمال، المصوّر الذي يحمل كاميرته يجوب الأسواق والأزقة العتيقة، مؤرّخاً حياة الناس والمدينة، يجد نفسه ذات يوم متورّطاً مع عصابة مسلّحة، ما يثير في قلبه الفزع ويقلب حياته رأساً على عقب. تسير الأحداث وتتصاعد بطريقة دراماتيكية بأسلوب السرد المشوّق الذي اشتهر به صاحب «النوم في حقل الكرز» ويحضر السلاح الكاتم محاولاً وضع نهاية منطقية لرحلة المغلوب على أمرهم في عالم الكوميديا السوداء الذي يتقنه جرجيس، يبدو هذا العمل المرشح لـ«بوكر» رحلةً من العذابات والسعادات التي تبدأ بالعثور على حجر صغير بين الحشائش في بستان الجنّ في الموصل، ثم الوقوف عند جسر الشهداء في بغداد حيث ذبول وجه دجلة وذكرى غرق الآخ. رواية محكمة تفتق جرح الذكريات وتخيط بالتهكم مرارة الأسى في بلاد لا تستطيع أن تنجو من كربلائها المستمرة وكتابة سجلّ أحزانها الكثيرة بالأدب حيث يسهم «التاريخ الصغير» والقصص الشخصية في رواية قد تكون أقرب إلى ما كان من حزن وأسى «فوق بلاد السواد».

تغريبة القافر ــ زهران القاسمي
دار مسكيلياني (الإمارات)

«فقد إحساسه بالأشياء من حوله، تحوّل فجأة إلى إعصار هادر من الغضب، رفع مطرقته وهوى بها على الصخرة، وعاود ذلك مراراً وتكراراً حتى ارتجّ المكان، وبدأ الغبار يتصاعد من الحجارة المتساقطة. تتالت الضربات، وتحوّل جسده كلّه إلى يدين لا همّ لهما إلا ضرب ذلك الجبل الجاثم أمامه كأنه يضرب كلّ ما عاشه مُذْ كان طفلاً، يهوي بالمطرقة على سجنه، على غيابه، على اليأس من مغادرته تلك العتمة، على شوقه الجارف إلى زوجته، على الهدير الذي يصمّ أذنيه ويمنعه من سماع أي شيء سواه، على العزلة التي تمتدّ وتمتدّ، وعلى الفكرة التي لا يرغب في مواجهتها..لم يكن يعلم أنّ جسد الصخرة يتداعى أمامه، كان غائباً في غضبه، متّحداً مع مطرقته في هدم كلّ الجدران التي واجهته، وهو الوحيد، الغائب، السجين، الموجوع، الجائع، العطش... تداعت الصخرة أمامه، وانفتح الخاتم على النفق الطويل، فانطلقَ الماء بقوة وجرف معه كل شيء»؛ يبدو كان الماء هو بطل رواية «تغريبة القافر» للعماني زهران القاسمي، الماء بكل رمزيته الأسطورية والحضارية وارتباط موطن الكاتب العماني به من خلال نظام قديم في توفير الماء للشرب والفلاحة وهو نظام الأفلاج، الذي يُعتبر نظاماً اجتماعياً معقّداً تدخل فيه التراتبية الاجتماعية والطبقية. تتماهى رمزية الماء هذه مع بطل الرواية، «القافر» الذي يلعب دور مقتفي أثر الماء في الينابيع الجوفية، بتكليف من القرى الصغيرة التي تخاف الموت من العطش، هو الذي صاغ الماء قدره منذ الولادة، تحديداً منذ مشهد غرق أمه الذي يفتتح به القاسمي السرد، مروراً بوالده الذي ينهار عليه سقف ويُطمر تحت أحد الأفلاج، إلى التأملات والعوالم الداخلية («المائدة») التي يصوغها البطل بما يذكّرنا بعوالم ياشار الساحرة في «الماء والأحلام»؛ إنها رواية تنطلق من التاريخ المحلي لبلد ضارب في أساطيره وتنوع ثقافاته ووقوعه على نقطة تقاطع بين حضارات وطرق مواصلات وقارات عديدة، وتحمل وصفة كل أدب ناجح ينطلق من بيئته ليصل إلى العالمية. كما تلعب المرأة دوراً طليعياً في «تغريبة القافر» فكما يقول القاسمي في حوار صحافي: «فالقافر حتى يخرج إلى نور الحياة كان ذلك بسبب جراة امرأة، والمرأة التي اعتنت به وأرضعته أيضاً، ثم المرأة التي ساقه الحب إليها لتكون وطنه الكبير».

منّا: قيامة شتات الصحراء – الصديق حاج أحمد
دار الدواية للنشر والتوزيع (الجزائر)

«مرّ زمن ليس بالقليل... الخيمة بمن فيها، غاصّة في حيرة طلاق خيامها، وبحيرة موطن طفولتها، الوقت حينها منتصف النهار، عنّ للمبروكة أن تنهض لجلب حبوب «مندغا» المجفّفة، تحت شجيرات «إيزّا» القريبة من الخيمة، علّها تنوّم بها أرق الأمعاء الشاكية. عاود عثمان الارتكاز على وسادته كالعادة، وبلا وعي بدأ في أوراده وتسابيح سبوره الجلدية، وما إن تخطّت علامة البركة مدخل الخيمة المشرّع، حتى وقع نظرها على حليبها الهالك، أحسّت بدوّار بادئ الأمر، عاودت تقطيب عينيها، علّها مخطئة في لحظها وتقديرها، أعطت الفرصة لعلامة انتحاب المرأة وعرس حزنها، وضعت يديها على رأسها وطفقت تولول... أسلمت رأسها طائعة للزفاف المعلن وزغاريد طبوله المنتحبة»؛ إنها رواية الصحراء وجفاف الأرض والطبيعة والأحلام الكبرى التي يكتبها الجزائري الصديق حاج أحمد في «منّا: قيامة شتات الصحراء» متخذاً من صحراء الأزواد في شمال مالي فضاءً للسرد، من لوعة الشيوخ في استذكارهم للجفاف الكبير الذي أصاب مضاربهم عام 1973 وما أحدثه من فجائع، غيّرت مسار الصحراء الكبرى، ما أدى بالغالبية الناجية من الموت، بالفرار نحو دول الجوار، بعد هلاك مواشيهم، ثم لا يلبث صاحب «كامارد... رفيق الحيف والضياع» أن ينتقل من الجغرافيا ومروياتها وتقاليدها إلى رواية التاريخ السياسي القريب للمنطقة، «غير أن الذي استرعاني أكثر في تلك الهجرات، هو هجرة الثوارق والعرب الحسّان إلى ليبيا، ومقامرتهم مع القذافي في سمكة إبريله، التي قدّمها لهم كطعم، في أمنية الوطن المفقود بالأزواد، ما جعله يفتح لهم معسكرات التدريب، ويوظّفهم في حروب بالوكالة في جنوب لبنان وتشاد، ليعودوا بعد ذلك خائبين بخفّي حنين، الأمر الذي دعاهم للقيام بثورة في شمال مالي بمدينة منكا سنة 1990، ومن ثمّة قيام حرب الأزواد، التي لا تزال قائمة إلى يوم الناس هذا»؛ تستعير الرواية صوت أحد اللاجئين الذي دوّن سيرته وسيرة ابنه على مخطوط متهالك عُثر عليه في صندوق، لتغوص في تفاصيل التحولات السياسية والثقافية الهامة في المنطقة من مالي وصولاً إلى معتقل أنصار في جنوب لبنان، أثناء الأربعين عاماً السابقة على سقوط القذافي، وما تخللها من آلام كثيرة وخيبات وآمال كاذبة «يحسبها الظمآن ماءً».

كونشيرتو قوريونا إدواردو ــ نجوى بن شتوان
منشورات تكوين ـ مرايا (الكويت)

«كنا نتسلل لنتأمّلها كيف تنام، واضعة أسنانها بجانبها على الكومودينو، مسدلة على قدميها منشفة للحيلولة دونهما ودون الكائنات غير المرئية التي تأتي في الليل لتأخذ أقدام النيام، تمشي بها واضعة مكانها الكوابيس والأحلام المزعجة. كنا نحفظ شكل المنشفة كي لا نمسّها بعد مغادرة تتي أتريا إلى سوسة، كما كنّا نربط كلامها أثناء النوم بأسنانها المنزوعة، ونومها ممدّدة على ظهرها، إلى أن يتأثر كلّ من ينحدرون من إغريق قورينا وسوسة بالموتى الأزليّين الذين يشاركونهم المدينة نصفاً بنصف. إلا أنّ الموتى لا يشخرون، وتتي أتريا يصل شخيرها إلى روما. كان أخي أيوب يحوك لنا قصصاً مخيفة عن بيت تتي اتريا وعن البحر الذي غمر جزءاً من المدينة القديمة وسيغمر بيت جدّي لا محالة بعد مضي تتي أتريا إلى ربّها، لعلّه في انتظار رحيلها ليفعل، فالبحر ليس ببعيد، لكنّه لن يتمدّد ليُغرق امرأة غارقة في الوحدة»؛ بعد «زرايب العبيد» (2016) التي وصلت إلى القائمة القصيرة عام 2017، ومسيرة روائية بدأت في «وبر الأحصنة» (2007)، و«مضمون برتقالي» (2008)، تطل الليبية نجوى بن شتوان في «كونشيرتو قورينا إدواردو»، عمل محكم يغوص في موزاييك المجتمع الليبي من خلال فتاة تنتمي إلى أقلية من المهاجرين اليونانيين القدامى لتقرأ على موشور تاريخ هذه العائلة الصغيرة، تاريخ المنطقة، وهجراتها وتحولاتها وتخريب ثقافاتها المتنوعة لفرض ثقافة «الأب القائد»، الذي تؤسس ثورته الثقافية ومجالسه الشعبية أيام حكم القذافي لطمس ومحو كل ما هو مختلف في الثقافة والسياسة وحتى البشر، إذ يموت والد البطلة في خضمّ تلك الثورة. كما تعرج الرواية على تصدّع المجتمع الليبي بعد سقوط الطاغية، وفترة الحرب الأهلية، وما بين القديم الذي لم يمت بعد، والجديد الذي لم يولد بعد... آهوال كثيرة تمرّ عليها بن شتوان في «كونشيرتو» مثل يهود ليبيا وقصة خروجهم أو طردهم سنوات الستينيات، والحرب الأهلية وانعكاساتها على النسيج الاجتماعي، ناهيك بتهريب الآثار والعبث بإرث ليبيا التاريخي.

من سلسلة «أنا بغداد» للفنان العراقي إياد القاضي

أيام الشمس المشرقة ــ ميرال الطحاوي
دار العين للنشر (القاهرة)

«الشمس المشرقة» مجرد مستعمرة صغيرة، أو أنقاض مدينة حدودية شبه ساحلية مهجورة، يقولون إنّها كانت في السابق بيوتاً خشبية قميئة يسكن فيها عمّال مناجم النحاس التي نضبت، ثم رحل العمّال من زمن بعيد تاركين خلفهم بعض الوحدات السكنية الفقيرة، أو سلسلة من الأكواخ الصغيرة التي تتراقص في الفضاء الجبلي منفصلةً ومتقاربةً وكاشفةً لبعضها، ثم توسّعت المستعمرة البشرية مع الوقت وضمّت إليها غيرها من الأحياء والامتدادات السكنية التي تجاورت بين الهضاب الصحراوية وتحولت إلى محطة لعبور العمال المتسللين إلى المزارع الجبلية في الشمال. من تلك المستعمرة، تخرج حافلات عمّال النظافة وتعمير الحدائق كل صباح، تتسلّق ممرّات الجبل وتسير باتجاه التلال البعيدة حيث تنام منتجعات «الجنة الأبديّة» عالية بين القمم الجبلية، يحمل العمّال في طريقهم إليها أدوات تهذيب الأشجار، وماكينات قصّ الحشائش، وتقليم النخيل، وتزيين الحدائق. تخرج أيضاً إليها تلك الحافلات الصغيرة التي تحمل لافتات شركات النظافة «كلين هوم»، و«سوزانا كلين»، و«ماتيلدا وأخواتها لتنظيف البيوت». تمرّ الحافلات في مسارات محددة وطرق ومنعطفات منحوتة بين ممرات الجبال، تتسلق الممرات الجبلية الضيقة لتصل في النهاية إلى «الجنة الأبديّة»، حيث تتراقص المنتجعات الجبلية البعيدة، وتتكشّف ممرات القصور العالية، المترفة، التي يحتاج أصحابها إلى خدمات عاملات النظافة والأيدي العاملة باستمرار: إنها رواية الهجرة والهويات الممزقة التي تفتتحها وتنهيها ميرال طحاوي بحوادث ماساوية مثل انتحار شاب عربي وفتاة أفريقية بفعل عوامل القسوة والانسلاخ والاقتلاع من الجذور وتتخذ من قرية متخيّلة تُسمى «الشمس المشرقة»، التي تقع على الحدود الجنوبية الغربية لأميركا، وتشهد سواحلها بشكل يومي عمليات تهريب العمّال والمهاجرين غير الشرعيين. بين العوالم الاجتماعية والاقتصادية للمهرّبين والهجرة غير الشرعية، والحفر في الأسئلة الثقافية للفئة التي يجسدها العالقون في جحيم فقر الأوطان على عبورها إلى الضفّة الأخرى، تمنح صاحبة «البانجنجانة الزرقاء» في روايتها «أيام الشمس المشرقة» المرشّحة لـ«بوكر»، صوتاً للمضائعين في البرزخ بين الـ«هنا» والـ«هناك»، حيث يضيع الصوت بين ظلم الأوطان وجهلها وديكتاتورياتها ومذابحها العرقية وصعوبة الاندماج في المجتمعات الجديدة بأحكامها المسبقة وصعود أصوات اليمين الفاشي والمتزمّت والعنصري فيها. بنحتها لشخصياتها وحفرها عميقاً في الذات الإنسانية المتمردة على واقعها والحالمة بغدٍ أفضل، واستحضار تراث البلاد الأصلية كسلاح يساعد بطلات شخصياتها في ازمتهنّ مع سلطة اللغة الغريبة للبلاد الجديدة، تضيف الروائية الحائزة «جائزة نجيب محفوظ للرواية» (2011) لبنة أخرى إلى عمارة ما صار يُطلق عليه «أدب الهجرة» ويحتل مكاناً لا يمكن تجاهله على خريطة السرد العربي والأفريقي وحتى العالمي: «ستظل قضايا الحروب والهجرات والاضطهاد العرقي موضوعات كبرى يكتب عنها الجميع، لكنّ، لكل كاتب رؤية وطرح مختلفان. أعتقد أنّ التحدي الذي يواجه الكاتب هو كيف يخلق عالمه الخاص وكيف ينسج فنّياً مفردات ذلك العالم».

الأفق الأعلى ــ فاطمة عبد الحميد
دار مسكيلياني (الإمارات)

« تقولُ العبرةُ: عندما تهمّ بالتقاط حجر من الأرض، فعليكَ أن تستعدّ لما ستجده تحتَهُ، وإذا لم تكن مستعدّاً لذلك، فلا تفكّر في التقاطه منذُ البَدْء. وعلى الرّغم مِنْ أنّ هذهِ القاعدةَ الأرضيّةَ مألوفةٌ لدى الكثيرين، فإنّها تبقَى مُغيَّبةً عنْ بعضِهم. وكذلكَ كَانَ حالُ أمّ سليمانَ، السيّدة حمدة، حينَ التقطتْ الحجَرَ المعنيّ، ورَوْجتْ ابنَها الوحيدَ واليتيمَ في سنِّ الثّالثةَ عشْرةَ مِنْ فتاةٍ تكبُره بأحدَ عشر عاماً، وفيظنّها أنّها جاهزةٌ لما ستجدُهُ تحتَ ذاكَ الحجر، إلّا أنّها ثالثُ من سُخريةِ الأقارب والجيران قِسْمَتُها، وتحديداً مِنْ آباءِ الفتياتِ الصّغيرات الّذين امتنعُوا عنْ مُصاهرتِها، بنظرةٍ متعاليةٍ، جعلتْها تعلمُ عِلْمَ اليقينِ، أنّ صِغَرَ الفتياتِ ما كان لِيُشكّلَ سبباً يمنعُهم مِنْ تزويجِهنّ، لو أنّ لابنِها الوحيدِ جاهاً أو مالاً يُساندُانِه. لقد أرادتْ المحافظةَ على السُّلالةِ، بتشريعِ عَجلةِ الزّمنِ، لكنّها، بعْدَ خمسةِ أشهرٍ فقط مِنْ تزويجِ ابنِها بابنةِ خالِها نبيلة، أُحبطتْ تماماً، وخارتْ قُواها مِنْ تكرارِ مُحاولاتِها اليائسةِ كلّ مساء، لإعادةِ العريسِ الهاربِ مِنْ عَروسِهِ كيْ يَلعبَ كُرةَ القدمِ معَ رفاقِه... إذْ طلّقتْ تجرُّةُ جرّاً ممسكةً بأذُنِه وكتفِه، وهي تُوبّخُهُ بصوْتٍ يلتفتُ إليهِ العابرون. في البدْءِ، يتبعُهُما أصدقاؤُه القصّارُ القامةِ، وهم في الغالبِ مِنْ رفاقِ صفِّه، غيْرَ أنّ الحشُودَ تظلُّ في تزايُدٍ كلّما اقتربَ مِنْ بيتِه، لتشْمَلَ طلبةَ صُفوفِ المدرسةِ كلّها، فضْلاً عنْ إخوتِهم الّذينَ لم يلتَحِقُوا بالمدْرسةِ بعْدُ، صارخينَ خلْفَهُ بهُتافٍ واحدٍ: «سليمانُ، سليمانُ... يحرقُ مِنْ بيتِ العرسانِ». وحالما يصلانِ، تقذِفُ بِهِ أمُّهُ فوْراً تُجاهَ غُرْفةِ نوْمِهِ الّتي تتوسّطُ البيتَ، وتفصلُها عنْ غُرفتِها غُرفةٌ ثانيةٌ، أعدّتْ لاستقبالِ الأضْيافِ، تقذِفُهُ نحْوَ الغُرفةِ وتقذفُ في أذنيْهِ الجملةَ المعهودةَ ذاتَها: «افْعَلْ ما يفْعَلُهُ الرّجالُ... أفهِمْتني؟»؛ تختلط في «الأفق الأعلى» الجراة بالكوميديا السوداء، إذ إن السعودية فاطمة عبد الحميد التي في جعبتها ثلاث روايات سابقة هي «حافة الفضّة» (2013)، «ة النسوة» (2016) و«الأفق الأعلى» (2022) تضع السرد على لسان عزرائيل، ملاك الموت، فيستأنس القارئ مباشرة ويروي نبذة عن أعمار من يقبض أرواحهم وردود أفعالهم حين تحين الساعة الموعودة، وبهذه الطريقة الذكية، تقحمنا عبد الحميد في عالم سليمان، أرمل في الخمسينيات من عمره، كانت قد أكرهته أمه على مغادرة عالم الطفولة غصباً من خلال الاقتران بامرأة تكبره بأكثر من عقد. في محاولة جريئة لكسر الصورة النمطية للهيمنة الذكورية في الشرق عامة والعالم العربي خاصة، تضع صاحبة «ة النسوة» سليمان طوال عمره تحت سطوة نساء بأدوار متعددة من الأم المتسلّطة والزوجة المفروضة عليه قسراً والجارة التي تتبدّى له من النافذة لتصبح بمثابة أوكسيجين الحب وسط عبثية الأقدار. بالإضاءة على مسائل اجتماعية كالزواج المبكر والعلاقات الجندرية، تحفر عبد الحميد عميقاً في البنية النفسية والثقافية للمجتمعات العربية ولا سيما الخليجية، وغربة المرء فيها، وسعيه إلى الإفلات منها عبر البراءة والدهشة والحب: «المنطق الهش لهذا العالم يقول إن كل شيء يتكوّن في سنوات الطفولة الأولى، ولم يكن سليمان سينجو من طفولته التي تعفّنت في داخله ما لم يعلنها على الملأ، وكان له أكثر من طريقة بالطبع... بناء بيوت من أعواد الكبريت، دهشته البريئة والدائمة بتفاصيل محبوبته كأنه يرى الأشياء للمرة الأولى، طريقة رميه للحصى تجاه شباك جارته، الأسئلة التي لم يتوقّف عن طرحها حتى مع أولاده، لأنه لا يملك كل الأجوبة كالكبار. حضرت تفاصيل عالم الطفولة هكذا ببساطة، لأنني كنت أكتب عن طفل كبير، أشعل النيران، ليس رغبة منه في الأذية، ولكن ليقول للعالم إنه وحيد».

فصل من رواية

موت متواصل*

برنارد بيرلان ـ «رواق المستشفى» (تيمبيرا على خشب ـ 25,4 × 50,8 سنتم ـ 1961)

جورج يرقه

قلقٌ يأسٌ يساورانني هذه الأيّام. لم أشعر بمثلهما كما أشعر الآن.

لم أكد أشفى من جراحة أو مرض حتّى أبتَلى بمرض جديد.

ها أنا أدخل إلى الحمّام مرّات عدّة في السّاعة، ولا أتبوّل إلّا قليلاً، وأحياناً لا شيء. وكلّما تبوّلت أحسست بحرقة. في الليل عاودتني الحرارة. أمّي غافية. ظهرها إلى الوراء وسبحة الصلاة في يدها. أيقظتُها كي تعدل وضع نومها وتستلقي. لم أقل لها إنّ الحمّى تموج في بدني. لا أودّ أن أشغل بالها فيجافيها النوم. وهي عادةً لا تنام الوقت الكافي.

من علبة «بنادول» بجانبي، أخذتُ حبتيْن وتناولتُهما. هذا الدواء من الأدوية القليلة التي يمكن الناس اللجوء إليها من دون استشارة طبيب. إذا لم ينفع فإنّه لا يضرّ شرط أخذه بمقدار محسوب. أعرفُ أن لكل دواء مضاعفات مؤذية، وهذه نقطة ضعف ينبغي للطبّ مواجهتها.

طوال الليل لم أنم.

انتابتني قشعريرة بَرْد. تكوّرتُ ورحتُ أرتجف ارتجاف عصفور بلا ريش تحت المطر. اللّحاف والبطّانيّتان فوقه والبطّانيّة تحتي لم تدفئني. عجزتُ عن الذهاب إلى الحمّام كي أتبوّل. خشيت أن لا أتمالك فأفعلها في الفراش. بهدوء، تركتُ الأريكة، لففتُ بطانية عليّ بعد ثنيها ثلاث ثنيات ومشيت.

رفعت البطّانيّة إلى ساقيَّ خوفاً من التعثّر بها. أذنيتُ عكّازتي فسقط طرف البطانيّة. حين وجدت صعوبة في التنقّل، وأوشكتُ أن أفقد السيطرة على المثانة، ناديت أمّي. هبّت المسكينة سريعاً وساعدتْني على الوصول. انتظرتْني في الخارج. أخبرتُها ما بي.

كانت الساعة الثالثة ما بعد منتصف الليل. أعدّت لي أمّي فنجاناً من اليانسون. وسخّنت مياهاً سكبتها في عبوة من الكاوتشوك توضع تحت قدمي المريض كي تدفئه. كانتْ قد جلبت العبوة من بيت القرية. الصيف يبدأ من القمرين يقول أخي جورج. واضيف أنا الشتاء أيضاً. شربتُ اليانسون وتناولتُ حبّتَي «بنادول». العبوة الساخنة نشرتْ بعض الحرارة في بدني، فغفوت.

تخلّل الإغفاءة مُنامٌ أذكر منه المشهد الآتي. «أختي تريز تدرس وهي قربي في الفراش المنبسط أرضاً. كان الوقت فجراً. هناك في بيتنا». هذا المشهد طالما رابته. أيّام القرية لدى ذهابي إلى الحمّام ليلاً، إذْ كان لدى تريز هوسٌ في الدرس مع طلوع الفجر، خصوصاً قبيل الامتحان.

سقى الله تلك الأيّام. اليوم الذي يمضي لا يأتي مثله.

لم تزل أمّي نائمة. الحمّى عاودتني. بدأتُ أرتجف. حرارة العبوة تدنّت. ذهبتُ إلى الحمّام. لم أستطع التبوّل. كلّما وقفتُ ورتّبتُ ثيابي للخروج دهمتني الحاجة إلى التبوّل. أحاول مرّة أخرى. لا شيء. أبقى جالسة على القعدة. هذا أفضل من الخروج والعودة. قشعريرة البرد تجتاحني. أسمعُ صوت أمّي. تطمئنّ عليّ. بعد ربع ساعة تقريباً، خرجتُ متهالكة. ما إنْ وصلتُ إلى الفراش حتّى رجع الشعور نفسه: الحاجة إلى دخول الحمّام. هذه المرّة تبوّلت. حرقة قويّة قد جلبت العبوة من بيت القرية. الصيف يبدأ من القمرين يقول أخي جورج. واضيف أنا الشتاء أيضاً. شربتُ اليانسون وتناولتُ حبّتَي «بنادول». العبوة الساخنة نشرتْ بعض الحرارة في بدني، فغفوت.

تخلّل الإغفاءة مُنامٌ أذكر منه المشهد الآتي. «أختي تريز تدرس وهي قربي في الفراش المنبسط أرضاً. كان الوقت فجراً. هناك في بيتنا». هذا المشهد طالما رابته. أيّام القرية لدى ذهابي إلى الحمّام ليلاً، إذْ كان لدى تريز هوسٌ في الدرس مع طلوع الفجر، خصوصاً قبيل الامتحان.

أمّي على إيقاظه. تخاف من سَوْرة الغضب التي تنتابه في حال كهذه. التاسعة وعشر دقائق، غادر جورج غرفته إلى الحمّام الثاني، الذي يستخدمه هو وإيلي. لدى خروجه رأى أمّي تضع يدها على جبهتي مستكشفةً درجة الحرارة.

لمّا عرف أنّ حرارتي عالية، عاد إلى غرفته، جلب هاتفه واتّصل بالطبيبة المتخصّصة بالالتهابات. وارتأى أنْ تدخلني المستشفى لأنّ حالتي تستدعي ذلك.

وافقت الطبيبة.

لم أحتجّ أنا وأمّي سوى دقائق معدودة للاستعداد. منذ دخولي الثاني إلى المستشفى، بتنا مُستنفَرتيْن. وجميع ما نحتاج إليه في المستشفى مدى بضعة أيّام موضّب في حقيبة متوسّطة الحجم. سمّيناها حقيبة المستشفى. ناخذ أيضاً كيسيْن مملوءيْن بأغراض ضروريّة.

ما من مرّة مكثتُ في المستشفى ثلاثة أو أربعة أيام على غرار الكثير من المريضات والمرضى. وطالما تخطّيت العشرين يوماً.

كذلك ما من مرّة عولجت من مرض إلّا ظهر مرض آخر.

هل هذه أيّامي الأخيرة على الأرض؟ سؤال لا يفارق تفكيري.

في أمراضي المتتالية أشارة إلى أنّي أعيش أيّامي الأخيرة. بلغت الثالثة والخمسين، وكلّ يوم من عمري مرّ عددته هديّة.

لم أتوقّع أنّ أعيش إلى اليوم.

كثيراً ما تذكّرتُ دهشة الأمّ الرئيسة لراهبات الناصرة في الأردن عندما عمود قربي بغرز الإبرة في أحد عروق يدي. ولا داعي لتكرار الكلام على معاناتي الشديدة خلال ذلك. برغم درجة الحرارة المُتقلّبة وارتفاع منسوب السكّري، غمرتني طمأنينة فظيعة. وجودي في المستشفى يشعرني بأنّي في أمان. شعوري هذا طالما تخلّلته مخاوف وشكوك. مرضى كُثُر دخلوا المستشفى أحياء وخرجوا منه جثثاً.

ليتني أفارق الدنيا في البيت.

لا أودّ الموت في المستشفى.

* فصل من روايةٍ لجورج يرق بعنوان «موت متواصل» و«دار تواصل للنشر» وهي الثالثة للكاتب اللبناني بعد «ليل» و«حارس الموتى».

قسم الطوارئ، حيث أنتظر أنا وأمّي موافقة «المستشفى العسكريّ» على الدخول. جورج يلاحق الأمر مع المسؤولة التي تولّت إعداد ملفّي الصحّي. بات جورج خبيراً في إنجاز التدابير المطلوبة. كثرة دخولي المستشفى علّمته ذلك. كان يفرح حين يُبلَغ بخبر الموافقة، فيأتي مُسرعاً إلينا. من عينيه حين يطلّ علينا كنتُ أعرف هل جاءت الموافقة أو لا. هذه الموافقة تتمّ باتّصال هاتفيّ لأنّ الحال طارئة. لكنّه مُرغم غداً صباحاً على الذهاب إلى «المستشفى العسكريّ» لاستكمال الإجراءات المعتادة، ومرّة كلّ يومين ليجدّد الموافقة ما دامت حالتي تستدعي العلاج.

هذه المرّة أيضاً، صُودف أنّ غرفتي في الطابق الثاني لصق الغرفة التي كنت فيها قبل أسبوعيْن.

حالما رأتنا الممرّضات رحّبن بنا. تبادلنا وبعضهنّ العناق والقُبل. مكوثنا الطويل والمتكرّر هنا وطّد الصّلة بيننا وبينهنّ. معاملتهنّ لي ولأمّي مختلفة عن معاملتهنّ سائر المرضى. كنّ يشفقن على أمّي، ويسعَيْن إلى تأمين الرّاحة لها، خصوصاً في الليل. لأنّها تنام على الكرسيّ بجانبي إلى الصباح. كنّ يزوّدنها ببطانيّة إضافيّة وطعام، ولا يخذلنها لو طلبتْ شيئاً.

جارتي في السّرير المجاور عجوز. كانت نائمة حين دخلنا. وهنالك شابّة جالسة على طرف سريرها. بعد وقت قليل عرفنا أنّها ابنة المريضة. وعرفنا أنّ اسمها تعاني سرطاناً في رئتَيْها، وأنّ حالتها حرجة.

على الفور، رُفع كيسان من المصل على عمود قربي بغرز الإبرة في أحد عروق يدي. ولا داعي لتكرار الكلام على معاناتي الشديدة خلال ذلك. برغم درجة الحرارة المُتقلّبة وارتفاع منسوب السكّري، غمرتني طمأنينة فظيعة. وجودي في المستشفى يشعرني بأنّي في أمان. شعوري هذا طالما تخلّلته مخاوف وشكوك. مرضى كُثُر دخلوا المستشفى أحياء وخرجوا منه جثثاً.

ليتني أفارق الدنيا في البيت.

لا أودّ الموت في المستشفى.

* فصل من روايةٍ لجورج يرق بعنوان «موت متواصل» و«دار تواصل للنشر» وهي الثالثة للكاتب اللبناني بعد «ليل» و«حارس الموتى».

قصة قصيرة

ساعية البريد

هبة قطيش*

كعادتها كلّ يوم تضع في سلّتها بعض الطعام، وكتاباً يسلّيها أثناء النهار، وتعتمر قبعة قش تقيها حرارة الشمس، ثم تنطلق في جولتها الصباحية على درّاجتها توزّع البريد على بيوت القرية والجوار: رسائل نعي، حبّ، شوق... الكيس ممتلئ بخطابات لا تدري محتواها، لكنه عملها الذي ورثته من والدها قبل أن يغلبه المرض، ورثت أيضاً دراجته التي كانت كلما تعتليها كي تذهب إلى عملها، يحيطها شعور غريب يرميها على حافة الجنون.

كيف لهذه الدرّاجة أن تكون مليئةً بالحيوية والحياة أكثر من أبيها؟ لماذا تخلد مقتنياتنا ونفنى نحن؟ ألا تخجل من ارتجاف أناملنا، من ابيضاض شعرنا وانحناء ظهورنا الفقري؟ ألا يزعجها الفقد حين تحضر ماتمنا؟ كيف لكل ما امتلكناه بحبّ أن يخوننا ويرمينا؟ هو لغزٌ أضافته في مخيلتها إلى عقدة الموت.

أحجيتان غريبتان، الإنسان بكل جبروته وكل ما صنعه من ثورات وما وصل إليه من علم ومعرفة يندثر، لكن أشياءه تبقى وتنتقل من يد إلى يد.. والهلاك أيضاً يؤرق ليلها، في كل مرّة يُقال فيها إنّ الطب انتصر وتطوّر، يهزم الموت بمنجله التصورات، والعلم، والأطباء خاطفاً الأرواح من أجساد أصحابها.

أشاحت برأسها كي ترمي أفكارها داخل قمقم التناسي، تلكات قليلاً بدرّاجتها عند مفترق طريق، هناك رسالتان لمنزلين تعرف صاحبتيهما حق المعرفة، إحداهما تترقب خبراً من ابنها المسافر بحراً كي يمتشق العلم سيفاً في جعبته، أمّا الأخرى فتنتظر زوجها الذي هاجر منذ سنين طالت ولم يعد، لحسن حظها أم لسوئه لا تدري. وبعد هجر السنين وصل خطاب منه.

أي الطريقين تسلك؟

أي درب تختار؟

شمرت عن ساعديها وأمسكت المكتوبين بتان، أيهما يحمل غبطة؟ لو كان بيدها أن تحمل الفرح لأهل الضيعة دون الحزن لما امتنعت، لكن لا خيار لها في ما يدوّنه القدر بين السطور. كل ما تحاول فعله هو إيجاز الزمان بمسافاته الطويلة واختصار الانتظار على البشر.

توقّفت تحت شجرة لوز تحاول اتخاذ القرار المناسب، لكنها عدلت عن فكرتها ثم تابعت سيرها في درب مختلف. هناك على التل يوجد بيت قرميدي يسكنه شاعر اعتزل الحياة. منذ أمدٍ بعيد لم تأته مراسيل، لكنها اليوم فوجئت في جعبتها بمظروف مدوّن عليه كلمتان بخطٍ جميل وأنيق «إلى يامن!»

وصلت التل بعد معافرة دامت نصف ساعة، طرقت باب المنزل، انتظرت لثوانٍ قبل أن يُفتح لها بمظهره العبثيّ، تأمّلته طويلاً. كيف يستطيع العيش رغم كل الفوضى التي تتقمّصه؟

- صباح الخير، لديكَ خطاب في سلتي.

- صباح النور، غريب. هل هناك ذاكرة ما زالت تحتويني؟

ابتسمت متمتمةً: ربما لديك أحدهم في مكان ما..

- لقد أتيتُ إلى هذه الديار لاجئاً يطلب السلوان.. هاتي ما لديك.

أعطته ما أتت لأجله، لكنه ما إن لمح الخط الأنيق حتى ارتجف إلى أخمص قدميه ثمّ رماه مبتعداً، ولسانه يلهج بصوت جهوري:

- أريد الاضمحلال بين طيات النسيان... أين الملاذ من الماضي؟

أدارت ظهرها مذهولة عائدة إلى دراجتها، وباب الشاعر أوصد للأبد في وجه الحياة. وفي الفناء بقيت رسالة مرمية بتلاعب بها الهواء تنتظر يداً تلتقطها، لتضعها في صندوق خشبي يؤويها من الزوال.

* مجدل سلم/ لبنان.

قصائد

لا أمس ولا غد

أصالة لمع *

1 - الآن، لا امس ولا غد

أحياناً
يتمدّدُ هذا الوقت
يبتلعُ المكانَ
يرتدي وجهَ العالم
كقناع...
كلعنة...

تبدو اللّحظةُ عملاقةً
فلا أمس يعني شيئاً
ولا غدٌ سيأتي
كما تقضي
حتميّةُ الأمورِ المنطقيّة...

المنطقُ
يتكسّر
في اللحظةِ العملاقة
كما يحدث للأشياءِ
حين تدخل بعداً زمنياً آخر
أو كما يحدثُ لأكثر مشاعرنا رقةً
حين تصبحُ ذكرى
أو كما يحدثُ لنا
حين ننسقط من علوّ الحلمِ الشاهقِ
إلى هوّةٍ من الصمتِ
أو من الضجيجِ.

الآن
لا شيءَ يذكّرنا بذاك الذي كنّا عليه
لا شيءَ يوحي بما يجبُ أن نصير
لا وجعٌ يُلحُّ على دمعةٍ
ولا فرحٌ يشقّ طريقَه بصعوبةٍ
في وعورةِ جبال من الانكسارات.

الآن
يمكن أن نرندح أغنيةً
بلا وطأةِ الإسقاط
أن نخرجَ من عمقِ الوجدانِ
قصيدةً
كأنّنا نقرأها للتوّ
وكأنها، القصيدة، لم تسافرْ معنا
في قطارِ الخيباتِ المتتالية.

الآن
يمكن لذكرى كانت رمحاً في خاصرةِ الوقت
أن تطفو على سطحه
كقاربٍ مثقوبٍ
لا يعبأ به أحدٌ
سوى الرّيح...
الآن
يمكنُ للرّيح
أن تُذرّي الماضيَ والآتي معاً كغبارٍ
لا يعبأ به أحدٌ
حتّى نحن...

الآن
يمكن لقمرٍ أن يولدَ
في الضوءِ
من رحمِ كلمةٍ ليس لها ماضٍ
ولا وُجهة،
كسهم
ينطلقُ ويعودُ
إلى نقطةِ انطلاقه
في اللحظةِ نفسها.

الآن
يمكن لغزالٍ يعدو على عشبِ الروحِ منذ الأزل
أن يسقطَ من التعب
وإلّا نخشى سقوطنا معه بعد ذلك.

الآن
يمكنُ للّغة أن تخلعَ عنها مفردةَ الذاكرة
أن تغسلَ نفسها من استعاراتٍ مبتذلةٍ
كما يغسلُ طفلُ التراب العالقَ بيديه بعد اللعب...

الآن يمكن أن نرسمَ بإصبعٍ نغرزها في الرّمال
احتمالاتٍ لامتناهية
ننفيها أو نؤكّدها..
على الفور!

الآن
يمكن للسماءِ
أن تضيقَ
أو تتّسعَ
فلم يعد المدى خارجنا
ولم يعد ارتباطُنا بالمكان
سوى وهمٍ.

ما يهمُّ فقط
أشياء قليلة باقية...
كأن تحتفظَ السماء بزرقتها
والقلبُ ببقائه
والعيون ببريقها
وأن يبقى الهواءُ حولنا
قادراً على حمل العطر...
هي أشياء قليلة
دلالاتها ثابتة
حتى حين تختزل لحظةً واحدةً
الوجودَ بأكمله...

الآن
كلّ شيءٍ عدا هذا
يذوبُ في لحظة
لكثرة ما تمدّدت
لم نعد نرى أوّلها
ولا آخرها يلوح لآخرها
حتى نعيدَ به تشكيلَ الزمن
ونجيب على أسئلةٍ تشبه:
متى حدث هذا؟
متى سقط الأمسُ منّا؟
متى نسينا انتظارَ الغد؟
منذ متى ونحن عالقون في لحظة؟

الأجوبةُ تتكسّر أيضاً
كالمنطق
فيما نحن نتوحّد باللحظة
حتى نصيرها
قد لا نكون سعداءَ حقاً
لكنّنا
الآن
نبدو كذلك.

2- اخلع النهار عني

حين يجيء الليلُ
حاسماً
بصمتٍ وعتمةٍ
ويسقطُ تعبُ اليومِ على السّرير
أشعرُ برغبةٍ بأنّ أخلعَ النّهارَ عنّي...

أعلّقُ مع الفستانِ الخمريّ
كلّ غزلِ اليوم الرديء،
وأخلعُ مع خاتمي الذهبيّ
ما علقَ في يدي
من رياءٍ
حين صافحتُ شخصاً لا أحبُّه.

وحين أنتزعُ أقراطي الطويلة
أفرغُ أذنيَّ
من قصائدَ عن الحبّ
يردّدها الجميع،
وتصيبني برهابِ الابتذال...
ومن كلماتٍ أفلتتْ من أحدهم
بوقاحةٍ تامّةٍ
في حديثٍ كان يجبُ أن يبقى
عابراً.

أمام المرآةِ،
أسقطُ ابتسامتي المزيفة
كما يخلعُ المهرّج بعد الحفلِ
أنفهُ الأحمرَ
أمرّرُ أصابعي على جلدِ وجهي
في حيادِيّته
كأنني أكتشفُ حقيقتَه
مجرّداً
من علاقتِهِ بالآخرين.

بحذرٍ،
أنتزعُ عدساتي اللاصقة
أرغبُ بأن أفعلَ الشيءَ نفسَه
بتلك النظرةِ المربكةِ
التي تقاطعَتْ معَ نظرتي
ولا تزالُ تجرحُ وجهي
كنسمةٍ باردةٍ...

أمرّرُ أصابعي في شَعري
أضغطُ على رأسي
كأنني أفرغُه من ثقلِ فكرةٍ
لم تتركّني منذ الصباح...
أصطنعُ سعالاً طويلاً
ربما خرجت كلّ الكلماتُ التي لم تُقَلْ
حرجاً،
أو قصراً في البديهة،
أو مداراةً للشعور،
وبقيت عالقةً في فمي...
كالأشواكِ
في الجلدِ الطريّ.

حين يجيءُ الليل،
أصير وحدي
أهرب من وطأةِ الضوءِ
الذي يجعلُنا أقلّ وضوحاً
من العلاقاتِ الغريبةِ
التي تحكمُنا
من قسوةِ أفكارنا عن الآخرين
وأفكارِ الآخرين عنا،
ومن فداحةِ الاختلافِ في ما بيننا...

أهربُ من أنصافِ الصداقاتِ
وأنصافِ العداوات
ومن كلّ المشاعرِ التي
لا يمكنُ أن تكتملَ
ولا يمكنُ أن تختفيَ،
من كلّ ما «يجبُ فعلُه»
من كلّ ما «لا يجوزُ فعلُه»...
ومن الرداءةِ أهرُبُ،
ومن التفاهةِ التي تُغرقُنا،
كسيلٍ ضحلٍ...
ومن الكراهيةِ،
ومن الحبّ أحياناً أيضاً...
من كلّ الذين ينظرون إلينا
ولا يرون سوى
خارجنا...

حين يجيء الليلُ
أصيرُ وحدي
أغرقُ في الصمتِ والعتمةِ
خفيفةً الآن كما أنا،
أبحثُ عن نومٍ،
بلا أحلام.

3- الجسور/ عبور وشرود

بنينا الجسورَ
لنعبرَ
إلى الضفّةِ المقابلةِ
من أيّ شيء؛
نهر،
هوّةٍ سحيقةٍ،
أو أشياءَ داخلَنا
شلّعتها الأيام،
كحبٍّ قديمٍ،
لم يصبحْ ذكرى تماماً،
حلمٍ لم يتحقّق،
ولم يُعد صالحاً مع الزّمن أيضاً...
كخطإٍ واحدٍ
أنجبَ قبيلةً من وساوسِ النّدم،
كفرصةٍ ضائعةٍ،
كلمةِ لوم،
لحظةِ حرجٍ عابرة،
أو فكرةٍ ماضيةٍ عن أنفسِنا
نحتاجُ إلى أن نقطعَها
قبلَ أن تقطعَنا.
بنينا الجسورَ،
لنعبرَ
إلى ضفّةٍ أخرى
تصوّرنا
أنّ الجسرَ لن يذهبَ أكثرَ من فكرةِ الوصل.
لكنّ الجسورَ
فيما كانت تعدُّ التقاءاتِ الأمكنةِ المستحيلةِ،
صارَ لها هاجسُها الخاصُّ بالهاوية.
وفيما كانت تعيدُ ترتيبَ المسافةِ مع العالقِ منّا بعيداً
صنعت لنا هاجسَنا الخاصّ بالوصول.
والجسرُ الذي كان سيربطُ ضفتين
وحياتين
صار بحدّ ذاتِهِ
وُجهةً
تختطفُ بالحياة.

الشّابّ الذي تسلّقَ حافّةَ الجسرِ
لم يكنْ يريدُ أن يموتَ
كان يريدُ أن يعانقَهُ أحدُهم
ليتأكّدَ
أنّ الجسورَ قد تنهارُ
في غيابِه،
وأنّ الهاويةَ
أبعدُ
من الضّفةِ الأخرى.

يحدثُ أن تولّدَ الأشياءُ
أشياءً أخرى
أجملَ منها.
هكذا صارتِ الجسورُ
أجملَ من الضّفاف،
ودوار أن تكونَ واقفاً فوقَ الهاويةِ
أجملَ من الخطوة
الّتي تجتازُ بها عتبةَ منزلٍ دافئ،
وأشياؤك المعلّقةُ مع ذاك الذي كنتُه
في ماضٍ بعيد، ماضيك،
أجملُ من هذا الذي بلا ملامح
وتريدُ العبورَ إليه...

ربّما
لم نبنِ الجسورَ للعبور فقط
إنّما للشرود بها أيضاً،
وكلُّ شرودٍ
عبور...

* لبنان

لا بغداد قرب حياتي

علي حبش *

1- بغداد

بغداد
دمعةٌ داسها القطار
وتبخّر الأصدقاء
مع الغيوم.

2- الدموع

كل يوم أنظر إلى حياتي
وهي تنخفض مع الزجاجات الفارغة
في المطبخ
كل يوم
أتسلى بالدموع
وهي تنقلب على الطاولة
قرب السرير.

3- حبيبتي البعيدة

لقد تفطّر الحب
على جدران المنزل
ولم يعد صالحاً
للاستخدام
ولم يعد في القلب
غير الدم الأبيض
وحبيبتي البعيدة.

4- شظايا

الشظايا التي أصابت حياتي
في بغداد
عبرت المحيط
واخترقت النافذة.

5- الطبيب

لم يجد الطبيب
في قلبي غير
حبيبة واحدة
والآف البنادق.

6- الباص الأحمر

لا طيور في ساحة الطيران
ولا باص أحمر يقترب من حياتي
وحدها الشظايا
تتجول في القلب ليلاً
وتخدعني في الصباح.

7- خلف المحيط

الحياة تضيء الأصدقاء
قرب دجلة وأنا أتدافع مع الدموع خلف المحيط
ما الذي سأفعل بهذي الحياة
وهي تبتعد عن حياتي كل يوم
.

8- غرفة النوم

أي ألم سيسيل
قرب السرير هذا اليوم
كلهم ذهبوا
وأطفالي صوب أحلامهم
والقصائد للجريدة
لقد أكل الصدى غرفة النوم
وازدحم الليل بالنبيذ.

9- استكان الشاي

أحزاني لا ترتفع
تتجوّل في المنزل
وتطفو في استكان الشاي
وحدها الصواريخ
ترتفع عالياً بالقتلى
وتبصق على الجميع.

10- الرصاص

رصاص يتبعني في السرير
كل يوم
يخدش أحلامي،
لا حرب هنا
ولا جنود في الجريدة
فمن أين يأتي هذا الرصاص.

* العراق

زينة عاصي ـ «مدينتي في راسي» (مواد مختلفة وكولاج على كانفاس ـ 120 × 120 سنتم ـ 2011)

رسالة من مجهول (محفورة من بطاقة بريدية تعود لـ 1901)

فلسفة

الزواوي بغورة: الجسد والمرض والعنصرية في النظام الدولي الجديد

إيمان عامر

ضمن مشروعه الفكري المتكوّن من مجالات عدة تشتمل على فلسفة اللغة، وفلسفة العلوم، والفلسفة السياسية والاجتماعية، صدر أخيراً كتاب «السياسة الحيوية من منظور الفلسفة الاجتماعية» (دار سؤال - بيروت) للباحث الجزائري الزواوي بغورة، أستاذ الفلسفة المعاصرة في «جامعة الكويت». يعدّ الكتاب بمثابة تطوير وتعميق لقراءاته في فلسفة ميشال فوكو، ومحاولة لتطبيقها على مجموعة من القضايا الفكرية والأحداث التاريخية، أبرزها ما شهدته البشرية بين عامَي 2019 و2022 من جائحة كورونا، وتوظيف مفهوم السياسة الحيوية في المناضل الجزائري وبوالدتها وتُحدّثنا عن عشقها الكبير للغة العربية وتشكّل وعيها بقضايا الوطن الجزائري والعربي، وفرحة الاستقلال ونهاية الاستعمار الفرنسي. رواية «أصبحتُ أنت» رحلة في ماضي الكاتبة للتعرف إلى تفاصيل عائلية واجتماعية ووطنية تنطلق من الشخصي لكنها تعني الجماعة والمرحلة التاريخية على نطاق أوسع. تبوح مستغانمي في هذا الكتاب بتفاصيل لم تُذكَر من قبل، وتُكرّم والدها الذي كان له الدور الأهم في إعدادها ودعم انطلاقتها، كما تُوجه رسالة حب صادقة للجزائر.

خالد بن صالح

يبحث «أحوال الأمل» (محترف أوكسيجين للنشر) الذي حرّره الشّاعر الجزائري خالد بن صالح عن الأمل، عبر الجغرافيا العربية المتراميةِ. لمعرفة مدى حضوره في المعاش اليومي. يتضمّن الكتاب موادّ مختلفة، تبدأ مع الكاتب الجزائري العربي رمضاني الذي ينطلق من ذكريات الطفولة وصولاً إلى لحظةٍ فارقة في تاريخ الجزائر وهي لحظة الحراك الشعبي. كذلك تعرّفنا الشّاعرة التونسية سماح البوسيفي إلى الأمل الذي يعود، بإصرار من بوصله. فبعد سنوات طويلة من الخضوع، قامت ثورة مفاهيمها، لتلامس السياسة الصحية، والجسد والمرض والعنصرية، والعدالة في النظام الدولي الجديد. يتكوّن الكتاب من مقدّمة وثمانية فصول وخاتمة. تبيّن المقدمة مكانة هذا الكتاب ضمن أعمال المؤلف وأبحاثه الفلسفية، خصوصاً كتابه «مدخل إلى فلسفة ميشال فوكو» (2013). في هذا العمل، دافع عن فكرة العلاقة بين أبحاث فوكو وأبحاث مدرسة فرانكفورت، خصوصاً عند الفيلسوف ثيودور أدورنو، قبل أن يتوقّف الزواوي عند الفيلسوف أكسيل هونيث ممثل الجيل الثالث لهذه المدرسة في كتابه «نقد السلطة» (2016)، وكذلك في كتابه «الاعتراف، من أجل مفهوم جديد للعدل» (2012)، الذي حلّل فيه الوجه الجديد للعدل الثقافي أو الرمزي مقارنة بالعدل المادي أو التوزيعي، ودوره في تأسيس نظرية الاعتراف عند مجموعة من الفلاسفة المعاصرين، على رأسهم: بول ريكور، وتشارلز تايلور، وبنانسي فريزر، وأكسيل هونيث، وإمكانية تأسيس فلسفة اجتماعية عربية تُعنى بمختلف الأمراض الاجتماعية التي تعرفها المجتمعات العربية. من هنا يمكن القول إنّ المؤلّف قدّم، في «السياسة الحيوية من منظور الفلسفة الاجتماعية»، مقاربةً نظريةً وتطبيقيةً في الوقت ذاته، متّخذاً الفصل الخامس السياسة البريطانية المناهضة للعبودية عاماً لها، ومن مفهوم السياسة الحيوية مثالاً أنموذجياً. ميّز تحليلات العديد من الفلاسفة والباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: ديديبه فاسين، وبول ريبنوف في مجال الأنثروبولوجيا، ونيكولاس روز وطوماس ليمك في علم الاجتماع، وموريزيو لازاراتو في الاقتصاد، وغيوم

رأى المحللون في جائحة كورونا بداية لعصر جديد من العلاقات الدوليّة

لو بلان وأنطونيو نيغري وجيوفرجيو غامبين، وروبرتو إسبوزيتو في الفلسفة. كما طبّق قراءته على مفاهيم المرض، والجسد، والشعبويّة، والعنصرية، كاشفاً عن أهمية العدالة الصحية في النظام الدولي، لأنّه، كما يقول عن حقّ «سواءٌ تحدّثنا عن النظام الدولي الجديد أو عن السياسة الحيويّة بما هي سياسة معنيّة بصحّة السكان، فإنّ قيمة العدل حاضرة في الحالتين، فخصوم ونقّاد النظام العالمي الجديد، إنّما ينتقدونه ويعترضون عليه باسم هذه القيمة، وما يعدُّونه مصدراً لكثير من المظالم. كما أنّ الاحتجاجات على مختلف السياسات الحيويّة، وخاصّة تلك التي صاحبت جائحة كورونا، إنّما تقوم على تصوُّر معيَّن للعدل، وخاصة العدل الصحي، و لما يعتبرونه تفاوتاً غير مقبول عندما يتعلّق الأمر بصحّة الإنسان وحياته». لا شكّ في أنّ جائحة كورونا لا تطرح المسألة الصحيّة بوصفها وباءً عالميّاً، إنّما تطرح ما هو أبعد من ذلك: البُعد الوجودي للإنسان المتّسم بالهشاشة. من هنا برزت بعض الإسهامات الفكرية في الفلسفة الاجتماعية التي تولي أهميّة كبرى لما تسمّيه بـ«الضعف والهشاشة». لم يعد الأمر مقتصراً على هشاشة الأفراد وضعفهم، بسبب ما يتعرّضون له من أمراض أو حوادث، وإنّما الهشاشة أصابت وجودنا كلّه، وشملت البيئة، والمجتمع، والدول، والنظام الدولي نفسه، وليس أدلّ على ذلك من جائحة كورونا وما الحقته من انهيار للنظام الدولي، جعل بعض المحلّلين يرون في هذه الجائحة علامة على القطيعة التي سيعرفها العالم، وبداية لعصر جديد من العلاقات الدوليّة، ربّما تكون معالمه اندلاع حرب باردة بين الولايات المتّحدة الأميركية والصين الشعبيّة، وروسيا أو أكثر من ذلك!

مهما كانت قيمة هذه التحليلات السياسية الآنيّة، فالمؤكد أنّ هذه الجائحة كشفت حدود النظام الدولي، والإقليمي معاً من جهة، كما كشفت من جهة أخرى محدوديّة معارفنا وإمكاناتنا التدبيريّة، وعجزنا، رغم ما تحقّق من إنجازات علميّة وتقنيّة. يختم الباحث كتابه ببعض تأمّلاته حول جائحة كورونا وما بعدها، خصوصاً لجهة علاقتها بالبحث العلمي والسياسات العلمية التي تتبعها الدول، ومنها الدول العربية؛ على اعتبار أنّ السياسة الحيوية ترتبط بالدولة القومية التي تمارس سياسة اجتماعية؛ هدفها إحكام القبضة على الجسد الاجتماعي، عبر برامج حيوية وانضباطية لمراقبة المجتمع والتحكم به. وعن مستقبل ما بعد الجائحة؛ يرى المؤلف أنّها جعلتنا نعيد النظر في النماذج الجاهزة، خصوصاً كعرب، إذ اضطررنا لإعادة صياغة توجهاتنا البحثية بما يناسب واقعنا الفعلي، واستشعرنا الخطر الداهم، وحاولنا بكل ما أوتوا من تضحيات، فاغتُقلوا وسُجنوا ومنهم من استُشهد، والكل عانى آثار نكبة الـ 48. عن نخبة من رجالات فلسطين، تصدّى المؤرخ والصحافي عجاج نويهض (1896-1982)، وأدلى بشهادته عن الذين عرفهم، وكانوا كثرة بسبب طبيعة عمله، معتمداً النزاهة في التوصيف وسرد الحكاية. يقول في هذا الصدد: «الصراحة التي عندي إنّما زمامها بيديّ، لا أستجديها أحداً، ولا أستقرضها استقراضاً».

سياق هذا التوضيح منه، ورد في كتاب صدر حديثاً عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» بعنوان «رجال من فلسطين كما عرفتُهم» للمؤرخ الراحل عجاج نويهض (جمع وتصنيف ابنته المؤرخة بيان نويهض). الكتاب عن رجال عاشوا في وطنهم فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، وكانوا في طليعة النخب السياسية والعلمية والأدبية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية.

والكتاب بين أيدينا، تتوضّح فيه صوَر متنوعة، تُثري معلومات أي متابع عن فلسطين، وخصوصاً في حقبة بدايات التغلغل الصهيوني، ورعاية ودعم الانتداب البريطاني لإنشاء هذا الكيان الإحلالي/ الاستيطاني، الذي حلّ كارثياً على أبناء الشعب الفلسطيني. كما تتبدّى متانة الكاتب وشغفه باللغة العربية، أسلوباً، وترجماناً لعقله كمؤرخ ومفكر، فتحط الكلمة حيث موقعها، وتتالق المفردة حيث يجب أن تُفصح عن مكنون الفكرة، فنراه قلماً سيّالاً، كاشفاً عن بواطن، غامزاً من أدوار للبعض، متمكناً من لسع بعضهم الآخر.

في تقديم الكتاب، يورد خالد فرّاج ومأهر الشريف عن نويهض «أنه من رجالات الحركة الوطنية العربية الفلسطينية والبارزين، كما عمل نحو عشرة أعوام سكرتيراً للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى برئاسة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني، وساهم في تأسيس حزب الاستقلال، وأسّس مجلة «العرب» (إلى آخره مما على المتابع أن يجده في كتاب «مذكرات عجاج نويهض: ستون عاماً مع القافلة العربية» عن «دار الاستقلال»/ بيروت)، إضافة إلى مقدمة للمؤرخة نويهض تختصر فيها تعريف ما جاء في الكتاب. يحتوي القسم الأول (بعنوان «حملة مشاعل النهضة الفكرية الوطنية في فلسطين العربية») على تراجم لأكثر من مئتي فلسطيني كان يعرفهم، عبارة عن قبسات أو شذرات أو لُمع عن هؤلاء. أما القسم الثاني بعنوان «هؤلاء كما عرفتهم: حياتهم، عطاؤهم، تراثهم»، فيشتمل على سيرة 21 فلسطينياً، كل منهم في فصل مستقل.

وبالرغم من طبيعة السيرة الذاتية المواكبة لكل من هذه الشخصيات، إلا أن ما كان يتصارع على أرض فلسطين يومها، ويعتمل في نفوس هذه الرجالات، يظهر جلياً طي صفحات الكتاب، تختصرها حماسة وتضحيات أولئك الرجال من جهة، واشتداد الخنق البريطاني والصهيوني على الفلسطينيين من جهة ثانية (بلغ عدد الذين زجّهم البريطاني في إضراب عام 1936 نحو خمسة آلاف معتقل). وما بين هاتين الحالتين، تظهر نتوءات الخيبات وضعف الحيلة والجهل بخلفيات عملية اغتصاب فلسطين المُتقنة التخطيط بقذارات الدهاء البريطاني، دونما سند غربي فكانت نكبة الـ 48، كأن المشهد لم يتغير كثيراً إلى اليوم، مع استثناءات استمرار تضحيات الشعب الفلسطيني.

ونظراً إلى العدد الكبير من الشخصيات الواردة في الكتاب (558 صفحة مع فهارس الأعلام والأماكن وفهرست عام)، سنتوقف عند بعض الشخصيات لارتباط دورها بمحطات بارزة لها دلالاتها. مثلاً، يصف نويهض شخصية موسى كاظم باشا الحسيني (1853-19349) بأنه «شيخ القضية بلا منازع، وكان يناطح الإنكليز واليهود»، وتقدّم التظاهرات عامَي 1919 و1920 وهو في حدود الرابعة والثمانين من العمر «لمّا قامت البلاد تستنكر طغيان الهجرة اليهودية في عهد هتلر». وهناك ابنه الشهيد في معركة القسطل عبد القادر الحسيني، وأيضاً الشاعر أبو سلمى الكرمي «من الذين أسهموا في حركة الأذهان لا في فلسطين وحدها بل في بلاد العرب جمعاء»، ناهيك بالشيخ المجاهد عز الدين القسّام (1871- 1935)، وثورته واستشهاده وقد باتت على السنة الكبار والصغار والحاقدين.

توقّف نويهض عند حكاية الصراع بين ال الحسيني وآل النشاشيبي، مجسّداً بالمفتي الحسيني وبراغب النشاشيبي، محاولاً بكل ما أوتي من بلاغة اللغة والتهذيب الشخصي أن يضع هذا التصارع في إطاره. ومع أن نويهض كان سكرتيراً للمفتي الحسيني، إلا أنه شرح بتكثيف وتوسيع أبعاد شخصية راغب النشاشيبي وأضفى عليه من الإيجابيات، وغمز مما حمله من سلبيات إلى تأثير قريبه فخري النشاشيبي. وفقاً لما ذكره نويهض، ونقلاً عن راغب، فإنّ تقلبات فخري عند الإنكليز أودت بحياته مقتولاً في بغداد. يتّسع كلام نويهض للحديث عن صبحي الخضراء (والد الأديبة الراحلة أخيراً سلمى الخضراء الجيوسي) وهو «الخطيب المفوّه والسياسي والصحافي وأحد مؤسسي حزب «الاستقلال»، والناشر للتوعية ضد الصهيونية»، في حين أن أحمد سامح الخالدي (1896-1951) «عاش عمره وهو يسعى للوصول إلى إرساء نظام تعليمي جديد في فلسطين، وأراده نظاماً متطوراً»، وله الفضل في تأسيس المكتبة الخالدية المعروفة إلى اليوم. أما رشيد الحاج إبراهيم (1891-1953)، فاستحوذ على مشاعر وقلم نويهض الذي قال عنه بأنه «من أفذاذ رجالات العرب في حيفا»، عارضاً لمسيرته، ودوره اللصيق بالقسّام وثورة عام 1936، وفائض قيمه الأخلاقية ومسلكه الشخصي، والتضحيات التي قدمها، وهو «الذي أدرك منذ مجيء الانتداب البريطاني عام 1917 أبعاد الاحتلال العسكري وخطر الصهيونية»، فكان «فراشة ونيزكاً سماوياً معاً».

لا ينسى نويهض شخصيات مثل خليل السكاكيني، وعوني عبد الهادي، وتوفيق أبو الهدى «الذي كان الإنكليز راضين عنه دائماً»، وقد حكم ست سنوات كرئيس وزراء في الأردن، وهناك عبد الحميد شومان (مؤسس البنك العربي)، وقصته التي تعدّ نموذجاً للعصامية والإبداع والأخلاق السامية، فهو الأمي وقد بلغ العشرين من العمر، والمهاجر إلى أميركا بلا خريطة طريق، وهو المناضل من أجل فلسطين، فعمل على تأسيس «البنك العربي»، الذي فتح أبواب جميع فروعه داخل مدن فلسطين وخارجها عشية نكبة الـ 48 أمام الموعزين من أبناء بلده، وعن صراعه مع اليهود لمنع العرب من إنشاء أي مصرف. أما المفتي أمين الحسيني، فقد عرض نويهض لمسيرته «كما عرفها المؤرخ معرفةً وثيقة».

توثيق

عجاج نويهض: رجال من فلسطين

منى سكرية

تاريخ فلسطين وشعبها ورجالاتها لا ينقطع بمرور الزمن والحقبات، طالما أنها ترزح تحت احتلال إحلالي/ استيطاني إسرائيلي. الذين خاضوا غمار التضحيات ضد الحركة الصهيونية، والدعم الكامل من الانتداب البريطاني لغزوه وتغلغله في أرض فلسطين، شكّلوا مشاعل مضيئة في بدايات الطريق. استشعروا الخطر الداهم، وحاولوا بكل ما أوتوا من تضحيات، فاغتُقلوا وسُجنوا ومنهم من استُشهد، والكل عانى آثار نكبة الـ 48. عن نخبة من رجالات فلسطين، تصدّى المؤرخ والصحافي عجاج نويهض (1896-1982)، وأدلى بشهادته عن الذين عرفهم، وكانوا كثرة بسبب طبيعة عمله، معتمداً النزاهة في التوصيف وسرد الحكاية. يقول في هذا الصدد: «الصراحة التي عندي إنّما زمامها بيديّ، لا أستجديها أحداً، ولا أستقرضها استقراضاً».

سياق هذا التوضيح منه، ورد في كتاب صدر حديثاً عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» بعنوان «رجال من فلسطين كما عرفتُهم» للمؤرخ الراحل عجاج نويهض (جمع وتصنيف ابنته المؤرخة بيان نويهض). الكتاب عن رجال عاشوا في وطنهم فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، وكانوا في طليعة النخب السياسية والعلمية والأدبية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية.

والكتاب بين أيدينا، تتوضّح فيه صوَر متنوعة، تُثري معلومات أي متابع عن فلسطين، وخصوصاً في حقبة بدايات التغلغل الصهيوني، ورعاية ودعم الانتداب البريطاني لإنشاء هذا الكيان الإحلالي/ الاستيطاني، الذي حلّ كارثياً على أبناء الشعب الفلسطيني. كما تتبدّى متانة الكاتب وشغفه باللغة العربية، أسلوباً، وترجماناً لعقله كمؤرخ ومفكر، فتحط الكلمة حيث موقعها، وتتالق المفردة حيث يجب أن تُفصح عن مكنون الفكرة، فنراه قلماً سيّالاً، كاشفاً عن بواطن، غامزاً من أدوار للبعض، متمكناً من لسع بعضهم الآخر.

في تقديم الكتاب، يورد خالد فرّاج ومأهر الشريف عن نويهض «أنه من رجالات الحركة الوطنية العربية الفلسطينية والبارزين، كما عمل نحو عشرة أعوام سكرتيراً للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى برئاسة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني، وساهم في تأسيس حزب الاستقلال، وأسّس مجلة «العرب» (إلى آخره مما على المتابع أن يجده في كتاب «مذكرات عجاج نويهض: ستون عاماً مع القافلة العربية» عن «دار الاستقلال»/ بيروت)، إضافة إلى مقدمة للمؤرخة نويهض تختصر فيها تعريف ما جاء في الكتاب. يحتوي القسم الأول (بعنوان «حملة مشاعل النهضة الفكرية الوطنية في فلسطين العربية») على تراجم لأكثر من مئتي فلسطيني كان يعرفهم، عبارة عن قبسات أو شذرات أو لُمع عن هؤلاء. أما القسم الثاني بعنوان «هؤلاء كما عرفتهم: حياتهم، عطاؤهم، تراثهم»، فيشتمل على سيرة 21 فلسطينياً، كل منهم في فصل مستقل.

وبالرغم من طبيعة السيرة الذاتية المواكبة لكل من هذه الشخصيات، إلا أن ما كان يتصارع على أرض فلسطين يومها، ويعتمل في نفوس هذه الرجالات، يظهر جلياً طي صفحات الكتاب، تختصرها حماسة وتضحيات أولئك الرجال من جهة، واشتداد الخنق البريطاني والصهيوني على الفلسطينيين من جهة ثانية (بلغ عدد الذين زجّهم البريطاني في إضراب عام 1936 نحو خمسة آلاف معتقل). وما بين هاتين الحالتين، تظهر نتوءات الخيبات وضعف الحيلة والجهل بخلفيات عملية اغتصاب فلسطين المُتقنة التخطيط بقذارات الدهاء البريطاني، دونما سند غربي فكانت نكبة الـ 48، كأن المشهد لم يتغير كثيراً إلى اليوم، مع استثناءات استمرار تضحيات الشعب الفلسطيني.

ونظراً إلى العدد الكبير من الشخصيات الواردة في الكتاب (558 صفحة مع فهارس الأعلام والأماكن وفهرست عام)، سنتوقف عند بعض الشخصيات لارتباط دورها بمحطات بارزة لها دلالاتها. مثلاً، يصف نويهض شخصية موسى كاظم باشا الحسيني (1853-19349) بأنه «شيخ القضية بلا منازع، وكان يناطح الإنكليز واليهود»، وتقدّم التظاهرات عامَي 1919 و1920 وهو في حدود الرابعة والثمانين من العمر «لمّا قامت البلاد تستنكر طغيان الهجرة اليهودية في عهد هتلر». وهناك ابنه الشهيد في معركة القسطل عبد القادر الحسيني، وأيضاً الشاعر أبو سلمى الكرمي «من الذين أسهموا في حركة الأذهان لا في فلسطين وحدها بل في بلاد العرب جمعاء»، ناهيك بالشيخ المجاهد عز الدين القسّام (1871- 1935)، وثورته واستشهاده وقد باتت على السنة الكبار والصغار والحاقدين.

توقّف نويهض عند حكاية الصراع بين ال الحسيني وآل النشاشيبي، مجسّداً بالمفتي الحسيني وبراغب النشاشيبي، محاولاً بكل ما أوتي من بلاغة اللغة والتهذيب الشخصي أن يضع هذا التصارع في إطاره. ومع أن نويهض كان سكرتيراً للمفتي الحسيني، إلا أنه شرح بتكثيف وتوسيع أبعاد شخصية راغب النشاشيبي وأضفى عليه من الإيجابيات، وغمز مما حمله من سلبيات إلى تأثير قريبه فخري النشاشيبي. وفقاً لما ذكره نويهض، ونقلاً عن راغب، فإنّ تقلبات فخري عند الإنكليز أودت بحياته مقتولاً في بغداد. يتّسع كلام نويهض للحديث عن صبحي الخضراء (والد الأديبة الراحلة أخيراً سلمى الخضراء الجيوسي) وهو «الخطيب المفوّه والسياسي والصحافي وأحد مؤسسي حزب «الاستقلال»، والناشر للتوعية ضد الصهيونية»، في حين أن أحمد سامح الخالدي (1896-1951) «عاش عمره وهو يسعى للوصول إلى إرساء نظام تعليمي جديد في فلسطين، وأراده نظاماً متطوراً»، وله الفضل في تأسيس المكتبة الخالدية المعروفة إلى اليوم. أما رشيد الحاج إبراهيم (1891-1953)، فاستحوذ على مشاعر وقلم نويهض الذي قال عنه بأنه «من أفذاذ رجالات العرب في حيفا»، عارضاً لمسيرته، ودوره اللصيق بالقسّام وثورة عام 1936، وفائض قيمه الأخلاقية ومسلكه الشخصي، والتضحيات التي قدمها، وهو «الذي أدرك منذ مجيء الانتداب البريطاني عام 1917 أبعاد الاحتلال العسكري وخطر الصهيونية»، فكان «فراشة ونيزكاً سماوياً معاً».

لا ينسى نويهض شخصيات مثل خليل السكاكيني، وعوني عبد الهادي، وتوفيق أبو الهدى «الذي كان الإنكليز راضين عنه دائماً»، وقد حكم ست سنوات كرئيس وزراء في الأردن، وهناك عبد الحميد شومان (مؤسس البنك العربي)، وقصته التي تعدّ نموذجاً للعصامية والإبداع والأخلاق السامية، فهو الأمي وقد بلغ العشرين من العمر، والمهاجر إلى أميركا بلا خريطة طريق، وهو المناضل من أجل فلسطين، فعمل على تأسيس «البنك العربي»، الذي فتح أبواب جميع فروعه داخل مدن فلسطين وخارجها عشية نكبة الـ 48 أمام الموعزين من أبناء بلده، وعن صراعه مع اليهود لمنع العرب من إنشاء أي مصرف. أما المفتي أمين الحسيني، فقد عرض نويهض لمسيرته «كما عرفها المؤرخ معرفةً وثيقة».

الكتاب عن رجال عاشوا في وطنهم فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين

لمحات

احلام مستغانمي

تسرد الكاتبة الجزائرية المعروفة أحلام مستغانمي سيرتها الذاتية في روايتها الجديدة «أصبحتُ أنت» (دار هاشيت أنطوان/ نوفل). تحكي الكاتبة بأسلوب جذاب مقتطفات من حياتها ومذكّراتها، وتخبرنا عن سنوات المراهقة الجميلة ولحظة اكتشافها الحبّ البري، وبداياتها الأدبيّة مع الشّعر وبرنامجها الإذاعي الذي أطلقها في بلدها الأمّ الجزائر. تتطرق مستغانمي أيضاً إلى علاقتها بوالدها المناضل الجزائري وبوالدتها وتُحدّثنا عن عشقها الكبير للغة العربية وتشكّل وعيها بقضايا الوطن الجزائري والعربي، وفرحة الاستقلال ونهاية الاستعمار الفرنسي. رواية «أصبحتُ أنت» رحلة في ماضي الكاتبة للتعرف إلى تفاصيل عائلية واجتماعية ووطنية تنطلق من الشخصي لكنها تعني الجماعة والمرحلة التاريخية على نطاق أوسع. تبوح مستغانمي في هذا الكتاب بتفاصيل لم تُذكَر من قبل، وتُكرّم والدها الذي كان له الدور الأهم في إعدادها ودعم انطلاقتها، كما تُوجه رسالة حب صادقة للجزائر.

مانيو إس هوبر

«عبيدٌ لسيّدٍ واحد» (2015) للمؤرّخ الأميركي المعاصر مانيو إس هوبر الذي انتقل أخيراً إلى العربية (دار خطوط وظلال – ترجمة عمر إبراهيم وعين جودة)، يروي تاريخ العبودية في الخليج وشبه الجزيرة العربيّة في حقبة الإمبراطورية البريطانية. يضع الفصل الأول تاريخ نخاسة شرق أفريقيا ونمو السّلطنات الأفريقي في شرق شبه الجزيرة ويُشكّك في بعض الأساطير المحفوظة في الأدبيات الاستعمارية. يناقش الفصل الثاني صوراً عدة لاعتمادية شبه الجزيرة في القرن التاسع عشر على الأسواق العالمية وعلى عمالة العبيد، ويُظهر الفصل الثالث كيف كان الافارقة رکيزة أساسية في صناعة اللؤلؤ الخليجية الضخمة. يناقش الفصل الرابع أوجه الحياة اليومية والأسرية للعبيد الأفارقة في الخليج. ويستكثه الفصل الخامس السياسة البريطانية المناهضة للعبودية عبر «المحيط الهندي»، مُركّزاً على حياة العبيد الأفارقة الذين حرّرتهم البحرية الملكية، موضحاً كيف شابهت حياتهم، نظراءهم المستعبدين في الخليج. ويوضح الفصل السادس كيف دفعت القوى الاقتصادية العالمية صناعة اللؤلؤ في الخليج نحو الانهيار الكارثي في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، وكيف أثّر هذا الانهيار على حياة العبيد.

اولريش براند ومارکوس فسن

يتناول أولريش براند ومارکوس فسن في «نمط العيش الإمبريالي: استغلال الإنسان والطبيعة في الرأسمالية العالمية» (2021) الصادر أخيراً في ترجمة عربية (مركز دراسات الوحدة العربية – ترجمة بشار الزبيدي) موضوع استغلال الإنسان والبيئة في عهد الرأسمالية والنيوليبرالية. يحلّل الباحثان الألمانيان علاقة النظام الرأسمالي بأنماط العيش في بلدان الشمال والجنوب ويؤكدان أنّ نمط العيش السائد يحمل الصفة «الإمبريالية»، لأنه يتطلّب وصولاً غير عادل وغير محدود إلى مصادر الطاقة والقوى العاملة. يحلّلان نمط العيش الإمبريالي الذي يقوم على استغلال الشمال لبلدان الجنوب من أجل تأمين المعادن الثمينة الخام لكبريات الشركات الرأسمالية في دول الشمال المعولم التي تعتمد على الآلات وعلى الرقمنة الدائمة. يشير الباحثان كذلك إلى أن سياسة الاتحاد الأوروبي في تصدير المواد الزراعية المدعومة بقوة إلى أفريقيا، أسهمت في تدمير نمط الإنتاج عند صغار الفلاحين وزيادة البطالة والهجرة. يدعو المؤلفان إلى تبني «نمط عيش تضامني» قائم على العدالة وحماية البيئة والنضال من أجل بديمقراطية الطاقة والتحوُّل الأخضر والسيادة الغذائية وتمهيد الطريق إلى تحوُّل اجتماعي – بيئي يخدم الجميع، وخصوصاً البلدان الفقيرة.

رامي طويه

تخالف المجموعة القصصية الأخيرة للكاتب والسيناريست السوري رامي طويل «امرأة عند النافذة» (دار الساقي) توقّعات القارئ وتطلق العنان لمُخيلته من أجل استكمالها. على الرغم من تنوّع موضوعاتها وتشتت مآربها وعدم ركونها إلى نقطة ارتكاز واحدة، إلا أن غريزة الحزن تُحرّك كل قصة من قصص هذه المجموعة. حزن يتوارى خلف الضحك والخفة والالمبالاة. تتميز النصوص بغرائبية الأحداث والشخصيات، فكلّ قصة من قصص المجموعة مليئة بالهذيان وتنمُّ عن الحقيقة التالية: إن الوهم هو الأصل والواقع مجرد وجهة نظر في سرد لا يحفل في الكثير من الأحيان. إلا بالقاء القبض على الأكثر عتمة في دواخلنا. أما أبطال هذه المجموعة برمّتها، فهم أقرب إلى كائنات يرتّبون شؤون موتهم منذ الأسطر الأولى للسرد، إذ إن النجاح المتألّق الذي يمكن لأيّ من هذه الشخصيات التباهي به، يكمن في النجاح في التصالح مع الموت، لكن هذا لا يعني نهاية القَصّ. ذلك أن المطوي والمنثني والصامت والمخبوء كل ذلك لا ينفك يطلّ برأسه. تضم مجموعة «امرأة عند النافذة» العديد من القصص منها: «القهوة»، و«سنضحك»، و«قصة النافذة»، و«المتحف» وغيرها.

يوسف الحسن

يعتبر الباحث الإماراتي يوسف الحسن في كتابه «تأملات في ثقافة رديئة» (شركة المطبوعات للنشر والتوزيع) بأنّ المشهد العربي لا يُثير عدواً ولا صديقاً بسبب ما أصاب الثقافة من رداءة وتخلّ عن وظائفها الاجتماعية والإبداعية والفكرية. توضح التأملات في الكتاب كيف تمكّنت الثقافة الرديئة ومُسوّقوها، من إغرائنا بقبول تسلياتها النمطية السّلبيّة، وتشجيعنا على الإغفاء بدلاً من التيقظ والتركيز. ونشرت اللامبالاة والبلاهة في المجتمع بدلاً من الوعي والتفكير النقدي، فضلاً عن إغرائنا بالنظر إلى ما هو مبتذل ومَقيت وغير خاضع للقواعد الجماليّة والمعايير الأخلاقية. يسعى هذا الكتاب لدراسة الرداءة وتحليلها وتعريف عدد من أنماط الثقافات الرديئة والتأمل فيها وفي طلالها الاجتماعية والسياسية بغرض نقدها وتجاوزها. يؤكد الحسن في هذا الكتاب أننا بحاجة إلى كشف الغطاء عن الرداءة وعمن يُلام على وجودها، وتعريتها قبل أن يتسع الثقب الأسود الثقافة وهاويات الاستهلاك الشره والفرجة بلا حدود من أجل تأسيس ثقافة ذات بعد حضاري وإنساني قادرة على الارتقاء بالأمّة والإنسان.

رواية

عبد المجيد زراقط: الوعي سبيلاً للنجاة

فاطمة شحادي

يثير عنوان رواية «المصيدة» (دار البيان العربي . بيروت) للكاتب اللبناني عبد المجيد زراقط أسئلة عدة، منها: ما هي هذه المصيدة؟ من ينصبها؟ ولمَن؟ ومن؟ وماذا تصطاد؟ نجد إشارة إلى إجابة عن هذه الأسئلة في صفحة الغلاف الأخيرة مفادها أنّ نبيل عامل، المثقف المتفرغ للعمل الثقافي، والناشط الحزبي اليساري السابق، يقع في مصيدتين: مصيدة «أرقش»، قائد ميليشيا حيّه، ومصيدة «ثعبان»، كبير العملاء، في قريته المحتلّة. ونجد إشارة أخرى إلى إجابة، في التصديرين اللذين تبدأ بهما الرواية. ففي التصدير الأول، يسأل صاحب السلطان، هارون الرشيد، شيخ المعتزلة، ثمامة بن الأشرس، وهو إمام الفكر الحر في عصره، بعدما أخرجه من السجن: «أخبرني من أسوأ الناس حالاً؟ فيجيبه: عاقل يجري عليه حكم جاهل. وفي التصدير الثاني، يجري حوار بين سامي الكاتب ونبيل عامل، وهما شخصيتان من شخصيات هذه الرواية. يقول سامي: كنّا نقول: الحياة مصيدة، الناس فيها صيادون ومصطادون، لكلّ شباكه، ما هي شباكك، الآن، يا صديقي؟ فيقول نبيل: لتكن هذه الرواية شباكي، فنامل، أنا لم أملك سوى قلمي.

الإجابتان دلّتان على العلاقة التي تقوم بين صاحب السلطان والمثقف، يريد الأول توظيف الثاني في خدمته، وإن أبى، يجعله في أسوأ حال يعرفه الناس، ولمّا كان المثقف لا يملك سوى قلمه، فإنه يجعل مما يخطّه قلمه، وهو الرواية هنا، شباكه في هذه الحياة مصيدة الجميع.

الأسئلة التي تُطرح هنا هي: ما هي حكاية هذه العلاقة بين المثقف وصاحب السلطان؟ وكيف تمثّلت روائياً؟

حكاية هذه الرواية، أو وقائعها/ مادتها الأوّلية، المستقاة من المرجع الواقعي، من منظور روائي راءٍ إليه هي: نبيل عامل، مدرّس في مدرسة قريته الحدودية، كان ناشطاً حزبياً يسارياً، ومتعاوناً مع المقاومة الفلسطينية. بعد قيام الحرب اللبنانية، يتفرّغ للعمل الثقافي، ومتابعة دراسته الجامعية. عندما اجتاح العدو الإسرائيلي لبنان الجنوبي عام 1978؛ هُجّر من قريته إلى بيروت، فاقام في حيّ شعبي، وعمل محرّراً في دار نشر «الكاتب» التي يديرها صديقه ورفيقه القديم سامي الكاتب، ومُدرساً في ثانوية خاصة. إلى جانب عمله في المدرسة الرسمية التي التحق بها هو وعدد كبير من زملائه المهجّرين، ثم عمل رئيساً لقسم الطباعة في مركز الأبحاث. لما اجتاح العدو الإسرائيلي لبنان عام 1982، واصل عمله في مركز الأبحاث، في ملجأ، وغادرت أسرته إلى القرية. عندما حدثت مجزرة صبرا وشاتيلا، تطوّع في الدفاع المدني، ودخل المخيم، فخطفه كبير العملاء، واقتاده إلى قريته. كان هذا زميلاً له في دار المعلمين، وفي التعليم. طلب منه أن يعمل معه، فماطله. في هذا الوقت، عرف أنّ بيته في بيروت سُرق ثم أحرق، فغادت أسرته إلى بيروت، لتتفقّده وتصلحه، ثم هرب هو من القرية بمساعدة المقاومين، وعاد للعمل في دار النشر، وتدبّر أمر شراء شقة في حي آخر بقرض من الإسكان. وفيما هو يدهن الشقة، اقتحمها مسلحو ميليشيا الحي، واقتادوه إلى معتقل «أرقش» الرهيب. يجري تسوية معه بوساطة الكاتب بالعدل، ويخرج من المعتقل. يعطي سامي الكاتب دفتراً كتب فيه فصولاً من روايته، ويطلب منه أن يستكتب من يسأل عنه، ويختفي. يلبّي سامي طلب رفيقه وصديقه، ويكتب هو ما يعرفه، ويصنع هذه الرواية.

تتخذ الحكاية بنية تتتابع فيها الأحداث مُتسلسلة في مسار الزمن الطبيعي، غير أنّ الرواية تتّخذ بنية تجريبيّة يتكسّر فيها الزمن ويتعدّد، ويرويها رواة متعددون، فتبدأ مما قبل النهاية. يروي سامي الكاتب، في الفصل الأول أنّه أعدّ رواية صديقه ورفيقه المختفي نبيل عامل. ثم يروي نبيل عامل قصة اقتحام المسلحين لشقته، وهو بدهنها، واعتقاله وتوجيه تهمة العمالة له: اشترى الشقة من ساكنها الفلسطيني ومالكها الانعزالي، وسرق بحث فواز الساطع، مستشار أرقش الثقافي. يحقّق أرقش معه، ويخبره بأنه سيستقدم شهوداً يواصل نبيل

أوراق

ماغي تايلور ــ «حالم» (طباعة نافثة للحبر على ورق عالي الجودة ــ 38,1 × 38,1 سنتم ــ 2003)

الحيّة الثالثة

زكريا محمد *

أُصبت بسرطان القولون قبل ثلاثة وعشرين عاماً، وأجريت لي عملية، وشفيت. لكن ما أودّ أن أحدثكم عنه يتعلق بمنام رأيته بعد ليلتين من معرفتي بأنني مصاب بالسرطان. في ذلك الحلم ذهبت إلى المرحاض، فوجدت في حوضه ثلاث حيات تطل برؤوسها. لكن بشكل ما أغرق الماء اثنتين منها، أو أنهما غاصتا بإرادتهما في الماء وذهبتا. أما الثالثة، وكانت ذات عنق أصفر، فظلت في الحوض ترفع رأسها متوثّبة عدوانية. وقد أخافتني. ثم فتحت فمها، وغرزت نابها في قدمي الواقفة على أرض الحمام. ولا أعرف بالطبع كيف انتقلت الحية من حوض المرحاض كي تعض قدمي على الأرض. غرزت الحية نابها، لكنّ الناب لم يصل إلى اللحم، بل انغرز في الحفاية (الشبشب) التي أضع قدمي فيها. وتدفّق السم في الحفاية، فأحسست به بارداً يرطّب بطن قدمي، لكن من دون أن يتسرب إلى داخل جسمي.

ثم ذهبت إلى المشفى وأجريت العملية، وقطعوا جزءاً من أمعائي. وفُحصت الأنسجة، فتبين أن الورم كان في نهاية المرحلة الثانية، أي أنه كان على وشك أن يدخل المرحلة الثالثة، حيث تصير إمكانية الشفاء ضعيفة.

وحين عادني الشاعر طاهر رياض في المشفى، حكيت له قصة الحيات، وربطت بينها وبين نتيجة فحص الأنسجة. فهناك حيات ثلاث، وهناك مراحل ثلاث. غطست حيتان في الماء وذهبتا، وانقضت مرحلتان. أما الحية الثالثة الصفراء، فتمثل المرحلة الثالثة. فلاحظ طاهر أيضاً أن الورم كان على «حافة» الثالثة، وأن الحية الثالثة لدغت «الحفاية» ولم تصب اللحم، وأن هذا ليس مصادفة. أي أن الحلم لعب على التواصل اللفظي الشديد بين الحافة والحفاية. فقد جعل الحية الثالثة تحاول لدغي، لكنه لم يمكّنها إلا من «الحفاية»، بل ومن «حافة» الحفاية، أي طرفها. كما أن الفحص الطبي بيّن أن الورم وصل إلى نهاية المرحلة الثانية، ثم وقف على «حافة» الثالثة، لكنه لم يتمكن من العبور إليها، أي أنه لم يصل إلى العقد الليمفاوية. بذا، ففي الحافة تكمن رسالة الحلم.

ويمكنك، إضافة إلى ذلك، أن تلاحظ أيضاً أنّ القولون حوض داخلي للإفرازات مثله مثل حوض المرحاض. وهكذا اكتمل التشبيه. فالحلم يحكي بلغة الاستعارات والتشابيه. وهو بهذا قريب جداً من الشعر وطرائقه.

إذاً، فقد كان الحلم يشخّص لي، في الواقع، وبشكل ما، حالتي الطبية قبل العملية، وقبل فحص الأنسجة. كان يقول لي إنّ ورمك في نهاية المرحلة الثانية، وإنه يحاول الوصول إلى المرحلة الثالثة كما حاولت الحية الصفراء الثالثة، لكنها لم تنجح.

ولم أكن أؤمن وقتها بفرضية «يونغ»، التي تقول إن الأحلام رسائل عن وضع جسدك، وإن هذا الجسد يكتبها لكي تقرأها. وهو يدقّ لك جرس الإنذار بهذه الرسائل. لكنك تهمل هذه الرسائل، أو أنك لا تستطيع فكّها. وكنت أظن أن هذا الكلام نوع من تفسير الأحلام على الطريقة القديمة حيث يخبر الحلم عن الأحداث التي ستحدث في المستقبل. لكنني بعد ذلك الحلم، صرت على الأقل مستعداً لأن أسمع ما قاله يونغ.

غير أن السؤال هو: كيف نجد وسيلة ملائمة لالتقاط رسائل أجسادنا وفهمها مبكراً؟ إذ لن يفيدني مثلاً أن يكون تشخيص الحلم متوافقاً مع تشخيص الطب، إذا لم أكن أعرف بهذا التشخيص قبل ذهابي إلى الطبيب. لا ينفعني أن جسدي يعلمني، لكنني لا أعرف أنه يفعل حتى أزور الطبيب. ثم كيف نميز بين رسائل الجسد الفعلية، إن كانت هناك رسائل حقاً، وبين ألاعيب الأحلام الفانتازية الأخرى؟ فالأحلام تقدم لنا تشخيصات مستمرة لا تبدو كأنها رسائل تحذيرية قادمة من أجسادنا، بل تعليقات على أحداث قديمة، أو على مشاعر ما. وهكذا تضيع الرسائل المفترضة في بالوعة المشاهد التي لا تتوقف في الأحلام، كما تضيع الإبرة في كومة قش. ويصبح الحديث عن الرسائل بلا معنى تقريباً.

> كان الخوف في الحلم أعظم، والمتعة أشد

وأكثر ما يخيف الإنسان أن يكون جسده مجهولاً بالنسبة إليه، وأن كمائن خطيرة قد تكون منصوبة له داخل هذا الجسد من دون أن يدري. هذا الشعور يؤدي إلى انعدام ثقة، بل وانفصال ما، بين الذات والجسد. فالجسد لن يتبدّى كمتراس من متاريس الذات، بل كثغرة يعبر منها أعداؤها الخطرون وغير المرئيين للهجوم على هذه الذات في عقر دارها.

السقوط في الحلم

يقول باشلار في «شاعرية أحلام اليقظة» إنّ علينا أن لا نقع في وهم قناعة الحالم «بأنه عايش فعلاً الحلم الذي ينقله لنا. إنها لقناعة منقولة تقوى كلّما سرد الحلم. ولا يوجد قطعاً تماثل بين الذات التي تسرد الحلم والذات التي حلمت».

ومع أن الفرق بين الذات الحالمة والذات التي تسرد الحلم مسألة معقّدة فعلاً، فأنا لا أحب كلمات من طراز «قطعاً» في هذا السياق، فكيف نقطع في أمور لا نفهمها جيداً؟ وتجربتي الشخصية تعلمني أنني عشت الحلم في مرات عديدة بأشد مما عشت حوادث الصحو في لحظات محددة. كان الخوف في الحلم أعظم، وكانت المتعة أشد.

ولديّ حلم حلمته منذ أربعين أو خمسين عاماً، ولا يستطيع جسدي أن يتخلّص من وطأته حتى الآن. فمرة أنني أسقط في الحلم، وكان خوفي أن سقوطي سيكسرني. لكنني في لحظة ما فكرت أنني قادر على أن أوقف السقوط ولو لثوان معدودة قبل الوصول إلى الأرض. ولو نجحت، فسيكون سقوطي غير مؤذٍ، أيّ أنه سيكون سقوطاً ثانياً مستأنفاً من مسافة قصيرة.

وبناءً على هذه الفكرة، فقد وتّرت في الحلم عضلاتي، ومدّدت ذراعيّ على مداهما كأنني مصلوب، وثبتّ رجلي في الهواء، كما أثبت أبو تمام رجليه في مستنقع الموت: «وأثبت في مستنقع الموت رجله»، فتوقف السقوط للحظات، ثم استأنفَ سقوطي حركته فكان سقوطاً خفيفاً لم يؤذني.

وإلى الآن، وبعد كل هذه السنوات، فإنّ جسدي يشعر بأن توقف السقوط للحظات، أي معاكسة الجاذبية بالإرادة، ممكن. لا أستطيع أن أقنعه بأن هذا مناقض للمنطق، وأنه لا يمكن معاكسة الجاذبية عبر توتير العضلات. ما زالت تجربة إيقاف السقوط مخزونة في جسدي ودماغي إلى الآن. وما زال عقلي الواعي غير قادر على محوها.

وهكذا، فقد فهم جسدي شيئاً لا يستطيع منطقي الموافقة عليه. فقد عاش التجربة، وأوقف السقوط المخيف للحظات، فنجا. أو قل إن عقل الحلم هو من عاش التجربة، وأقنع الجسد بها، لكن عقل الصحو لا يستطيع أن يوافق على هذا الاستخلاص لأنه لم يعش التجربة.

هناك تجارب لا تُنسى تأتينا من الأحلام. تجارب أشد عمقاً من تجارب اليقظة.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 20 Mai 2023 no65
السبت 20 أيار 2023 العدد 65

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

(هيثم الموسوي)

مكافحة الفساد اكتملت ورقياً

[4-2]

استقدام العاملات في الخدمة المنزليّة

4

البحث عن مفقودين في البحر

5

فصول من نهب التاريخ والاتجار بالتراث

[3/2]
7-6

كيف يعرّف الناس الفساد؟

أونلاين

في الواجهة

منذ سنوات تضجّ وسائل الإعلام بتصريحات مسؤولين ينادون باستصدار قوانين ومراسيم لمكافحة الفساد، حتى يكاد لبنان يصاب بـ«تخمة» تشريعية بعد استصدار العديد من القوانين، بما يؤكّد أن هذه لم تصدر لمكافحة الفساد، وإنما تلبية لمزاعم نشدان الإصلاح المزعوم. صُوّرت المشكلة في نقص القوانين، في حين أنها تكمن في جشع المسؤولين ورغبتهم في تكديس مزيد من الأموال. اليوم، نعيش أجواء الذكرى السنوية الثالثة لصدور قانون مكافحة الفساد في القطاع العام (أيار 2020)، وفي المناسبة نتذكر محاسن «أموات قوانيننا». إذ لا يحتاج تنفيذ هذه القوانين إلى قرار من أحد، بل هي واجبة التنفيذ. ولا يمكن التذرّع بشغور منصب رئيس الجمهورية ولا بحكومة مكتملة الأوصاف، بل بالقضاء الذي يضم بين جنباته الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، علماً أن كليهما مستقلان قانوناً عن السلطتَيْن التنفيذية والتشريعية

في الذكرى السنوية الثالثة للقانون .. مكافحة الفساد اكتملت ورقياً

«الفساد يتسبّب بالفقر وينتهك حقوق الإنسان ويقوّض الديموقراطية ويشكّل عائقاً أمام النمو الاقتصادي ويتسبّب بالضرر البيئي وبالصحة العامة، كما انه إحدى أدوات الجريمة المنظمة» (من الأسباب الموجبة لاقتراح قانون حماية كاشفي الفساد الرقم 2018/83).

«تنظر كل دولة طرف في أن تُدخل في صلب نظامها القانوني الداخلي تدابير مناسبة لتوفير الحماية من أي معاملة لا مسوّغ لها لأي شخص يقوم، بحسن نيّة ولأسباب وجيهة، بإبلاغ السلطات المختصة باي وقائع تتعلق بأفعال مُجرّمة وفقاً لهذه الاتفاقية». (المادة 33 «حماية المبلّغين» من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المصادق عليها بموجب القانون الرقم 33 تاريخ: 2008/10/16).

صادق علوية

كانت الحجة الأولى لعدم مكافحة الفساد غياب التعريفات والمصطلحات الواضحة في القوانين السابقة حول التصريح عن الثروة، لا سيّما قانون «الإثراء غير المشروع» الرقم 154/1999. فصدر قانون «التصريح عن الذمة المالية والمصالح ومعاقبة الإثراء غير المشروع» الرقم 189 تاريخ: 2020/10/16، وتضمّن شرحاً تفصيلياً لكل ما يحتاجه القضاة والمحامون والباحثون القانونيون حول تعريف الموظف العمومي والموظف العمومي الخاضع للتصريح (المادة الأولى، فقرة 1 و2). وفصّل آلية تقديم التصريح ومضمونه ومواعيد تقديمه دورياً (المادة 4 و6)، كما وضع عقوبة صريحة في حال عدم تقديم التصاريح إذ يُعدّ «تقديم التصاريح المنصوص عليها في هذا القانون شرطاً من شروط تولّي الوظيفة العمومية والاستمرار فيها واستحقاق وقبض الرواتب والتعويضات وسائر الحقوق المالية لجميع الفئات المعددة في تعريف الموظف العمومي الخاضع للتصريح»، ويُعدّ «مستقيلاً حكماً كل من لا يُقدّم التصريح..» (المادة 7، فقرة أ وب). كذلك أفرد مادة لعقوبة التصريح الكاذب (المادة 9)، وأورد فصلين حول عناصر جرم الإثراء غير المشروع وأصول الملاحقة الجزائية والمداعاة المدنية (الباب الثالث).

(راجع «القبس»، 17 أيلول 2022، سين جيم: «الإثراء غير المشروع»)

مكافحة الفساد في القطاع العام وإنشاء الهيئة الوطنية

صدر قانون «مكافحة الفساد في القطاع العام وإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد» في أيار 2020، بموجب القانون الرقم 2020/175 تاريخ: 8 أيار 2020. مرت ثلاث سنوات، ولا شيء يذكَر

قانون رقم 306 تاريخ: 2022/10/28 «تعديل بعض مواد القانون المتعلّق بسرية المصارف»

سين جيم: «الإثراء غير المشروع» الإثراء غير المشروع | القبس

اللبنانيين بصدور هذا القانون أو يشعرهم بوجوده سوى بعض المحاضرات القانونية والتعيينات التي أمّنت توازناً بين المسلمين والمسيحيين. في بداية العام 2022، تم إرساء هذا التوازن الطائفي عبر تشكيل الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد بموجب المرسوم الرقم 8742 تاريخ: 2022/01/28، لا سيّما المادتين الخامسة والسادسة من القانون أعلاه. لكن ما يقراه اللبنانيون ينحصر بمراسيم وقرارات، أوّلها: قرار وزير المالية في حزيران من العام 2022 بإدراج فصل في الموازنة العامة في باب الهيئات الوطنية المستقلة تحت تسمية الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد بموجب قراره 1/437. وثانيها: مراسيم لفتح اعتمادات آخرها بقيمة ستة مليارات لمصلحة الهيئة لسداد الرواتب وبعض النفقات الجارية عبر نقل اعتماد من احتياطي الموازنة العامة إلى موازنة الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد بموجب المرسوم الرقم 9929 تاريخ: 2022/08/26.

حماية كاشفي الفساد على الورق

قبل خمس سنوات، في العام 2018 صدر قانون «حماية كاشفي الفساد» الرقم 83 تاريخ: 2018/10/10، وقد عُدّل هذا القانون في العام 2020 وأجاز للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، عفواً أو بناءً على طلب كل ذي مصلحة، أن تطلب من النيابة العامة المختصة او القوى الأمنية المختصة اتخاذ الإجراءات الأمنية المناسبة لحماية كاشف الفساد أو أحد أفراد عائلته والعاملين لديه، أو الخبراء والشهود، إذا تبيّن لها أنهم بحاجة إلى حماية شخصية من ضغوط أو أعمال ثأرية حصلت أو يخشى حصولها. ويتوجب حينئذ على النيابة العامة والقوى الأمنية الاستجابة للطلب فور استلامه بالوسائل المتاحة، كما يستفيد كاشفو الفساد من كل أحكام هذا القانون إذا تقدموا بكشفهم إلى النيابة العامة المختصة إضافة إلى الهيئة، كما يستفيد كاشفو الفساد والشهود الخبراء والضحايا من الحمايات التي نصّت عليها أحكام جميع فقرات الفصل السابع - مكرر (المواد 370 - 2 إلى 370 - 6) من قانون أصول المحاكمات الجزائية المضافة بموجب قانون «معاقبة جريمة الاتجار بالأشخاص» الرقم 2011/164. ورغم ذلك، لا يؤمن اللبنانيون بهذه الحماية ولا يذكرون أن سطراً من هذا القانون قد استند إليه في أي دعوى من أي نوع كانت لحماية كاشفي الفساد، أو أن المحاسبة قد بدأت فعلاً. العبرة إذاً، في النيّة والرغبة الصادقة (المفقودة) لمكافحة الفساد، وعلى اللبنانيين البحث لإيجاد من يرغب فيها بصدق.

لا يمكن للمصارف أن تتذرع بالسرية المصرفية المنصوص عليها في القانون القديم وعليها أن تقدّم كل المعلومات المطلوبة فور تلقيها طلباً من القضاء المختص

إلغاء السرّية المصرفية لموظفي القطاع العام

بات للقضاء المختص، بموجب القانون الرقم 2022/306، الحق بطلب معلومات من المصارف عن أيّ من المعرّضين سياسياً، ولم يعد الموظف العمومي يتمتع بالسرّية المصرفية رغم أن القانون يحيل الأمر، في حال التقاعد أو ترك المنصب، إلى القانون الرقم 175، أي قانون «مكافحة الفساد في القطاع العام وإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد».

واصبحت احكام السرية المصرفية لا تُطبّق بالنسبة إلى:

1- الموظف العمومي: وهو أي شخص ملزم بتقديم تصريح الذمة المالية المنصوص عليها في القانون رقم 2020/189 ويؤدي وظيفة عامة أو خدمة عامة، سواء أكان معيّناً أم منتخباً، دائماً أم مؤقتاً، مدفوع الأجر أم غير مدفوع الأجر، لدى أي شخص من أشخاص القانون العام أو القانون الخاص، على المستويَيْن المركزي والا مركزي، وبشكل عام أي شخص يؤدي عملاً لصالح ملك عام أو منشأة عامة أو مرفق عام أو مؤسسة عامة أو مصلحة عامة أو مال عام، سواء كان مملوكاً، كلياً أو جزئياً، من أحد أشخاص القانون العام، وسواء تولاها بصورة قانونية أم واقعية، بما في ذلك أي منصب من مناصب السلطات الدستورية أو أي منصب تشريعي أو قضائي أو تنفيذي أو إداري أو عسكري أو مالي أو أمني أو استشاري، والأزواج والأولاد القاصرون، والأشخاص المستعارون، و/أو المؤتمنون و/أو الأوصياء، و/أو صاحب الحق الاقتصادي.

2- رؤساء الجمعيات والهيئات الإدارية التي تتعاطى نشاطاً سياسياً، وهيئات المجتمع المدني، كما وأزواجهم وأولادهم القاصرون، والأشخاص المستعارون، و/أو الأوصياء و/أو صاحب الحق الاقتصادي، والمرشحون للانتخابات النيابية والبلدية والاختيارية كافة، من خلال تملكات متسلسلة او وسائل سيطرة غير مباشرة متسلسلة أخرى أو خارجها، عملاً بالقوانين المرعية.

3- رؤساء وأعضاء مجالس إدارة المصارف ومدراؤها التنفيذيون ومدققو الحسابات الحاليون والسابقون، ورؤساء وأعضاء مجالس إدارة الشركات التي تدير أو تملك الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمكتوبة والإلكترونية. علماً أن مفاعيل رفع السرّية تبقى سارية على المذكورين فيها حتى بعد تاريخ استقالتهم أو إنهاء خدماتهم أو إحالتهم على التقاعد، وذلك عن طيلة الفترة التي كانوا يتولّون فيها مهامهم أعلاه ولمدة خمس سنوات إضافية بعدها. (المادة 2، الجديدة).

من جهة ثانية فإن المادة (7) الجديدة من القانون المتعلق بسرّية المصارف الصادر بتاريخ 1956/9/3، والمعدلة بالمادة الأولى من القانون الرقم 2022/306، تنصّ على أنه لا يمكن للمصارف المشار إليها في المادة الأولى أن تتذرع بسر المهنة او بسرّية المصارف المنصوص عليها في هذا القانون، وعليها أن تقدّم جميع المعلومات المطلوبة فور تلقيها طلباً من:

أ- القضاء المختص في الدعاوى المتعلقة بجرائم الفساد وجرائم تبييض الأموال وتمويل الإرهاب، ودعاوى الإثراء غير المشروع القائمة استناداً إلى قانون «التصريح عن الذمة المالية والمصالح ومعاقبة الإثراء غير المشروع».

ب- هيئة التحقيق الخاصة بموجب قانون مكافحة تبييض الأموال وتمويل الإرهاب.

ت- الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد.

د- الإدارة الضريبية بهدف مكافحة التهرّب الضريبي.

هـ- مصرف لبنان ولجنة الرقابة على المصارف والمؤسسة الوطنية لضمان الودائع.

التدقيق الجنائي: رفع السرّية الممتد

بعد أن عُلّق العمل بأحكام قانون سرّية المصارف الصادر بتاريخ 1956/9/3 لمدة سنة واحدة، بداية بموجب القانون الرقم 200 تاريخ: 2020/12/29، عُلّقت السرية المصرفية إلى أجل غير مسمى، وذلك لحين انتهاء أعمال التدقيق الجنائي. إذ مُدد العمل بالقانون الرقم 2020/200 المنشور في العدد 51 من الجريدة الرسمية تاريخ: 2020/12/31، إلى حين انتهاء أعمال التدقيق الجنائي المشار إليه في القانون المذكور، وذلك بموجب القانون الرقم 279 تاريخ: 2022/03/07.

3 أسئلة

إسكندر نجّار: رفض تسليم سلامة يجرّد المذكرة من فعاليتها

1. هل صدرت مذكرة توقيف دوليّة بحق رياض سلامة؟

أود التشديد بدايةً على أنني لا أسمح لنفسي بالتطرق إلى أساس النزاع لأن القضية لا تزال قيد النظر أمام القضاء، إلا أنني سأقدّم بعض الإيضاحات التقنيّة حول الإجراءات القضائية الراهنة.

أصدرت قاضية التحقيق في باريس أود بوريسي (Aude Buresi)، مذكرة توقيف دوليّة بحق الحاكم كونه تغيّب عن جلسة التحقيق في 16 أيار 2023. إلا أن وكيل الحاكم تحفّظ لجهة عدم تقيّد القضاء الفرنسي، بحسب قوله، بالمهل المفروضة لإبلاغ المشتبه فيه المتواجد في الخارج.

2. ما هي تبعات هذا القرار على أي متّهم في دعاوى مشابهة وهل للقضاء اللبناني دور في هذا الملف أم أنه ينحصر بالقاضي الواضع يده على الملف؟

ترفض بعض البلدان تسليم مواطنيها المشتبه فيهم والملاحقين دولياً، ومنها لبنان، ممّا يجرّد مذكرة التوقيف الدوليّة من فعاليتها. فالقانون اللبناني لا يجيز تسليم مواطن لبناني إلى بلد آخر. وعندما ترد مذكرة توقيف دوليّة عبر النشرة الحمراء لمنظمة الإنتربول، يطلب القضاء اللبناني إلى الجانب الأجنبي أن يرسل إليه ملف القضية كاملاً، فإذا ارتأى أن الجرائم المنسوبة إلى المواطن اللبناني ثابتة ويُعاقب عليها القانون اللبناني، فيمكن محاكمته على أساسها أمام المحاكم اللبنانية.

القضية اليوم بعهدة القضاء الفرنسي الذي يمكنه مراسلة السلطات القضائية اللبنانية للطلب إليها التعاون معه، ضمن إطار قواعد المساعدة القضائية الدولية، كما حصل عندما سهّل القضاء اللبناني استجواب عدة شهود في لبنان من قِبل قضاة أجانب.

في مطلق الأحوال، إن مذكرة التوقيف هذه ستعرقل حتماً تحركات المشتبه فيه، إذ يمكن أن يُصار إلى توقيفه في أيّ مطار في حال تعميم المذكرة، لا سيّما في أوروبا.

3. هل القرار قابل للطعن؟ وهل الطعن يوقف تنفيذه أم هو واجب التنفيذ قبل بتّ الجهة المطعون أمامها به؟

يمكن للقاضي استرداد مذكرة التوقيف في أيّ وقت. كما يمكنه إصدار قراره الظنّي وإحالة المشتبه فيه أمام المحكمة المختصّة. وإن صدور هذا القرار يرفع يد قاضي التحقيق عن الدعوى العامة. من جهته، يستطيع المشتبه فيه الطعن بالقرار الذي طاله في حال عدم مراعاة هذا القرار للأصول القانونية، لا سيّما الشكليّة، أو عدم وجود مبرر له، وقد أعلن الوكيل الفرنسي للحاكم عن نيّته اللجوء إلى مثل هذا الطعن.

سين جيم

استقدام العاملات في الخدمة المنزليّة
المعاملة الإلكترونية لمكافحة الفساد

تُعدّ معاملة «استقدام عاملة اجنبية للخدمة المنزلية في لبنان» من المعاملات التي قد يشوبها الاستغلال، سواء للعاملة او لصاحب العمل تحت عناوين مختلفة، إذ تُدفع اموال من اجل تسريع إنجاز المعاملة، علماً ان الآلية واضحة لا لبس فيها. يؤكد (محمد خ.) وهو لديه تجارب عديدة مع اصحاب مكاتب الاستقدام، انّه كان يدفع لسنوات طويلة اموالاً إضافية حتى تُنجز معاملة استقدامه لعاملة تساعد والدته المريضة في الاعمال المنزلية. لا ينكر محمد انه كان يعلم ان الاموال التي يدفعها تفوق ما تتطلّبه المعاملة، ولكن برايه «للضرورة احكام، وهيك البلد ماشي. إذا ما دفعت بتضلّك ناطر معاملتك ويكمن تطوّل الشغلة كتير»

فاطمة خشاب درويش

تتعدّد الأطراف المعنية باستقدام عاملة أجنبية إلى لبنان، تبدأ العملية في مكتب الاستقدام حيث يقدّم صاحب العمل طلب الاستقدام للعاملة، ثم يأتي دور وزارة العمل التي تنظم عمل العمال الأجانب لتعطي موافقة مسبقة للعاملة الأجنبية، يمنح بعدها الأمن العام اللبناني سمة دخول للعاملة (مدتها ثلاثة أشهر). على مدى السنوات الماضية، منحت وزارة العمل ترخيصاً لـ 779 مكتب استقدام، إلا انه وبسبب ارتكاب بعضها للمخالفات، أغلق 296 مكتباً، ليبلغ العدد الرسمي لمكاتب الاستقدام المرخّصة في لبنان 483 مكتباً، تعمل حالياً تحت إشراف وزارة العمل. فما هو الجديد في الية استقدام العاملات الأجنبيات إلى لبنان، وهل ستحدّ من الفساد الحاصل في هذا القطاع؟

يشرح مسؤول الموقع الإلكتروني في وزارة العمل يعقوب مرعي الخدمة الجديدة التي أطلقتها الوزارة من أجل الحدّ من السمسرات والفساد المرافقيْن

ارتفع عدد العاملات بأجر يومي من دون أوراق شرعية وتامين صحي

من دون اي وسيط، ويمكن الاطّلاع على قرار تنظيم عمل المكاتب، كما يُمنع صاحب العمل من الاقتطاع من رواتب العاملة لصالح المكتب او لصالح أيّ كان في لبنان أو خارجه». أما في حال نشوء اي خلاف بين صاحب العمل وصاحب المكتب، فيلفت مرعي إلى أنه «يمكن لأيّ مواطن إبلاغ وزارة العمل عن اي خلاف ينشأ مع اصحاب مكاتب الاستقدام لإيجاد حل وتطبيق القانون على الطرفين، وذلك بإرسال بلاغ عبر موقع الوزارة». كما تتيح الخدمة لأي مواطن يرغب باستقدام عاملة في الخدمة المنزلية الاطّلاع على تقييم المكتب من قبل الذين تعاملوا معه، ورؤية عدد النقاط السوداء أو المخالفات التي سُجلت في سجله في وزارة العمل، في حال وجودها، ويمكنه أيضاً تقييم المكتب من خلال رابط مخصّص. وفي حال وجد صاحب العمل أن المكتب مُلتزم بأحكام القانون، يُطلب منه الموافقة على الشروط والأحكام، وبمجرد موافقته، يُعدّ هذا بمثابة توقيعه على طلب الموافقة المسبقة لاستقدام العاملة.

(هيلم الموسوي)

اي دور لنقابة مكاتب الاستقدام؟

«هناك عملية التفاف على المكاتب المرخّصة يقوم فيها سماسرة واشخاص ليست لديهم صفة في قطاع الاستقدام، يتم ذلك من خلال اللجوء إلى طرق ملتوية لاستقدام العاملات بطريقة غير شرعية أو غير مكتملة المواصفات للاستقدام الشرعي، يعملون على إيهام أرباب العمل أنهم مكاتب شرعية ويتحملون المسؤولية في حال حدوث أي أمر». يتحدث نقيب مكاتب استقدام العاملات في الخدمة المنزلية جوزيف صليبا عمّا يجري اليوم في قطاع الاستقدام، مُعرباً عن أسفه «لقيام عدد من المكاتب المرخّصة بالتواطؤ مع هؤلاء السماسرة من أجل تسهيل أمورهم، ولكنّ الأمور مكشوفة، إذ تعمل النقابة على فضح كل ذلك، وتتدخل وزارة العمل لوضع حدّ لهذه المخالفات متّخذة إجراءات قانونية بحق المكاتب المخالفة تصل إلى حدّ الإقفال».

وحول دور النقابة، يشدد صليبا على أن «النقابة هي الجهة الصالحة التي تمثّل القطاع الشرعي الذي لديه الصفة للمطالبة بحقوق فئة كبيرة من أصحاب المكاتب المنضوين تحت النقابة». مشيراً إلى أنها «تطّلع على أمور مكاتب الاستقدام وتتابعها وتعمل على تحسين ما يمكن تحسينه عبر المذكّرات والتعديلات التي تصدر عن وزارة العمل، والأمن العام اللبناني، والقنصليات والسفارات». كما يؤكد صليبا أهمية الخطوات التي تقوم بها وزارة العمل من أجل تنقية القطاع من الشوائب، ويلفت إلى «ضرورة تحصين حقوق أصحاب المكاتب المرخّصة التي تعمل وفق الأصول ومحاسبة كل من يلحق الضرر بمصالحهم».

ويحذّر صليبا من «ظاهرة استجدّت في قطاع الاستقدام اليوم، تتمثل بزيادة أعداد العاملات اللواتي تخلّين عن أصحاب العمل الأساسيين ويعملن في البيوت باجر يومي (على الساعة) من دون أي ورقة شرعية ولا حتى تامين صحي، ولا يمكن لأصحاب العمل الجُدد معرفة طبيعة الأمراض التي قد تحملها هذه العاملة»، داعياً إلى «التعاون من أجل معالجة هذه الظاهرة والتخفيف من تأثيراتها السلبية على قطاع الاستقدام».

كيف يعرف المواطن ان المكتب الذي يتعامل معه مرخّص؟

تشرح صاحبة أحد مكاتب الاستقدام، جودي أبو صبحة، الآلية القانونية المعتمدة حالياً للحصول على عاملة أجنبية للخدمة المنزلية في لبنان، «عندما يزور صاحب العمل مكتب الاستقدام يُطلب منه تزويد صاحب المكتب بصورة عن الهوية الشخصية وعنوان إقامته ورقم هاتفه المحمول الخاص به أو بأحد المقيمين معه في المنزل، من زوج أو ابن، وأن يكون هاتفه مزوّداً بخدمة الإنترنت، ثم يُدخل صاحب المكتب الطلب على صفحته على موقع وزارة العمل، ويُرسل بعدها رسالة نصية إلى هاتف صاحب العمل. كما أن أي تهاون من قبل مكتب الاستقدام بطلب المستندات المطلوبة للحصول على عامل في الخدمة المنزلية بالطريقة القانونية، يمكن أن يكون محلّ شبهة، لذا يفترض الانتباه والتدقيق من قبل صاحب العمل.

الموجبات والعقود

«تخضع العاملات بالخدمة المنزلية لأحكام كل من: قانون «الدخول إلى لبنان والإقامة فيه والخروج منه» الصادر بتاريخ: 1962/7/10 والمرسوم الرقم 1964/17561، والقرار الرقم 1/41 الرامي إلى «تنظيم عمل مكاتب استقدام العاملات الأجانب في الخدمة المنزلية» والمنشور في الجريدة الرسمية بتاريخ: 2022/5/26، وقانون الموجبات والعقود» يشرح رئيس دائرة الاستخدام في وزارة العمل أنطوان سعد طبيعة القوانين التي تنظّم العاملات في الخدمة المنزلية، مشيراً إلى أنه «عملاً بمرسوم تنظيم عمل الأجانب الرقم 17561 تاريخ: 18/9/1964 فإنه على العاملة الأجنبية أن تحصل مسبقاً على موافقة وزارة العمل قبل مجيئها إلى لبنان، وعليها عند حصولها على الموافقة المسبقة أن تتقدّم خلال 10 أيام من تاريخ دخولها لبنان بطلب الحصول على إجازة العمل المنصوص عليها في المادة 25 من القانون الصادر في 1962/7/10».

ويتابع: «بما أن المادة 7 من قانون العمل اللبناني قد استثنت من أحكام هذا القانون «الخدم في بيوت الأفراد»، لذلك فإن العلاقة التعاقدية بين العاملات بالخدمة المنزلية وأصحاب العمل تخضع لأحكام قانون «الموجبات والعقود» ولا سيّما المادة 624 وما يليها، بما يتعلق بحقوق وواجبات كل طرف. وفي حال وقوع مخالفات تُقدّم شكوى لدى دائرة التفتيش والوقاية والسلامة وفي الدوائر الإقليمية، وتُحال تسلسلاً إلى المراجع المختصة في الوزارة لاتّخاذ القرار اللازم (المادة 31 من القرار الرقم 1/41)».

ويوضح سعد حدود سلطة وزارة العمل على مكاتب الاستقدام، بما يلي:

1. إعطاء الرخصة لإنشاء المكتب وفقاً لضوابط وشروط معيّنة في القرار الرقم 1/41 الذي حدّد أيضاً الواجبات الملقاة على عاتق صاحب المكتب.
2. القيام بزيارات تفتيش دورية للتحقق من التزام المكاتب بالشروط والأنظمة. (المادة 32 من القرار الرقم 1/41).
3. في حال المخالفة للأنظمة المرعية الإجراء، فإنه ووفقاً للمادة 34 من القرار المذكور لوزير العمل، يُلغى ترخيص المكتب.

المختبر الجنائي

البحث عن مفقودين في البحر

بعد الانتظار مدة ثلاثة ايام لهدوء الامواج وعودة ظروف البحر إلى طبيعتها، اصبح بالإمكان الرؤية بشكل اوضح، لكن الوقت كان متاخرا. وانتشلت جثة الشاب الذي كان يمارس رياضة السباحة مقابل الروشة، بحسب ما ورد في بيان للمديرية العامة للدفاع المدني اللبناني، بتاريخ 15 ايار 2023. حالات الغرق في لبنان في ازدياد ومرجّحة، للاسف، للارتفاع اكثر مع قدوم الموسم السياحي المسعّر بالدولار، حيث اصبح الدخول إلى المسابح الخاصة مخصّصاً لفئة معيّنة من المجتمع، وللاغلبية ما تبقى من الشواطئ والانهر العامة، مع افتقار إلى العدد الكافي من المراقبين والمنقذين البحريين وغياب القوانين التي تتعلق بالسلامة العامة في المساحات المائية. يُذكر ان عددا كبيرا من الوفيات المرتبطة بالمياه تُعزى إلى الغرق العرضي، لكن لا بد من مراعاة الاحتمالات الاخرى عند التحقيق في هذه الانواع من الوفيات (راجع «القوس»، 30 نيسان 2022، «كي لا تضيع الحقيقة في البحر»). يستعرض هذا المقال «المباحث العلمية تحت الماء» ويتناول خطورة عدم الاخذ بادنى معايير الوقاية ومراعاة إرشادات الدفاع المدني والجهات المختصّة

(من الويب)

جنان الخطيب، احمد مدلج

«لَك شِك شِك، قرّبوا الصبايا يتفرّجوا، هَلّق بينعجبوا فيك». بصوته العالي ونبرته الحماسية، يراقب طارق المارّة قرب صخرة الروشة كي يعطي صديقه رامي إشارة «للشكّ عن الصخرة». ياخذ رامي نفساً عميقاً، وينتظر اللحظة المناسبة للقفز عند وصول «الصبايا» لمشاهدة عرض الموسم. لم يع رامي، الذي قفز بخطوات بطيئة، أن ذلك الارتفاع (36 متراً) يتطلب سرعة إضافية لتفادي الصخور التي اصطدم بها وأدّت إلى وفاته. راهن رامي، كالعديد من الضحايا، بعد تلقّيه التشجيع والتصفيق بالمجازفة في حياته لفت نظر الجمهور على الأرصفة، غير مهتم بسلامته.

لا تقتصر حوادث الوفاة على القفز من أماكن خطيرة، بل تعود أيضاً إلى الإهمال وعدم الكفاءة في ممارسة هواية السباحة.

«بكرا بيجي بيدق الباب، وبقلّي اشتقتلك يا إمّي» تقول أم ربيع التي فقدت ابنها «السبّيح» منذ عشرين عاماً. وتضيف: «هو أكيد تاخر لأنو قذفو التيّار لمحل بعيد، أو يمكن فقد الذاكرة». وتشرح تفاصيل الحادثة: «كان البحر هائجاً والأمواج مرتفعة جداً، لكنه أصرّ على السباحة غير مبالٍ». هذا المصير المجهول وضع عائلةَ المفقود في معاناة مستمرة، بين وجع الفراق وأمل العودة. تنهي أم ربيع: «لا ما رح روح حجّ عنو، ما بيجوز، هو أكيد حيّ برزق».

«فورنزيكس» في المياه

تؤدي المباحث العلمية دوراً في جمع العديد من أنواع الأدلة المختلفة والتحقيق فيها، بما في ذلك الماء. فإذا اكتُشفت جثة في المياه العذبة، يمكن عادة تحديد وقت الوفاة. وإذا توفي الشخص أخيراً، يمكن أن تكون درجات حرارة الأعضاء دليلاً على وقت الوفاة. ولكن بمجرد مرور أسابيع، يصبح تحديد وقت وفاة الشخص أكثر صعوبة، إذ لا تبقى درجة حرارة الجثة مؤشراً جيداً.

من هنا، يصبح مجال علم الحشرات المائية الجنائي مهماً، لأن «الحشرات المائية» مثل فصليّات الأرجل الكبيرة - Arthropods، تساعد الخبراء في تحديد وقت الوفاة.

ولكن التحدّي يبدأ في حال أُزيلت جثة من المياه المالحة، حيث تتعرض للعديد من التغيّرات في درجة الحموضة ودرجة الحرارة المحيطة ومحتوى الملح. وهذه العوامل تجعل تحديد وقت الوفاة عملية صعبة.

الغرق والجريمة

يعدّ إثبات «الغرق الجنائي» بعد مرحلة الموت العرضي صعباً لمجرد طبيعة حدوثه. أي من الصعب إثبات أن أحدهم قد قتل الضحية عن طريق الغرق، إلا إذا كانت هناك آثار جسدية مثل الجروح أو الكدمات، أو إذا رأى شاهد عيان الحدث. يحاول الخبير الجنائي إعادة بناء ما حدث من خلال تحديد ما لم يحدث أولاً. وقد يبدو هذا متناقضاً بعض الشيء ولكنه الطريقة الأفضل لاستبعاد الفرضيات الأخرى غير الموت العرضي.

في بعض الأحيان، قد يصعب إثبات ما إذا كان المتوفّى على قيد الحياة عند دخوله الماء، شرط أن تكون الجثة مغمورة لفترة من الوقت، فتمتلئ الرئتان بالماء. وفي أحيان أخرى، قد تظهر حالة تسمّى «الغرق الجاف»، إذ تكون حنجرة المتوفى متشنجة بسبب دخول الماء إلى الحلق، وبالتالي يُحظر الممر المؤدي إلى الرئتين، فيتعذّر خروج أو دخول المزيد من الماء. ومع ذلك، سيبحث الخبير عن آثار للدماء وعلامات نزف في الرئتين حيث يتسبب التشنج القوي في نزفهما. كما يبحث أيضاً عن أيّ أدلة أثر وبقايا من المناطق المحيطة حيث عُثر على الجثة. وقد تشمل الأدلة بقايا من الحياة النباتية التي لا توجد إلا تحت الماء أو الصخور.

يحاول الخبير الجنائي أيضاً تقديم دليل حول حدوث الغرق في المياه العذبة أو المالحة، وهذا مفيد بشكل خاص في حالة الشكّ بأن تدخلاً جنائياً قد حدث لتضليل الحقيقة. على سبيل المثال، إذا عُثر على الجثة في الماء العذب ولكن الماء في رئتيه هو مالح، عندها يمكن الافتراض أنه لم يمت حيث عُثر عليه.

100 حالة وفاة في السنة

يبلغ عدد حوادث الغرق التي تؤدي إلى وفاة، في كل سنة، ما بين 100 و110، بحسب رئيس وحدات الإنقاذ البحري في الدفاع المدني سمير بزيك، يتوزّعون ما بين البحر (على طول الشواطئ اللبنانية) والأنهر والبحيرات وبرك الري.

وعن الحوادث التي تؤدي إلى الوفاة، يشير بزيك إلى الحالات الآتية:

- الغرق بسبب التيّارات المائية القوية.
- الأمواج العالية.
- حالات صيد السمك، حيث تقذف الأمواج الصياد وتؤدي إلى غرقه.
- عدم معرفة كيفية وضع الشبك لصيد السمك عبر القارب، ما يؤدي إلى انقلابه والتسبّب بالغرق.
- القفز من أعالي الصخور.
- الغطس تحت الماء عبر حبس النفس، ما يؤدي إلى الغرق.
- غرق الأطفال الذين تسحبهم الموجة نتيجة إهمال الأهل.

ويضيف بزيك إن «عدم وجود عدد كاف من رجال الإنقاذ يساهم في ازدياد حالات الغرق التي تؤدي إلى الوفاة. حيث تشهد شواطئ الرملة البيضاء وصور وعمشيت اكتظاظاً لآلاف الأفراد مع عدم القدرة على مراقبتهم. كذلك خطورة الانزلاق عن الصخور الموحلة في الأنهر، ما قد يؤدي إلى سقوط الأشخاص في النهر الجارف». وهنا يحذّر بزيك المقيمين من الابتعاد عن الأنهر، ويدعو المزارعين وأولادهم إلى الابتعاد عن برك المياه.

ويوضح أن «للفرد مدة لا تتجاوز أربع أو خمس دقائق لمقاومة الغرق، ويسقط بعدها في قعر البحر. وفي حال كانت الأمواج عالية أو حالة البحر هائجة، ليس بإمكان الدفاع المدني العمل إلا بعد نصف ساعة. وفي بعض الأحيان، ونظراً إلى خطورة الظرف يستحيل العمل والمباشرة في الإنقاذ». ويضيف: «ننتظر هدوء البحر للتدخل بسبب وجود الصخور». كما يدعو إلى وضع أكثر من منقذ لمراقبة سلامة المواطنين على الشاطئ. «بس أوقات حتى لو وُجد ألف منقذ، في عندك حالات ما ممكن يتدخّل فيها لأنو بتعرّض حياتو للخطر».

«مش كلّو قضاء وقدر»

«في أغلب الأحيان، لا يمكن التسليم بأن الوفاة نتيجة الغرق هي قضاء وقدر. فإن إقدام الفرد، بكامل إرادته، على ممارسة السباحة في ظل ظروف طبيعية خطيرة يعدّ إهمالاً. نحنا كفريق إنقاذ منعدّ للمليون قبل ما ننزل» يقول بزيك. فحالة الوفاة في الروشة كانت نتيجة ممارسة السباحة في ظل بحر هائج وأمواج مرتفعة.

طال التهوّر نفسه ضحية أخرى في عمشيت - جبيل الشهر الفائت، بعدما سحبه التيار أثناء ممارسته هواية الغطس، بحسب بزيك. إلى جانب ذلك، يدعو بزيك إلى صدور قرارات منع «الشكّ» من أماكن مرتفعة وخطيرة والسباحة خلال ارتفاع الأمواج. «أناشد المواطنين بعدم التهوّر، فحالات الوفاة في ظل هذه الظروف شبه اكيدة، الانتباه واجب».

لوضع قرار مناسب لحماية المواطنين

جاء في معظم التشريعات اللبنانية عبارة «السلامة العامة» في متن القوانين والمراسيم والقرارات التنظيمية (راجع «القوس»، 6 آب 2022، قوانين وقواعد تستدعي التطبيق الجدي والمتابعة الدائمة. «السلامة العامة»... آخر الهمّ؟). فالسلامة العامة ليست محصورة بقانون، بل تعني السلامة في كل مكان وزمان. كما أن عدم الالتزام بتلك القرارات، وليس فقط القوانين، معاقب عليه بحسب قانون العقوبات اللبناني. استعمل المشرّع اللبناني مصطلح السلامة العامة في كل من قانون السير والبلديات، وقانون البناء والأشغال العامة وتامين السلامة في الأبنية والمنشئات والغذاء وغيرها.

لكن لا وجود لمثل تلك القرارات والقوانين التي ترعى السلامة العامة في ما يتعلق بالشواطئ العامة. بل يقتصر الأمر على بعض الإرشادات وليس على القرارات. أي بمعنى آخر، إن مخالفة تلك الإرشادات لا تؤدي إلى ملاحقة قانونية بحسب المادة 770 من قانون العقوبات اللبناني التي تنصّ على أن «من خالف الأنظمة الإدارية أو البلدية الصادرة وفقاً للقانون عوقب بالحبس حتى ثلاثة أشهر»، نظراً إلى الخطورة التي تتعلق بالشواطئ العامة من القفز من فوق مرتفعات وصخور وممارسة السباحة في ظل ظروف طبيعية غير ملائمة التي تهدد سلامة النفس.

أليس من المفترض إصدار القرارات اللازمة لمنع هذه الممارسات وفرض عقوبات على مخالفيها، كإحدى الوسائل لردع المواطن؟

إقدام الفرد بكامل إرادته على ممارسة السباحة في ظل ظروف طبيعية خطيرة يعدّ إهمالاً

راجع القوس:
«السلامة العامة».. آخر الهمّ؟

«كي لا تضيع الحقيقة في البحر»

متابعة

فصول من نهب التاريخ والاتجار بالتراث [3/2]

خلل في الحفر والتنقيب

لا شك في أن ثروة لبنان الثقافية تؤهّله لأن يكون في طليعة الدول التي تستقبل سنوياً ملايين السياح، لو كان هناك استغلال جدّي للمرافق الأثرية، إذ إنه «مطمور» بالآثار من شماله إلى جنوبه. غير أن خليطاً من ضعف التمويل، وقلة الثقافة الشعبية والقانونية، إضافة إلى تفشّي المحسوبيات وسوء الإدارة، وهدر حقوق العمّال في الحفريات، وتضارب المصالح السياسية الاقتصادية والدبلوماسية، وتراكم سنوات من المشكلات.. كل ذلك التفّ حول رقبة الممتلكات الثقافية ووادها في أعمال الحفر. وعلى مدى سنوات، نشطت حملات عدة للإضاءة على الخلل في عمليات الحفر والتنقيب بعدما خسر اللبنانيون قطعاً أثرية مهمة جزاء طمرها عشوائياً. فلماذا كانت تُطمر الأثريات بشكل مفاجئ؟ وأين موطن الضعف القانوني في هذا الملف؟ وما هو واقع الحفريات في لبنان وحقوق العمّال فيها؟

إقبال زين

يشترط قانون الآثار القديمة الصادر بموجب القرار 166/ ل.ر وتعديلاته، أن يكون المشرف على الحفرية الأثرية عالماً، لذلك من المتعارف أن يكون المشرف إما أثرياً من المديرية العامة للآثار أو أستاذاً جامعياً خبيراً في هذا المجال. أما الحفريات بطبيعتها فتنقسم إلى قسمين، الأول: التنقيبات التي تبقى مدة طويلة، والثاني: ما يُسمّى «حفريات الإنقاذ». وتظهر هذه الأخيرة بشكل اضطراري عندما يُشك في وجود أثريات في عقار معيّن، وتعرّض صاحب العقار لخسارته في حال ثبت وجود قطع غير قابلة للنقل فيه.

تطرّق قانون الآثار القديمة إلى الحفريات في 17 مادة من الباب الثالث، فأوكل مهمة الإشراف على الأعمال الحفرية للمديرية العامة للآثار التي تُعنى بمهام البحث والتنقيب والكشف عن الآثار، كما الحراسة والصيانة وكل أعمال التنقيب والبرمجة والتدقيق، إضافة إلى إقامة علاقات التنسيق والتعاون وتبادل الخبرات مع الجهات المساعدة العربية والدولية لتحقيق هذه المهام. فتنصّ المادة (66) على أنه «في أثناء الأشغال وعند الانتهاء منها يجب على صاحب الامتياز أن يتّخذ جميع التدابير اللازمة لحفظ الآثار المكتشفة ووضعها في مأمن من السرقة أو من تقلبات الطقس». هكذا يعوّل القانون على جدارة أهل الاختصاص في التعامل مع الحفريات وحمايتها، لكن من دون تفصيل شروط هذه الحمايات، على عكس بعض القوانين في العالم التي ذهبت إلى بلورتها عبر تضمين شرح مفصّل لإجراءات الحفظ الوقائي للآثار في أعمال الحفريات، كما فعلت فرنسا في الكتاب الخامس من قانون التراث مثلاً.

المرسوم الرقم 3057

يعتقد البعض من أهل الاختصاص أن المواد المتعلقة بالحفريات في لبنان كانت فضفاضة، ثم جاءت المراسيم وزادت الوضع سوءاً في حقبات مختلفة، ما نتج عنه «تشريعات للمخالفات» و«حماية قانونية لمالكي العقار». ففي حين ينظم المرسوم الرقم 3057 تاريخ: 2016/03/12 «التدخلات الميدانية الأثرية التي تقوم بها المديرية العامة للآثار في مجال الحفريات الوقائية والإنقاذية»، يُذكر فيه أن تمويل الحفرية يمكن أن يأتي من صاحب العقار الذي يصفّه القانونيون بأنه «المستفيد الأكبر من التخلص من الأثريات التي تظهر في العقار». وتعُدّ المحامية فداء عبد الفتاح، رئيسة جمعية «ألف باء القانون»، أن مثل هذا «الخلل القانوني في النصوص، ولا سيّما في ظل الأوضاع الاقتصادية التي تمرّ بها المديرية العامة للآثار، قد كلّف الممتلكات الثقافية الكثير، فجعل ربّ العمل في الحفريات هو نفسه المستفيد من نقلها وتدميرها». وتشرح عبد الفتاح ما يحدث عادة: «عند تسليم الحفرية إلى صاحب العقار، يقع على عاتقه إحضار الفنّيين وتأمين جميع الأمور اللوجستية. في المقابل، يكون هناك تعهّد ضمني بين المديرية العامة للآثار وصاحب العقار، كي تقنعه بالتمويل، كون الحفريات تستلزم أموالاً ضخمة، بأن المديرية ستنزل جميع الأثريات التي تظهر في العقار حتى لا تعرّض صاحبه إلى خسارته، لأنه في حال ظهور أثريات غير قابلة للنقل في العقار، فإن وزارة الثقافة ستضطر إلى استملاكه بحكم القانون» (راجع «القوس»، 6 أيار 2023، الحلقة الأولى: قانون حماية الآثار.. «أثري»)، وهنا، بحسب عبد الفتاح، رئيسة جمعية «ألف باء القانون»، أن مثل هذا «الخلل القانوني في النصوص، ولا سيّما في ظل الأوضاع الاقتصادية التي تمرّ بها المديرية العامة للآثار، قد كلّف الممتلكات الثقافية الكثير، فجعل ربّ العمل في الحفريات هو نفسه المستفيد الذي لزّم الحفرية إلى صاحب العقار، طرح عدة إشكاليات قانونية وأخلاقية، بحسب عبد الفتاح، فهل يصلح أن يكون ربّ العمل، هو نفسه المالك العقاري الذي له مصلحة بتوقّف العمل في أسرع ما يمكن؟

> **«الطمر العلمي» يمكن أن يكون حلاً أمام ضعف التمويل كما حدث لدى اكتشاف قطع فسيفساء في مدينة جبيل**

تقصير وجماعات ضغط

عام 2019، رفع أستاذ الفنون والآثار الفينيقية في الجامعة اللبنانية المتقاعد ناجي كرم دعوى ضد المدير العام السابق لمديرية الآثار. وفي تفاصيل الدعوى أن كرم كان قد حصل على إذن من المديرية العامة للآثار للكشف على موقع أثري بعد أن تبيّن في إحدى الحفريات وجود قطع مهمة، لكنه سرعان ما اكتشف أن العاملين قاموا بتدمير القطع وحرقها «خوفاً من أن تعطّل المشاريع العقارية».

وفي مقابلة أجرتها «القوس» مع كرم، شرح أن واقع الآثار في لبنان يحكمه الفساد السياسي في جميع المناطق، وبالتالي فإن «فتح الملف بجرأة» سيطاول جميع الفرق السياسية التي لها مصالح استثمارية. وأضاف: «لا يمكن أن نتّهم المديرية العامة للآثار بالتقصير الكامل، ففي بعض الأحيان حاولت المديرية والمشرفون عليها أداء واجباتهم، لكنهم لم يمتلكوا الأدوات اللازمة للحماية بسبب قوة نفوذ جماعات الضغط». لافتاً إلى أن «ضعف التمويل حاجز لا يمكن تسخيفه، لكن يوجد حل بديل، وقد فعلته المديرية العامة للآثار سابقاً، إذ طمرت بشكل علمي قطع فسيفساء كانت قد وجدتها في جبيل، بعد أن شخّصت عدم قدرتها على تحمّل تكلفة التنقيب العالية. فأُضيفت المنطقة إلى الخريطة كمنطقة فيها أثريات وانتهى الأمر، الطمر العلمي يمكن أن يكون حلاً أمام ضعف التمويل».

ماذا عن حقوق العاملين في الحفريات؟

صدر قرار عن مجلس العمل التحكيمي عام 2022، بالدعوى القضائية التي رفعها إدريس مليتي عام 2014، بحق إحدى الشركات المالكة للعقار الذي عمل فيه مشرفاً إدارياً على الحفرية، وبحق المديرية العامة للآثار والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى، بعد حادثة «الطرد التعسّفي» التي واجهها مع رفاقه. وجاء في تفاصيل الدعوى أن العمّال أوقفوا عن متابعة الأعمال «بشكل مفاجئ، ورُفض دفع التعويض لهم»، فجاءت الدعوى لتسأل عن ربّ العمل المسؤول عن دفع التعويض، بعد أن تبرّأت الجهات الثلاث من العمّال بحسب مليتي، إذ قالت الشركة المالكة للعقار إنها «تكتفي بالدفع ولا علاقة لها بالعمّال ولا بالتواصل معهم». أمّا ردّ المديرية العامة فكان أنها لزّمت المعهد الفرنسي الإشراف على العمل «كونه الجهة العلمية الوحيدة التي تتعامل معها». ونفى المعهد الفرنسي علاقته بالإشراف، مشيراً إلى أن دوره كان استشارياً فقط.

فتحت هذه الحادثة عدة إشكاليات قانونية تُبرز «الضبابية والعشوائية

(هيثم الموسوي)

> **لا توجد عقود عمل واضحة تضمن حقوق المشرفين والمياومين الذين يعملون بكدّ في أعمال الحفريات الأثرية**

اللتين تتم بهما التلزيمات». وتشير عبد الفتاح، التي تطوّعت للدفاع في القضية، إلى أنها «لم تكن مجرد قضية حقوق بسيطة»، لكنها تشي بواقع العمّال الصعب، فلا توجد «عقود عمل واضحة» تضمن حقوق المياومين الذين يعملون بكدّ وكذلك حقوق المشرفين على الأعمال. كما جاء في تفاصيل الدعوى أن العمّال «كانوا قد وقّعوا عقد عمل جماعي مدته سنة قابلة للتجديد»، لكنّ أياً من العمّال «لم يمتلك نسخة عن العقد».

يعبّر مليتي لـ«القوس» عن عدم رضاه الكامل على القرار الذي صدر بعد 8 سنوات من الانتظار، والذي جاء بتلزيم الشركة المالكة للعقار بدفع التعويضات لكونها ربّ العمل. ويقول: «صحيح أن القضاء اللبناني أنصف العمّال إلى حد ما بتأكيد وجود طرد تعسّفي، لكنّ الحادثة أكبر من قضية عمّال بسيطة، وتحمل عدة ملابسات لم يُحاسب الجميع فيها». لأنه «من المستحيل»، برأيه، أن يسجل القضاء اللبناني قراراً بحق إحدى المؤسسات اللبنانية أو الفرنسية نظراً إلى العلاقات التي تربط البلدين، وخصوصاً «أن المعهد الفرنسي تابع لوزارة الخارجية الفرنسية، وجزءٌ كبيرٌ من العاملين فيه يحملون صفات دبلوماسية، لذلك فإن تحميل الشركة المالكة للعقار المسؤولية كاملة كان القرار الأسهل».

اللبنانيون مستثنون من المشاركة؟

خَرم أساتذة الجامعة اللبنانية منذ وقت طويل من الإشراف على الحفريات في لبنان، كما خَرم طلابهم من التدريب العملي، لعدم قدرة الجامعة اللبنانية على تمويل الحفريات، ولضعف العلاقات بينها وبين المديرية العامة للآثار التي تلجأ إلى ترشيح اختصاصيين أثريين من جهات أجنبية أو من جهتها. يؤكد كرم أن الجامعة اللبنانية «تمتلك جميع المؤهّلات العلمية للإشراف على الحفريات، إضافة إلى التنوّع اللازم في الخبرات، واختصاصيين يمكن أن يكشفوا عن الأثريات التابعة لمختلف الحقبات الزمنية».

وبالتالي من المفترض أن تُعطى الأولوية لهم.

إقصاء اللبناني لا يقتصر على الأكاديميين، إذ يشير مليتي إلى أن «العمّال اللبنانيين محرومون كذلك من المشاركة باعمال الحفر». فيتوجّه أغلب أرباب العمل في الحفريات إلى توظيف جنسيات غير لبنانية بحجة أن «اللبناني لا يعمل في مثل هذه الأعمال الشاقة». بينما الحقيقة، بحسب مليتي، هي أنهم «يتهربون من توقيع عقود عمل واضحة، تشمل دفع التعويضات إذا ما توقّف العمل بشكل مفاجئ، وإعطاء العمّال حقوقهم المادية، كما تغطية ضماناتهم الاجتماعية» لأن العمل مع اللبنانيين يستلزم عناية اجتماعية «ليسوا بصدد تامينها».

توقّف مفاجئ

«غالباً ما يتوقّف العمل بشكل مفاجئ في أعمال الحفر بسبب غياب التقنيات اللازمة في مراحل الكشف الأولى» بحسب ما يقول إدريس مليتي، أحد الناشطين في مجال حماية الآثار، والذي سبق أن عمل في الإشراف على الحفريات، إذ لا توجد في لبنان تقنيات حديثة تساعد على تقدير الوقت والجهد والأموال التي يمكن أن تستلزمها الحفرية. ويضيف مليتي: «طالما أن تمويل الحفرية يأتي من صاحب العقار نفسه، تُمرّر في بعض الأحيان اتفاقيات توقف العمل، ويُجرف العقار وما فيه لاستكمال المشاريع العقارية».

تتولّى مديرية الحفريات الأثرية المهام التالية:

1- البحث والتنقيب والكشف عن الآثار.

2- وضع الكشوفات بها بغية إدراجها على لائحة الجرد العام أو تسجيلها على إحدى لائحتَي الممتلكات الثقافية المعترف بها أو المصنّفة، وتسليمها إلى المديرية المختصة.

3- الاهتمام بالحفريات الأثرية من ناحية إدارتها، وحراستها، وتأهيلها، وصيانتها، والحفاظ عليها، كما تنظيم أعمال البحث والتنقيب عن الآثار وبرمجتها على الصعيدين العلمي والعملي، والتدقيق في طلبات التراخيص المقدّمة من الجهات المحلية والخارجية التي ترغب بالقيام بها واقتراح منح التراخيص أو حجبها، ومراقبة الأعمال الميدانية للبحث والتنقيب الأثريَّيْن والتقصّيات براً وبحراً.

4- إجراء الأبحاث بشأن الحفريات الأثرية ودراستها من جميع النواحي العلمية المعنية، بالإضافة إلى إعداد الدراسات والبحوث التي تُعنى بها والتحضير لإصدارها بالطرق والوسائل المناسبة.

5- المشاركة في وضع كلّ المخططات والدراسات والأعمال العائدة لتنفيذ المشاريع الإنشائية الكبرى، والمرافق العامة، والبنى التحتية، وأعمال الاستصلاح الزراعي، واستثمار الكسّارات، وما شابه ذلك من أعمال، وإبداء الرأي بها ومراقبة تنفيذها، في سبيل الحفاظ على الآثار.

6- الكشف على المواقع المنوي إقامة أبنية عليها في المناطق والأحياء المصنّفة أثرية أو تراثية أو تاريخية وإبداء الرأي بطلبات رخص البناء على هذه المواقع.

7- وضع اليد على الحفريات من أي نوع كانت التي يتبيّن وجود آثار فيها لإجراء أعمال البحث والتنقيب عن الآثار الخاصة بها واتخاذ التدابير القانونية والإدارية المناسبة.

8- إقامة علاقات التنسيق والتعاون وتبادل الخبرات مع الإدارات والمؤسسات العامة، والمنظمات والمؤسسات والجامعات والمعاهد العلمية، المحلية منها والعربية والدولية، والمؤسسات الخاصة والجمعيات والهيئات الأهلية، والأفراد في سبيل تحقيق هذه المهام. (قانون «تنظيم وزارة الثقافة»، الفصل الثاني، المادة 16).

(هيثم الموسوي)

ضعف الثقافة

في الخيال الشعبي «الآثار تعني الذهب» تقول الوسيطة في مجال الآثار نيللي عبود لـ«القوس». وتشرح أن العمل على تثقيف الناس حول قضية الآثار لا يزال ضعيفاً في لبنان، لذلك قد نشهد حوادثَ ومحاولات سرقة في المناطق اللبنانية وفي مواقع الحفريات بشكل مستمر. ترى عبود أن من المهم أن تكون هناك عمليات تنقيب مفتوحة أمام أعين الناس ضمن ضوابط أمنية طبعاً، لكنّ الترحيب بأهالي المنطقة التي تُجرى فيها الحفرية أمر مهم كي يشعر اللبنانيون أن الآثار «ملكهم». كما أن الشرح عن عملية التنقيب وعن الاكتشافات ودورها في توثيق الذاكرة الجماعية وحفظ التراث الوطني لا يقل أهمية عن ذلك. في المقابل، تضيف عبود: «يمكن لإقصاء المواطنين عن أماكن الحفريات، أن يزيد من الجفاء بين اللبناني والآثار، ناهيك عن أن اللبناني يدفع بدل دخول للأماكن السياحية مثل الأجنبي، وبالتالي فإن هذه الطريقة، ستُبقي مفهوم الحفاظ على التراث ضعيفاً». بدورها تؤكد عبد الفتاح أن العديد من القانونيين، محامين وقضاة، يجهلون تفاصيل الملف القانونية، لقلة المحاسبات، والخوف منها أحياناً، وعدم بذل جهد شخصي في الموضوع، وأكبر دليل على ذلك هو «عدم تخصيص محكمة خاصة للآثار. حاولنا لثماني سنوات، في قضية متعلقة بالآثار، أن نسأل سؤالاً واحداً بسيطاً: من هو ربّ العمل؟»

راجع «القوس»، 6 أيار 2023، الحلقة الاولى: قانون حماية الآثار.. «أثري»

«محكمة الشعوب»: الإسرائيلي «يجرّب» اسلحة محرّمة دولياً

بمبادرة من شخصيّات حقوقية وأكاديمية، أطلقت بتاريخ 28 كانون الثاني 2023، أعمال «محكمة الشعوب لمحاكمة الإمبريالية الأميركية» لمحاكمة أميركا على جرائمها في دول عدة، منها: ليبيا، وغزة، ولبنان، والسودان، واليمن، والعراق، وكوبا، وهايتي.. وقد شارك فيها: التحالف الأسود للسلام، وكونفيدرالية الحقوقيين في آسيا والهادىء، والحزب الشيوعي الكندي، والتحالف الفلسطيني لحق العودة وعدد من اللجان والجمعيات والشخصيّات الناشطة في تنظيمات مناهضة للعقوبات الأميركية من مختلف الدول. وشارك من لبنان، جمعية مرصد قانا لحقوق الإنسان ورئيسها محمد طي بصفته أحد قضاة المحكمة إلى جانب كل من القضاة: شارلوت كايت، وسوزان أدلي، وهيليا دوغاتي، وكورينا مولين، ونفيد فورنيا. عقدت المحكمة في 13 أيار 2023 جلسة استماع للادعاء والشهادات بخصوص انتهاكات العدو الصهيوني الأخير، المدعوم من الولايات المتحدة الأميركية، ضد قطاع غزة. وفي ما يلي بعض الشهادات:

- ياسر الديراوي (محام): يجرّب الإسرائيليون في غزة أنواعاً من الأسلحة بما فيها أسلحة محرّمة دولياً، مثل القتلي والجرحى، وتدمير للمنازل، وتهجير قسري وأضرار بالبنية التحتية، وإغلاق للمعابر، الوقود يكاد ينفذ والسفر ممنوع، والمرضى تغص بهم المستشفيات ولا يمكن نقلهم إلى الضفة الغربية ولا إلى الخارج. إنه عقاب جماعي.

- وفاء الديني (صحافية): نحن الصحافيين أهداف مشروعة للعدو، نتعرّض للقتل بدم بارد، وليس هناك من يحاسب «إسرائيل».

- ملاك نضال (16 عاماً): أخاف من الموت، واتوقعه في كل لحظة. أنا وكل الأطفال لا نشعر بالأمان في أي مكان، حتى في بيوتنا.. نفضّل أن نموت في بيوتنا من أن نتناثر في الشوارع.

المصدر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 alqaous al_qaous 01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com